اليهود في

التوراة والتلمود وضياع فلسطين

تأليف

د / شفيق الخليل

اسم الكتاب: اليهود في التوراة والتلمود وضياع فلسطين
النـــــــوع: دراسات سياسيه
المؤلـــــف: دكتور : شفيق الخليل
الناشـــــر: دار الجنـــدي
للنشر والتوزيع
٤ش مهدي عبد المنعم - أرض أولاد علام
منطي - شبرا الخيمة - القاهرة الكبرى
تليفون: ٠١٢٢٢٩٥٠٢٩٢ - ٠١١١٩٤٢٩٧٨٠
المدير العام: عاطف الجندي
الطبعـــــة: الأولى
الغـــــلاف: محمدعاطف الجندي

رقم الإيـداع: 2015/2740
الترقيم الدولي: 978-977-6470-21-7

محفوظة جميع الحقوق

كلمة المؤلف

بعد صدور كتابي " بنو اسرائيل عبر التاريخ " في القاهرة وبرغم ان توزيع الكتاب كان محدودا جدا نظرا لملابسات رافقت نشر الكتاب خارجة عن ارادة المؤلف ، فقد اتصل بي الكثيرون مطالبين بمعرفة من هم اليهود من حيث معتقداتهم وكتبهم وادبياتهم الدينية والتشريعية وكذلك اسباب ضياع فلسطين او الطريقة التي ضاعت فيها ارض الاسراء وتم اقتناصها من الصهاينة الذين غزو شرقنا العربي بدعم دولي، فقد رأيت ان اضع هذا الكتاب من بابين الباب الاول يعني بشؤون بني اسرائيل الدينية والعقائدية من واقع توراتهم وتلمودهم وبعض كتبهم التشريعية والدينية المتاح الوصول اليها اما الباب الثاني فإنه يعني بالاساليب التي اتبعتها الصهيونية لاقتناص ارض الفلسطينيين والتعاون الدولي والتمهيد البريطاني للاحتلال الذي نشهده اليوم لارض فلسطين العربية .

انا على يقين تام بأن الكثير من الكتب صدرت بهذا الخصوص وان القضية الفلسطينية احتلت اكبر المساحات في مكتبات العالم العربي وكذلك في عالم الغرب والولايات المتحدة الامريكية . . . وحيث ان القضية لا زالت قائمة فإن اهل الفكر والكتاب والباحثين سوف يواصلون طرق هذه القضية من كافة جوانبها السلبية والايجابية وشرح ملابساتها تنويرا للاجيال القادمة بقضيتهم المركزية في المنطقة العربية وابقائها حية في ذاكرة التاريخ وذاكرة الاجيال . . استندت في كتابي بشكل رئيس الى التوراة العبرية والتلمود وكتب التشريعات اليهودية للفيلسوف اليهودي الاندلسي موسى بن ميمون والى يوم ها توف وغيرهما من فلاسفة ومؤرخي اليهود في العصور الوسطى ومن المحدثين ايضا . . . ولا ادعى اني وصلت الى كل الحقيقة بل اعتبر هذا الكتاب محاولة جديدة لوضع النقاط على الحروف بتعريف القاريء العربي بالمعتقدات الدينية اليهودية ومناسباتهم واعيادهم وصلواتهم وتشريعاتهم وطقوس الزواج وتربية الابناء و التعليم والعمل والنواهي بالتركيز على الوصايا العشر التي جاءت على لسان النبي موسى عليه السلام وكذلك القوانين وعمل السنهدرين الاعلى وتنظيم المحاكم الدينية والمدنية . . . . . الخ .

ما من شك ان الحركة الصهيونية تعمل على تشويه صورة معتقداتنا الدينية وصورة ديننا الحنيف وبكل اسف وجدت منا او من يدعون انتمائهم الى العروبة والاسلام من يعمل على ترسيخ تلك المحاولات وجعلها واقعا مؤلما خدمة للاهداف الصهيونية . . . ونحن في كتاباتنا لا نلجأ الى اساليبهم الشيطانية لأننا بكل بساطة نحترم ونقدر جميع الديانات السماوية حيث جاءنا الامر من رب العالمين سبحانه بان نؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم

الآخر فلا نعتدي على ديانة وعلى امة تعتنق تلك الديانة وإن اختلفنا معها ومع تعاليمها فالاختلاف امر طبيعي بين الناس وهكذا اراد رب العالمين سبحانه بقوله تعالى " . . . لو شاء ربك لجعل الناس جميعا امة واحدة وما زالوا يختلفون " صدق الله العظيم .

ارجو الله ان اكون قد اصبت بعض الحقيقة في كتابي هذا ولا اقول كل الحقيقة اذ ان الحقيقة الكاملة عند رب العالمين وحده ولا احد غيره . . وان يكون كتابي هذا شمعة تضيء طريق من يسعون للمعرفة بعيدا عن المداهنات والمهاترات والنصوص العشوائية التي لا تستند الى واقع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المؤلف

دكتور : شفيق الخليل

١ يناير ٢٠١٥

التوراة والتلمود وضياع فلسطين

مقدمة

في غفلة من الزمن احتل اليهود ارض فلسطين المقدسة وعاثوا فيها فسادا وتثاقل العرب عن الجهاد في سبيل الله والوطن وتحرير الأرض من دنس الصهاينة . . . فكانت النكبة ثم الهزيمة ثم الضياع الكامل ليس لأهل الأرض المباركة وحدهم بل للأمة العربية جمعاء كما نرى في هذه الأيام ما يجري في الوطن العربي من قتل وتدمير وفساد في الأرض باسم الدين ثارة وباسم التحرر ثارة أخرى وإذا أراد المرء أن يعرف ما يدور في العالم العربي اليوم عليه أن يعرف ما يدور في الكيان الصهيوني مة أ قتلوا النساء والاطفال والشيوخ والرجال . . . هدموا البيوت والمباني والمعاقل ومسحوها من على وجه الارض . . . اتلفوا المزارع وقطعوا الشجر . . نهبوا البنوك وسرقوا الحلى والارض بما فيها من الزرع والضرع والمواشي حتى الحمير البقر . . . لصوص لم يعرف التاريخ مثيلا لهم . . . اقترفوا المجازر ضد الآمنين تلو المجازر . . . ملأوا الارض فسادا وسرقوا فرح الاطفال والعابهم . . . دنسوا المقدسات فكانوا اكبر شرّ مسلط على بني البشر .

سوف ترتعد فرائصكم رعبا من الصواريخ التي ستنهمر على رؤوسكم من كل فج عميق . . . ولن تجدوا لكم ملاذا غير مياه البحر اليها تفرون وفيها تغرقون . . . فماذا تنتظرون ايها المفتونون . . . هل تظل اياديكم هي العليا عبر القرون ؟ . . . السيل البشري قادم اليكم منه لا ولن تنقذون . . . فلقد حق عليكم القول من رب العالمين . . . لن ينفعكم تابوت عهدكم الذي تدعون . . ولا يتقدمكم يهواكم المفتون . . الضربات القاسيات سوف يسددها لكم المخلصون . . . والضربات القاضية ستنطلق عليكم من معاقل الاحرار في كل مكان . . . . فأين المفر واين تذهبون . . . يومها لا يحميكم تنياهو ولا براك المفتون . . المجاهدون يعرفون الطرق التي بها معكم يتعاملون . . . سيجعلوا من جيفكم المبعثرة في الارض عبرة لمن يعتبرون . . . . نادوا يهواكم ان كنتم قادرين . . . فما هو الا في خيالكم ايها السفاحون . . . أنسيتم ما فعلتم بصبرا وشاتيلا في بيروت ؟ أنسيتم كل ذلك الجبروت ؟ أنسيتم مجازركم في دير ياسين وكفر قاسم وحيفا والحرم الابراهيمي وفي قانا وبحر البقر أم نسيتم قنابل الفسفور الحارق على اطفال اهلنا في غزة ايها المجرمون . . . وهل نسيتم المستوطنات التي تقيمون . . . أنسيتم

هدم البيوت على ساكنيها ومنازل الفلسطينيين . . . كل هذا ندونه للأجيال الى وقت العقاب مهما طالت السنون . . . سيجيء الزمان الذي فيه ابناؤنا اياديكم وارجلكم يقطعون . . .

هذا الكتاب يتكون من بابين الباب الاول يبحث ثقافة اليهود الدينية التوراتية والتلمودية وتقاليدهم واعيادهم الدينية وسببهم الى بابل وسقوط مملكتهم بيد نبوخذ نصر وسقوط مملكة اسرائيل الشمالية بيد الاشوريين وكافة المواضيع التي نصت عنها التوراة وفسرها حكماء التلمود . . اما الباب الثاني فأنه يبحث في ما فعلته وتفعله الصهيونية العالمية من اجل اقتناص فلسطين تحت ذريعة وعد سماوي من اختراع بنات افكارهم . . فالادعاء بملكيتهم لارض فلسطين ادعاء باطل لا اساس له وان احتلالهم للارض لستين او مائة عام لن يعطيهم الحق في تلك الارض ولا يؤسس لشرعيتهم فيها .

المؤلف

دكتور : شفيق الخليل

نبذة تاريخية

حوالى العام ٥٨٦ قبل الميلاد كانت مملكة يهودا تمثل ما تبقى لبني اسرائيل على ارض كنعان وتشمل الهيكل الذي تحول الى ركام وشعائرهم الدينية التي وصلت الى نهايتها وكان الجزء الأهم من بني اسرائيل قد تم سبيه الثاني الى بابل في بلاد الرافدين . . . بسقوط مملكة يهودا في يد نبوخذ نصر ، اصبحت صرخة اليهود في ارض كنعان وفي السبي البابلي لها ما يبررها وتحولت مدينة القدس التي كانت تعج بالبشر الى مدينة شبه خالية او مدينة اشباح .

كانت الأزمة قد بدأت حوالي العام ٧٢٢ قبل الميلاد بسقوط مملكة اسرائيل الشمالية (السامرة) في يد الاشوريين واقتياد اليهود الى السبي الذي عرف بالسبي الاول الى بلاد الرافدين والذي سبق السبي البابلي الثاني . . . وكانت مملكة السامرة اليهودية تضم عشر قبائل من بني اسرائيل قام الجيش الأشوري باحتلالها وسبيهم الى العراق . . وقد تذوب معظمهم في البيئة العراقية ولم يعودوا يعرفون ببني اسرائيل مع مرور الزمن .

يعتقد المؤرخون بأنه لو حدث لليهود في السبي البابلي الثاني كما حدث لهم في السبي الاشوري الاول لما كان لهم وجود اليوم على الاطلاق ولكانت كارثة ماحقة حلت بهم منذ ذلك الوقت وطمست معالمهم الى الابد ، الامر الذي جعل المفكرين اليهود وزعماءهم في بابل يركزون جل اهتماماتهم على قضية البقاء اليهودي وحفظ بني اسرائيل من الانقراض او التذوب في البيئات الاخرى . . وكيف يمكن تجنب ذلك الانقراض الذي اخذ يهدد وجودهم ، كما حدث في السبي الاشوري الاول فكان الشيء الذي يميزهم على الآخرين في ذلك الزمان هو الدين . . ولكن السؤال الذي برز امامهم هو ماذا يعني ذلك التمييز والمحافظة عليه خصوصا بعد سقوط البلاد التي كانوا يعيشون فيها واقامتهم في بلاد اجنبية تحت نفوذ الغرباء القوي . مصادر الكتب المقدسة التي تتحدث فقط عن تلك الفترة لا تفي بالغرض المتعلق بالمعلومات المفصلة المطلوبة ، حيث انها فقط تشير الى تفهم مجرى الاحداث ولكن ليس بالصورة الدقيقة المرجوة . . وفي ضوء الحاجة الى التغلب على هذه العقبة الكأداء التي يواجهها اليهود في سبيهم وتصميمهم على المحافظة على دينهم من اجل بقائهم ، فقد ظهر من بين شخصيات السبي البابلي الثاني النبي حزقيال الذي قاد المسيرة اليهودية الى حل المشكلة والتي ادت اعماله للمحافظة على الجنس اليهودي من الانقراض . . . ففي نبوءاته يتحدث حزقيال عن مناسبات عدة وهي اجتماع اليهود في منزله – الاجتماع الذي جرى فيه مناقشة ما كان يدور في عقلية المؤتمرين . . وكان الحل الامثل يتلخص في كلمة واحدة هي (التوراة) . . . هذه الكلمة العبرية التي ترجمت خطأ الى (قانون) وهي في حقيقتها تعني التعليم والتوجيه . . . اما بالنسبة

للسببين الاخرين فانها تعني " العقيدة المقدسة " المدونة والشفاهية التي انتقلت اليهم من الاجيال الماضية دون السؤال عن اصل وتاريخ اسفار موسى الخمسة المدونة في الكتاب المقدس(البنتاتويخ) وهي سفر التكوين– سفر الخروج – سفر العدد – سفر اللاويين – وسفر تثنية الاشتراع ومما يستنتجه المؤرخون المعاصرون ان بعض الايحائات الموسوية كانت بجوزتهم بشكل او بآخر ، كما كان بجوزتهم ايضا بعض الكتابات النبوية والمزامير . . هذه الآثار العقائدية مكنت اليهود في بابل العراق من تدوين التوراة اليهودية على ايادي علماء يهود كان اهم هؤلاء "عزرا " خبير التدوين وكبير الكتاب ، فقد تمكن من ابتداع حلول لمشكلة من سبقوه وجاء بنتيجة ايجابية وعملية . . . التلمود يقارن اعماله لشعبه بما انجزه موسى اللاوي . . وكواضع اكبر للقانون فأنه بذلك صنع امة من العبيد المحررين باحضارهم الى التوراة سواء كان في بابل او في يهودا . . .وفيما بعد جعل التوراة مرشدا حيّا لبني اسرائيل . . ومن كثرة الاعجاب بانجازاته اعلنه الربّانيون اليهود بأنه يستحق بأن تعطى التوراة لاسرائيل بيديه لو لم يكن موسى سبقه اليها . . وحيث ان التوراة تعرضت للنسيان من اسرائيل فأن عزرا الذي خرج من بابل قد اعاد تأسيسها . . . وعزرا هذا هو مؤسس النظرية العقائدية القائلة " على اليهودي ان تكون له ديانة ليس فقط تميزه عن الكافر ولكن تذكره دائما بأنه عضو من عناصر العقيدة اليهودية " . . . واليهودي ينبغي ان يميز عن جيرانه ليس بالعقيدة وحدها بل بنموذج حياته ايضا . . وطريقة عبادته يجب ان تكون مختلفة عن الآخرين . . . بيته يجب ان يكون مختلفا ايضا حتى في الانشطة العامة في حياته اليومية ينبغي ان تكون لليهودي مقاطع مميزة تذكره دوما بيهوديته . . . وان حياته بكل تفاصيلها تخضع لتعاليم التوراة وللتشريعات الموسوية وتفعيلها حيث ان الظروف متطورة تتطلب منه التطور من وقت لآخر وبدون وجهة النظر هذه ومعرفتها معرفة دقيقة فأن الربّانيين لن يتكون لديهم الفهم في اتجاه النشاطات وطرق تفسير الكتاب المقدس . . . الذي هو البذرة الاساسية لنمو التلمود ، ولقد جاء هذا بشكل مميز جدا في اعمال عزرا الذي كرس وقته وقلبه لتوراة الرب ليدونها ويدرس القوانين والاحكام الشرعية الواردة في التوراة للاجيال اليهودية .

النصوص اليهودية المقدسة

تكمن أهمية النصوص المقدسة لليهودية بتجاوزها لمغزاها الديني بكثير ، اذ ان ما تحويه هذه الوثائق القديمة في طياتها لا يقتصر على تعاليم الدين اليهودي فحسب ، بل يشمل كذلك التراث التاريخي والثقافي والاجتماعي لبني اسرائيل . . وترى مختلف الفئات في اسرائيل الحالية في النصوص المقدسة معاني متباينة . . . فالفئات المغالية في التدين تعتبر هذه النصوص دليلا روحيا واخلاقيا وعمليا في الحياة اليومية . . فيما تعتبرها الفئات العلمانية ذخرا تاريخيا وحضاريا يمكن ان تجرى بشأنه ابحاث ودراسات نقدية .

وتحتل القصص والافكار والمباديء الفلسفية الكامنة في النصوص المقدسة والتي تمتد على ألاف السنين من الفكر والدراسة مكانا بارزا في الجزء الاكبر من الثقافة الاسرائيلية الحديثة التي تستمد الكثير من مضامينها من التراث الحضاري القديم وان كانت تعبر في نفس الوقت عن مواضيع وقضايا الحاضر .

التـــوراة

التوراة هي أساس كافة النصوص اليهودية المقدسة وتشمل – بالمفهوم الاساسي المحض – الاسفار الخمسة للنبي موسى عليه السلام ، والتي تسرد قصة الخليقة ، وميثاق الله مع ابراهيم وذريته ، وقصة الخروج من مصر ، والتجلي على جبل سيناء (حيث تم استلام الوصايا من قبل موسى عليه السلام) وكذلك تجوال بني اسرائيل في الصحراء (التيه) قبل دخولهم الى الارض المقدسة بوقت قصير .

الرسالة الرئيسية للتوراة هي وحدانية" يهوه "المطلقة ، خلقه للعالم وسهره عليه ، اذ تعيد سرد تاريخه وتحدد التعاليم الاساسية التي ترشده وتتنبأ بمصيره وتحمل التوراة في نفس الوقت رسائل عالمية تتعلق بوحدانية الاله وبالسلوك الاجتماعي ، كانت لها تأثيرات على الحضارة الغربية ، الامر الذي جعل التمييز بين الحضارات الغربية والحضارات اليهودية امرا صعبا فكلاهما متأثر بالاخر بشكل قوي للغاية . . . لذلك نرى ان التوراة هي مصدر بعض التقاليد التي لا تقتصر على اليهود وحدهم مثل اعتبار يوم السبت يوم راحة ، فانه يوم راحة ايضا لدى الشعوب الغربية وغير الغربية . . .

كلمة توراه تعني " تعاليم " وتستعمل الاسفار الخمسة كلمة توراه بمعنى مجموعة معينة من التشريعات ، وبهذا الاستعمال يكون معناها " قانون " وكثيرا ما تترجم بموجب التعاليم اليهودية – كما اعتبرت على مرّ العصور – نصا من وحي الاله "يهوه" . من جهة اخرى يعتقد الكثيرون من العلماء والمفكرين اليهود المحدثين بأن التوراة هي نصوص وضعها عدد من المؤلفين وجمعت بالتدريج على مدى فترة طويلة، اي انهم يعتقدون بأن التوراة بلورت التاريخ اليهودي وانها تشكل حصيلة هذا التاريخ بمجمله ، بغض النظر عن كونه تاريخا اسطوريا .

الكتاب المقدس

يعرف الكتاب المقدس (العهد القديم) بالعبرية بـ " التناخ " وتتكون الكلمة من الحروف الاولى لمجموعات الكتب الثلاثة التي يشملها الكتاب المقدس : الاسفار الخمسة (توراة) الانبياء (نفيئيم) والكتب المدونة (كتوفيم) . يشتمل الكتابان الاخيران على تسعة عشر سفرا ، معظمها بالعبرية . . . ومع ذلك فان أجزاء كبيرة من الـ " كتوفيم " وردت بالآرامية وقد تم تأليفها خلال مئات السنين – منذ الفترة التي سبقت دخول بني اسرائيل الى بلاد كنعان (فلسطين) في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى بعد عودة اليهود من بابل الى اورشاليم (القرن الخامس قبل الميلاد) تشمل اسفار الانبياء نصوصا تاريخية تمتد على طول الفترة الواقعة بين استيطان اليهود في ارض الكنعانيين العرب كما تشمل العظات الاخلاقية والدينية للانبياء (بينهم ارميا واشعيا وحزقيال) وتنطوي هذه النصوص على قطع شعرية دينية وعادية وقطع من ادب الحكمة والكتابات التاريخية .

والتاناخ هو مجموعة القوانين اليهودية التي تمت بلورتها بصورتها النهائية في الفترة الواقعة بين السبي البابلي والقرن الاول الميلادي ، ولم يشمل الحاخامون الذين شاركوا في تحديد المضمون النهائي للكتاب المقدس ، اذ لم يعتبروها ذات ايحاء الهي ويختلف الكتاب المقدس اليهودي (العهد القديم) عن الكتاب المقدس المسيحي (الانجيل) بأنه لا يشمل العهد الجديد كما ان هناك اختلافا طفيفا في ترتيب تقديم الانبياء وتم تحديد العلامات الصوتية المتميزة (لتبين النطق والانشاد) في القرن العاشر الميلادي .

يستعمل الناسخون لنصوص الكتاب المقدس التي تستعمل لاغراض الطقوس الدينية في الكُنُسُ (المعابد) ادوات عتيقة (الرق والريشة) ويحرصون اشد الحرص على عدم ادخال اي تغيير على النصوص . . . واكثر المخطوطات قدما المعروفة لدينا هي مخطوطات البحر الميت التي كُتبت قبل العصر الميلادي بقليل ، وهي مطابقة تماما للنصوص التي يتم نسخها ايامنا هذه .

لقد حظي الكتاب المقدس بأكبر عدد من الترجمات في العالم . . . فقد ترجم بأكمله الى اكثر من مائتي لغة ، في حين ترجمت اسفار معينة منه الى حوالي الف لغة لتقرأها شعوب مختلفة . وكان اول ترجمة للكتاب المقدس " الترجمة السبعينية " في بداية القرن الثالث قبل الميلاد وهي ترجمة الى اليونانية قام بها ٧٢ عالما يهوديا في ٧٢ يوما لتستخدم في مصر القديمة ومع ان احدا لا يدخل اي تعديل او تغيير على نصوص الكتاب المقدس لكونها نصوصا دينية ، فقد

نشأ في القرن التاسع عشر الميلادي فرع اكاديمي جديد يُدعى الدراسة النقدية للكتاب المقدس ، ينتهج نهجا تاريخيا نقديا ، وانتج الدارسون في هذا المجال كمية هائلة من الدراسات والتحليلات .

تفسيرات الكتاب المقدس

ظهرت في اعقاب التوراة تفاسير عديدة تعد ضمن النصوص اليهودية المقدسة وتعود التفسيرات اليهودية الاولى الى القرن الثاني قبل الميلاد حين حلت الآرامية محل العبرية كلغة متداولة . . . ومع ان هذه التفاسير تعرف بأسم (ترجوميم) اي (تفسيرات) فانها تحمل صيغة تفسيرية وتشتمل على مقطوعات من التفسير ومن الاساطير . . . وتوجد تفاسير (ترجوميم) لجميع اسفار التوراة ، فيما عدا تلك التي تم تدوين الجزء الاكبر منها بالآرامية .

انتقلت تفاسير الحاخامين من عصر التلمود الى يومنا هذا ، وكانت الغاية منها في كثير من الاحيان تسهيل استيعاب نصوص الكتاب المقدس والتفاسير المتعلقة به للجمهور في القرون الوسطى وبعد ذلك في العصر الحديث ايضا وتتناول التفسيرات نواحي مختلفة تتراوح بين النص المقدس سواء كان ذلك حذفا او ظاهرة نحوية غريبة او خطأ في الكتابة او حتى ظهور حروف ذي حجم مختلف . . . وقد تولد عن مثل هذه الامور كميات كبيرة من التفسيرات ويعتبر الحاخام سليمان بن يستحق المعروف بـ "راشي " الذي عاش خلال الفترة ١٠٤٠ – ١١٠٥ اشهر المفسرين للكتاب المقدس وقد حاول ايجاد توازن بين التفسير الحرفي للنص والمواعظ التقليدية للحاخامين .

المعلومات التي توفرت مؤخرا نتيجة الحفريات والمكتشفات الاثارية القديمة التي جرت وتمت على ايدي علماء الاركيولوجيا والتاريخ القديم لا تتفق كليا مع ما جاء في التوراه حيث ان التوراة كما ذكرنا في صدر هذا الكتاب ، تسرد تاريخا اسطوريا ينقصه ايضا التسلسل الزمني . . اما التاريخ المقارن المكتشف حديثا فأنه يقوم على حقائق علمية ثابته نرى ان نستعرض فيما يلي . .

دور النبي موسى عليه السلام

أسفار التوراة تسرد باسهاب اعمال النبي موسى عليه السلام خصوصا اسفار العدد والخروج وتثنية الاشتراع . . وتعطي انطباعا بأن موسى كان الموصل الضخم الذي تدفق من خلاله البهاء الالهي الى قلوب وعقول الناس . . ولكن المؤرخين والعلماء يرون موسى انه شخص اصلي اصبح تقدميا من خلال التجارب التي كانت غالبا مرعبة ونبيلة في ذات الوقت . . فكانت قوة خلاقة قلبت العالم رأسا على عقب . . معتبرين المباديء اليومية المقبولة للاجيال التي لا تحصى وتحويلها شيئا جديدا وبالتالي ربما يصبح العالم مكانا مختلفا ولن يكون هناك عودة الى الطرق القديمة لرؤية الاشياء . . لقد صور موسى الحقيقة التي اعترف بها كبار المؤرخين بأن الجنس البشري يتقدم بخطى ثابته وبصورة غير ملموسة ولكنها احيانا تحدث قفزات عملاقة غالبا ما تكون نتيجة الدفع الانفرادي الديناميكي خارج نطاق الشخصية . . وهذا ما اثار مجادلات المؤرخ اليهودي الالماني " فيلهاوزن" ومدرسته حول موسى فيما اذا كان خيالا وان القانون الموسوي ما هو الا فبركة من كهان السبي البابلي خلال النصف الثاني من الالفية الاولى قبل الميلاد . وجهة نظر لا زال بعض المؤرخين يؤمنون بها وقد بلغ الشك حدود التعصب وتخريب السجلات البشرية .

سلطة موسى وقوته كانت ابعد من قوة العقل البشري التي تخترع ، فقد قفزت قوته من صفحة الروايات في التوراة التي فرضت نفسها على الناس الصعبين والمنتقسمين . . الذين كانوا على كل حال افضل من الرعاع المخيفين . . لهذا كان من الضروري الملاحظة بأن موسى لم يكن بأي حال انسانا مثاليا في نظرهم . . الكتّاب والعلماء اليهود يقاومون الرغبة الآثارية لتأليه شخصية مؤسسته خرجت على طريقهم لتؤكد الضعف البشري في فشل موسى . . . الا انه لم تكن هناك حاجة حيث ان كل هذا موجود في السجلات . . ربما كانت اهم المجالات المقنعة من اقوال التوراة بطريقة تظهر موسى مترددا وغير ثابت لدرجة اقتراف الخطأ والحماقة والرأس العنيد وسرعة الغضب واحساسه بالتقصير . . فان ذلك نادر الحدوث لرجل عظيم ان يعترف بهذه الحقيقة اذ يقول " انا بطيء في الحديث ولي لسان بطيء ايضا وعندي نقص في النطق والتعبير مما يعيق امكانية اعطاء القوانين " وما يزيد في تخيلات موسى كأنعزالي ويائس وشخصية غير مؤهلة لتكافح باثقال للدور الضخم الذي قبل به رغما عن ارادته فكان يفترض ان يؤديه بأمانة . . . في سفر الخروج الاصحاح ١٨ يظهره وهو يقوم بممارسة الحكم في بني اسرائيل من ساعات الفجر الاولى

الى الشفق . . يستمع الى القضايا التي يعرضها الناس . . . حماه (والد زوجته) النبي شعيب عليه السلام واثناء زيارة له سأله غاضبا " لماذا تجلس انت الوحيد وكل الناس يقفون حولك من الصباح حتى المساء ؟ " اجاب موسى بقلق " لأن الناس يأتون اليّ كي احكم بين الواحد والآخر " فيقول شعيب " أن الشيء الذي تفعله ليس جيدا . . انك بهذه الطريقة سوف تهلك انت وهؤلاء الناس سوف يهلكون معك " وهكذا اقترح عليه اقامة محكمة قضائية دائمة كي يتولى امرها قضاة محترفون ويكون موسى رجلا معتدلا يتمتع بالشهامة ويعطي الاستشارات الجيدة . .وكما اقترح الرجل العجوز شعيب فعل موسى .

كما جاء في التوراة كان موسى شخصية تتمتع بمزيج من الجاذبية والبطولة فكان الانسان الذي تعامل بيقين هائل مما يعطي عدة انواع من الشك ، فيكون احيانا في اوضاع محيرة . . .ونظرا لوضعه كان عليه ان يحتفظ بواجهة شجاعة من المعرفة غير المحدودة لأنه ينبغي ان يحافظ على الحشد الانقسامي متماسكا . فكان مرغما على ان " يثور " بثقة حتى عندما لا يكون متأكدا من قساوة الامر . هكذا كان تصوره صارما وقوله " دع القانون يطوي الجبل" هارون كان محبوبا اكثر من اخيه موسى . . حيث انه عندما توفي هارون الجميع بكوا عليه ولكن عندما توفي موسى لم يبك عليه سوى رجاله . . ربما يكون قراء التوراة اليوم لديهم فكرة اوضح عن شخصية موسى اكثر من الرجال والنساء من اتباعه موسى لم يكن الوحيد من ذوي النفوذ والتأثير على اليهود قبل المسيح ، انما كان ايضا الوحيد الذي له تأثير على العالم القديم . . الاغريق خلطوا بينه وبين ألهتهم الخاصة وابطالهم . . خصوصا الاله " هيرموس " والاله " موسانيوس " . .والى موسى يرجع الفضل في اختراع الكتابة العبرانية ، وفي التمهيد لمخطوطة فينيقية وايضا كتابات اغريقية اخرى الاخرى . وايضا يرجع الفضل اليه في تنظيم الحكومة المصرية وباختراع كل انواع الآليات الحربية والصناعية . .الفيلسوف الاغريقي "ارسطو" اعتقد ان "هومر" و "هسيود" اخذوا الايحاء من اعماله . . فكانت هناك نظرة عامة بين الكثيرين من الكتّاب القدماء ان البشرية ككل والحضارة الاغريقية بالذات مدينة بالكثير لافكاره . . وليس مستغربا ان يتتبع الكتاب اليهود آثار موسى كمهندس للثقافة القديمة. "يوسفوس" يقول انه اخترع كلمة " القانون " التي لم تكن معروفة لدى الاغريق وكان المشرع الاول في تاريخ العالم . " فيلو " اتهم الفلاسفة الاغريق المشرعين بسرقة او نسخ افكاره . وما يزيد في التعقيد ان الكاتب الكافر "ناميتيوس" في القرن الثاني الميلادي اتهم " فيلو " بأنه موسى المتحدث بالاغريقية . .

الكتّاب القدماء لم يكونوا حتى مجرد مقتنعين بوجود موسى فحسب ،بل رأوا فيه ايضا شخصية تكوينية لتاريخ العالم .

هناك ميل من الكتاب الكفرة ومنذ النصف الاخير للألفية الاولى قبل الميلاد ان يروا شخصية موسى شخصية مؤذية . . من واقع اعتقادهم بأنه خلق شكلا من الدين الغريب والضيق والانعزالي وغير الاجتماعي . . وكان موسى يتهم بشدة في تأجيج معاداة السامية " هيكانيوس " في القرن الرابع قبل الميلاد كتب تاريخ مصر (المفقود الآن) اتهمه بعزل اتباعه عن الناس الآخرين . . وشجع على كراهية الغرباء . " مانيتو " ٢٥٠ سنة قبل الميلاد وضع اسطورة تقول بأن موسى لم يكن يهوديا البتة ولكن كان مصريا . الكاهن المتمرد في "هيليوبوليس " (مصر الجديدة) امر اليهود ليقتلوا جميع المصريين وان ينهبوا ماشيتهم وان يقيموا حكم الغرباء . . ظاهرة هذا الكاهن المتمرد الغامضة ادت الى تمرد المنبوذين . . . وفي العصر الحديث جاء الفيلسوف والمفكر اليهودي " سيغموند فرويد " فيقول في كتابه " موسى والتوحيد " الذي صدر قبل وفاته بوقت قصير ، ان افكار واراء مانيتو صحيحة اذ لم يكن موسى يهوديا واردف يقول " حتى لو افترضنا ان موسى كان يهوديا الا انه لا ولن يتخلق باخلاق بني اسرائيل الذين نعرفهم الآن وان افكار موسى الدينية استنتجت من توحيد عقيدة "عبادة الشمس " التي كان يتبعها الملك "اخناتون" السؤال الذي استمر العلماء طرحه هو : من اي مصدر حصل موسى على افكاره ؟ وفيما اذا كانت افكار دينية ام قانونية ؟ في الحقيقة ان اعمال موسى يمكن ان يؤكدها الرفض القاطع لكل شيء مثل هجرة ابراهيم الخليل من " اور وحاران " الى بلاد كنعان . . . وينبغي ان لا نخمن ان بني اسرائيل قد هاجروا من مصر حسب املاءات ودوافع معيشية . . فتلك الهجرة الجماعية لم تكن بسبب صعوبة العيش وهناك اشارات في التوراة بأن صعوبات المعيشة يمكن تحملها . فالحياة في مصر على طول الالفية الثانية قبل الميلاد كانت محمولة كما كانت صعوبات معيشة في اماكن اخرى في الشرق الادنى . . لهذا فان دوافع الهجرة الجماعية لم تكن اقتصادية او بسبب المعيشة الصعبة بل كانت حقيقة سياسية فقد كان بنو اسرائيل في مصر اقلية بليدة . . فتح باب الهجرة الجماعية جعل فرعون يقول لشعبه " ان الاسرائيليين اصبحوا اقوى منا بكثير . . تعالوا دعونا نتعامل معهم بحكمة لئلا يتضاعف عددهم بيننا " كانت مصر تخشى من اعداد الهيود فيها وكان هذا الخوف هو الدافع لاضطهادهم والذي كان قد صمم خصيصا ليقلل اعدادهم . . الاستعباد الفرعوني للهيود كان استبدادا قاسيا وحتى ما يسمى " محرقة " يعني وجود شبه مزعج بين هتلر الالماني وبين فرعون مصر كما يدعي الكتّاب اليهود كانت الهجرة

الجماعية من مصر نوعا من الانفصال السياسي ولكنها ايضا كانت وفوق كل شيء عمل ديني . . . كانت بالنسبة لبني اسرائيل مميزة وكان المصريون يرونهم ويخشوهم كوحدة مميزة . . بالضبط لأنهم رفضوا الالهة المزدوجة من الهة المصريين . . ورفضوا الروحانية المصرية كاملة التي بطريقتها كانت تلوح في الافق كدين جديد لاسرائيل . . . . تماما كما شعر ابراهيم الخليل ان ديانة " اور "كانت وصلت الى طريق مسدود . . هكذا كان لبني اسرائيل زعيمهم موسى الذي وجد المعتقدات الدينية المصرية وممارستهم لا تطاق وبغيضة وشريرة . . ولكي يتركوا كان يجب كسر ليس فقط الاستعباد المادي ولكن كسر سجن روحي بلا هواء يتنفسونه . . ويقولون ان رأس اسرائيل كانت تشتهي اوكسجين اقوى من الحقيقة وطريقة حياة تكون حرة وطاهرة بمسؤولية اكبر . . الحضارة المصرية كانت قديمة جدا وهروب الاسرائيليين منها كان من اجل النضج . . . وفي عملية النضج هذه ، كما يدعي بنو اسرائيل انهم كانوا بالنهاية ليس لانفسهم فقط بل لكافة الانسانية على الكرة الارضية . . . . . اكتشاف " التوحيد " لا يعني توحيد النفس فقط بل توحيد العلي القدير "يهوه " من واقع المباديء الخلقية والبحث بطريقة منظمة ليفرضوها على الجنس البشري . . فكانت واحدة من نقاط التحول في التاريخ وربما اكبرها .

معروف عن المصريين انهم مهرة فوق العادة في استعمال اياديهم ، كما ان لديهم مذاقا غير معصوم ، لكن ظواهرهم كانت غامضة وقديمة لاقصى درجات القدم . . فوجدوها صعبة او من غير الممكن ان يعتنقوا مباديء عامة لأن لديهم احساس تراكمي كمعارضين للتكرارية في اعتناق التاريخ . . . مبادئهم التميزية بين الحياة والموت ، بين الانسان والحيوان كانت هشة وغير مأمونة النتائج . . معتقداتهم لها عمومية الديانات الدائرة الخاصة بالشرق وافريقيا اكثر من اي شيء آخر من المعتاد ان يسموه " ديانة " .السماء والارض كانتا مختلفتين في الدرجة وليس في النوع وان السماء يحكمها ملك جسّده الملك الاله رعمسيس الثاني . . واعتبار فرعون الاله الارضي . . المجتمع في السماء والارض كان مستقرا وثابتا وكان بالضرورة ان يكون هكذا واي شكل من اشكال التغيير كان يؤخذ على انه شاذ وشرير . . وكانت هذه من خصائص المجتمع الثابت الذي لم يكن لديه احساس بالقوانين غير الشخصية . . لهذا لم يكن اي تدوين لقانون الفرعون المصدر لسيادة القانون واحكامه . . . بطبيعة الحال كانت هناك محاكم تلتئم بشكل مفوض لتنفيذ الاحكام التعسفية .

من جهة اخرى كانت وجهة نظر العالم تتجه نحو الثقافات العراقية القديمة (بلاد ما بين النهرين) خلال الالفيتين الثانية والثالثة قبل الميلاد وكانت ثقافات اكثر ديناميكية ولكنها اكثر ارتباكا في ذات الوقت . . فقد رفضت شعوب

بلاد ما بين النهرين ظاهرة الاله الفرد كمصدر نهائي للسلطة على عكس المصريين الذين كانوا باستمرار يضيفون آلهة الى الالهة المتبعة في حالة بروز صعوبات دينية واعتقدوا ان جميع الالهة الرئيسية قد خلقت وان مجتمعات تلك الالهة مارست السلطات النهائية في اختيار رئاسة الاله مثل " مردوخ " وفي جعل الانسان لا يموت عندما يرغب بذلك . . السماء ايضا كانت في وضع مستمر من عدم الاستقرار مثل المجتمع البشري الذي كان نسخة طبق الاصل عن الآخر . . ولكن الملك الارضي ليس إلاها ، وكان نادرا في مجتمعات بلاد الرافدين (العراق) . . المجتمع الذي كان في تلك المرحلة يؤمن بالملك الإله . . ولم تكن تعتبره هو المطلق بل كان ينتسب الى الالهة . . الملك لا يستطيع ان ينفذ او يتصرف بالقانون بتعسف وفي الحقيقة كان الافراد يتمتعون بحماية القانون الكوني الذي لا يتبدل في مجالات المخطوطات كانت تنتشر في بلاد ما بين النهرين واصبحت مهمة جدا . . وكان الناس يطورونها الى اشكال اكثر كفاءة من الهيروغليفية المصرية ومشتقاتها وقد رأوا ان الاختراع مصدر سلطة وقوة . . واعتقدوا انهم بذلك يكتبون قانونا مدعما بالقوة منذ نهاية الالفية الثانية قبل الميلاد فصاعدا وقد نما النظام القانوني بكثافة وتعقيد ولم ينعكس هذا على الجماهير فحسب بل وايضا على القوانين المرعية المدونة . . فانتشار المخطوطات الأكيدية ولغتهم شجعت الحكام على تجميع قوانينهم في مجتمعات منفصلة جغرافيا مثل " عيلام وتوليا " وبين الحثيين واوغاريت في سواحل البحر المتوسط لذلك كان يعتقد ان اول نسخة من القانون الموسوي عرفت حوالي العام ١٢٥٠ قبل الميلاد وانها كانت تمثل جزءا من التقاليد القديمة . . القانون الاول الذي تم اكتشافه بين النصوص في متحف الشرق القديم في اسطنبول بتركيا ، يرجع تاريخة لعام ٢٠٥٠ قبل الميلاد . اعمال " اورمامو " ملك سومر وأكاد من العائلة الملكية الثالثة في "اور" تذكر فيما بين الاشياء الاخرى ان الاله " نانا " اختار "اورمامو" ليحكم بالقانون وتخلص من الرسميين غير المخلصين . . وكان ابراهيم الخليل يعرف نصوص تلك القوانين . . وهناك قانون آخر ربما يكون ابراهيم على علم به ايضا يرجع تاريخه الى عام ١٩٢٠ قبل الميلاد والان يوجد لوحان في المتحف العراقي يرجعان الى مملكة " اشنونيا " القديمة بكتابات عليهما بالاكيدية وتشمل حوالي ستين مادة في قانون الملكية الفردية (التملك) وضعت من قبل الاله " تشكباك" وانتقلت الى الملك المحلى فيما بعد وهناك الواح يرجع تاريخها الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد موجودة بشكل رئيسي في جامعة بنسلفانيا الامريكية . . تتحدث عن قانون الملك "لبت– اشرار" ملك " ايدي " مكتوبة باللغة السومرية واكثر ما يلفت النظر ان قانون " حمورابي " وجد عام ١٩٠١ الميلادي في " سوسا " شرقي بابل على الواح يبلغ ارتفاع اللوح ٦ اقدام من من مادة الديوريت توجد الان

في متحف اللوفر بفرنسا ويرجع تاريخه الى الفترة من (١٧٢٨ – ١٦٨٦) قبل الميلاد . . وهناك ايضا قوانين اخرى متأخرة تشكل مجموعة من الواح خزفية اكتشفها الاركيولوجيون الالمان في السنوات التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الاولى في قلعة " شيرغات في " آور القديمة " التي يحتمل انها ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد والتي ربما تكون الاقرب الى قانون موسى الاصلي .

اما فيما يتعلق بجمع وتصنيف القانون الاسرائيلي ، كان لدى موسى سابقة كافية باعتباره كان متعلما وقد احضر للمحكمة ليضع القانون كتابة وينقشه في الحجر وكان ذلك جزءا من العمل التحرري للهروب من مصر حيث كان القانون الموسوي جزءا من النظام الاساسي للقانون في آسيا وهو بالتالي جزء من تقاليد الشرق الادنى مع اختلافه عن جميع القوانين القديمة التي منها الكثير اساسي غير انه يقال بأنها قوانين روحانية من الله اعطيت للملوك الافراد مثل : حمورابي" او " عشتار " لذلك يكن الغاء هذه القوانين او تبديلها في في الاساس علمانية . . بالتباين مع التوراة فالاله وحده هو الذي وضع القانون والتشريعات الموجودة في اسفار موسى الخمسة وجميعها له . . . ولم يكن يسمح لأي ملك اسرائيلي ولا حتى ان يحاول ان يشكل قانونا . . موسى وحزقيال النبي فيما بعد نقلا فقط التصحيحات القانونية وكان حزقيال نبيا وليس ملكا ووسيطا الهيا وليس مشرع احكام . من هنا في قانونه لا يوجد اي تمييز بين المتدين والعلماني فجميعهم واحد امام القانون او بين القانون المدني والقانون الجزائي والاخلاقي كان لهذا الترابط نتائج عملية هامة . . في النظرية القانونية الموسوية ان كسر القوانين فيه الاساءة الى الاله . . وجميع الجرائم هي آثام وهذا قطعا نوع من الذنوب الخارجة عن سلطة الانسان . . فهي لا تمحى ولا يمكن التسامح فيها . . التعويض او العودة الى الوضع السابق للمعنويات التي تعرضت للأذى لا تكون كافية . فأن الاله يطلب الكفارة ايضا وهذا ربما يتضمن عقوبات خطيرة . معظم القوانين المدونة لبلدان الشرق الاخرى القديمة هي ملك شعوب المنطقة نفسها خصوصا القانون الالهي المتعلق بقانون الملكية الفردية التي يمكن ان تفقد قيمتها . . فهو قانون موجه من الاله . . فعلى سبيل المثال الزوج ممكن ان يعفو عن زوجته ان هي اقترفت جريمة الزنا وان يعفو عن عشيقها . القانون الموسوي بالتباين مع القانون الالهي يصر على توقيع عقوبة الموت بالزانية وعشيقها . . ايضا القوانين الاخرى تشمل حقوق الملكية الفردية والعفو حتى في القاضايا الكبرى . . والتوارة لا توجد علاجا كهذا ولا تلغي او تفسخ قانون الاقتناء . على اية حال لا يستطيع المجرم الفرار من عقوبة الموت بدفع المال خصوصا عندما يكون ضحيته عبدا من عبيده او خادما من خدمه . . وهناك الكثير من الجرائم التي تغضب الاله . . ففي هذه الحالة مهما كان

التعويض المالي كبيرا لن يمحو غضب الاله . . . اذن فأن القوانين تهدف الى منع القتل والاصابة والسلوك غير السوي كذلك بالمؤذي في الحالات الاعتيادية يدفع ما قد تقرره المحكمة . . . وهذا لا يتعارض مع القانون الموسى . . حين قيام الرجل بضرب امرأة ويتسبب باجهاض جنينها في حادث ما وفي كل القضايا الاقل درجة فالعين بالعين والسن وبالسن واليد باليد والقدم بالقدم وهي فقرة قانونية اسيء فهمها والتي بكل بساطة تعني ان تعويضا مشددا عن الاصابة يصبح مستحقا على المتسبب . ومن جانب آخر بينما تكون درجة ذنب الاصابة جسمانية وتكون عارضة ففي هذه الحالة تخضع لقانون الجزاء ويجب تنفيذه . . مثلا اذا نطح ثور انسانا وتسبب في موته فأن صاحب الثور يعاقب اذا كان يعرف ان هذا الحيوان (الثور) خطير ولم يقم باتخاذ الاجراءات السليمة وان الرجل قتل نتيجة لاهمال صاحب الثور يتحمل صاحب الثور عقوبة الموت وهذا النص يعرف بقانون " الثور الناطح "مما يشهد الى حد كبير اهمية القانون الموسوي بالنسبة لحياة الانسان .

هناك مفارقة فيما يتعلق بالعقوبة القصوى في القانون الموسوي حيث ان الانسان خلق على هيئة الاله ، لهذا فان حياته لها قيمة فقتل الانسان هو اعتداء محزن جدا للاله يتطلب اقصى العقوبات وخسارة الحياة يجب ان تتبع . المال لا يعني شيئا ولا يكفي لعقاب المجرم . حيث ان عقوبة الموت تؤكد قدسية حياة الانسان . . . بموجب القانون الموسوي الكثير من الرجال والنساء افلتوا من عقوبة الموت بسبب تسهيل القوانين العلمانية في المجتمعات المحيطة بالمجتمع الموسوي فتلك القوانين العلمانية بكل بساطة سمحت بتعويض الضحية او عائلته . .ولكن العكس هو الصحيح ايضا ونتيجة الى نفس البداهة حيثما تقضي القوانين الاخرى بعقوبة الموت للعدوان على الممتلكات مثل : النهب اثناء وجود الحريق في البيت او تجاوز خطير في الليل لحرمة البيوت او سرقة الزوجة . . حيث القوانين الموسوية لا يكون الاعتداء على الممتلكات تنطبق عليه العقوبة القصوى – عقوبة الموت – حيث ان حياة الانسان مقدسة جدا وحيث ان الذي تعرض للاعتداء هي ممتلكات وليس اشخاص . . . ايضا يرفض عقوبة " البدل" كما ان الاعتداء على الوالدين لا يؤدي الى عقوبة الموت للاولاد والبنات او جريمة الزوج بجنوح الزوجة الى الدعارة . . . ابعد من هذا ليست الحياة البشرية وحدها مقدسة ليس لأن الانسان خلق على هيئة الاله فحسب بل لأنها ثمينة . . . هذا ويعامل القانون الموسوي جسد الانسان برفق ايضا ويدرج على قائمة مجموعة العقوبات وتشمل تشوية الوجه ، الخصي ، التطويق والجلد حتي الموت . . . بهذا يقلل من قيمة القسوة وحتى الجلد كان قد حجم وحدد باربعين جلدة . . وامام القاضي لئلا يزداد الجلادون في هذه العقوبة . . ومسألة اخرى حقيقية هي ان

القوانين الموسوية كانت انسانية اكثر من اية قوانين اخرى لأنها قوانين موحاة من الاله وبشكل اوتوماتيكي اصبحت موجهة من الانسان .

الشيء الآخر في الزمن الموسوي والتاريخ الطويل هو " الختان " الذي لم يكن سائدا بين الكنعانيين والفلستينوس او الآشوريين او البابليين . . . استعمله فقط الادوميون والمؤآبيون والعمونيون . . وهكذا فعل المصريون ولكن ليست هذه المجتمعات علقت اهمية كبيرة على تلك العادة (الختان) وكان البعض يعتقدون انها اختفت او تلاشت في الالفية الثانية قبل الميلاد ، وهذا بطبيعة الحال يشهد على قدم عصور العادات الاسرائيلية ويشد ايضا على عهد ابراهيم لجزء من ميثاقه وان ما ذكر مقدما يشهد على عمق القوانين اليهودية التي جاء بها موسى عليه السلام

التوراة الشفاهية

التوراة الشفاهية هي تفسير تحليلي للتوراة المدونة . . . وتفيد التقاليد الموروثة ان التوراة الشفاهية انزلت على موسى في جبل سيناء ثم نقلت أبا عن جدّ بواسطة خيرة القوم والزعماء الدينيين . . مع بدء القرن الثاني قبل الميلاد وخاصة بعد تدمير الهيكل المقدس الثاني اخذت تقاليد وتفاسير مختلفة تنتشر بين الناس ، فبادرت الزعامة الدينية الى تصنيف التفاسير وتحريرها . . وأسفرت هذه المبادرة عن مؤلف قام بتحريره وتنظيمه الحاخام يهودا هاناسي (القرن الثاني للميلاد) وَسُميّ " المشنا " وهي كلمة تعني " التكرار او التعليم " والحكماء الذين ترد تعاليمهم من المشنا يعرفون باسم " تنائيم " واستمر عصر التنائيم الذي تم خلاله جمع مواد المشنا منذ تدمير الهيكل المقدس الثاني حتى بداية القرن الثالث للميلاد .

وتنقسم المشنا الى ستة ابواب يضم كل باب منها فصولا يقدر عددها عادة بـ ٦٣ فصلا ويشمل كل فصل عدة فصول ثانوية ، تنقسم بدورها الى عدد متباين من التعليم يُعرف كل منها ايضا باسم مشنا (تجمع على مشنايوت) بالعبرية . هناك مواد اخرى من تلك الفترة المتدرجة في المشنا ولكنها توجد في "التسوفتا " او في التعاليم الاضافية المعروفة باسم "براتوت " والواقعة ضمن مجموعتي التلمود وتكاد كتابة المشنا والمادة الاضافية تقتصر على اللغة العبرية . . . وتعتبر المشنا كذلك مصدرا هاما فيما يتعلق بطقوس الهيكل المقدس والعادات والتقاليد التي كانت متبعة في تلك الفترة حين ظهرت المشنا قامت مجموعة من الحاخامين عرفوا بالامورائيم (بين القرنين الثالث والسادس للميلاد) بمناقشة هذا المؤلف والزيادة عليه وادخال التعديلات والتوفيق بين امور كانت تبدو كأنها متناقضة . . . فكانت حصيلة هذا الاجتهاد " الجمارا " وتشكل الجمارا والمشنا معا " التلمود " تجمع بالعبرية على " تلموديم " وتعني هذه الكلمة " الدراسة "

هناك تلمودان : التلمود الاورشليمي ، تم جمعه في فلسطين والتلمود البابلي ويشمل لتلمود البابلي ٣٧ فصلا من مجموع ٣٦ بابا ، كما ترد فيه العديد من المؤلفات المتأخرة وهو يشمل ٢.٥ مليون كلمة في ٨٩٤٤ صفحة . . اما التلمود الاورشليمي فانه يختلف في مبناه وهو اقصر من التلمود البابلي بالغ الايجاز وقد يكون ملغزا احيانا ، ويتركز في الامور القانونية . . . في المقابل يحوي التلمود البابلي كمية اكبر من مواعظ الكتاب المقدس وتفسيراته ومن الاسهل مواكبة مناقشته تلتزم الجمارا عادة بمبنى المشنا ولكنها تتفرع بالاستطراد وتداعي الافكار الى شؤون

اخرى . .وهكذا يتكون مزيج من الملاحظات ذات الطابع الحرّ – قد تكون في القانون او الاخلاق او طرائف مختلفة . وجاءت صياغة جزء كبير من التلمود بالآرامية خلافا للمشنا ونظرا للطابع الخاص للتلمود وكونه القاعدة للإفتاءات الدينية التي ينطبق الكثير منها على الحياة اليومية فأن التفاسير بشأن هذا المولف وافرة . . ويتسم الاسلوب المتبع في التلمود بطابع المحادثة او باسلوب الحذف على غرار " ملاحظات للمحاضرة " وقد تكون لنصوص التلمود – خلافا لنصوص الكتاب المقدس – اوجه مختلفة للقراءة ، كما تكثر فيها اخطاء الناسخين ، والاقتباسات غير الصحيحة والتعابير المنمقة التي تهدف احيانا الى التملص من رقابة متربصة ويحوي كل من التلمود الاورشليمي والتلمود البابلي – اضافة الى الهدف الديني الاساسي – معلومات هامة عن الاحداث والعادات واللغة في ذلك العصر لذلك فقد كان موضوع دراسة مفصلة وعميقة من جانب الدارسين المحدثين في التاريخ وعلم الديانات وعلم اللغات .

بدأت عملية التنظيم المنهجي للتلمود قبل ان يظهر في صيغته النهائية في بداية القرن السادس الميلادي بعدة اجيال ، وتعود اقدم المخطوطات القائمة اليوم في التلمود الى القرن التاسع ، واصدر دانيال بومبرج ، وهو مسيحي اول تلمود كامل مطبوع بين عام ١٥٢٠ – ١٥٢٣ وابتكرت دار نشره شكلا شكليا للتلمود ظل قائما حتى الآن دون ان يطرأ عليه اي تغيير ، بما في ذلك ترتيب الصفحات والنموذج الطباعي للتفاسير الرئيسية .

وقد تراكمت الى جانب المشنا والتلمود مجموعة من النصوص المخصصة لتفسير الكتاب المقدس والمعروفة باسم " مدراش " تجمع على " مدراشيم " في العبرية وتحوي اقدم نصوص المدراش نصوصا تفسيرية للحكماء من عصر " التنائيم " وتخوض هذه النصوص في الهلاخا (الفتاوى الشرعية) والاغدا (الاساطير) .

اقتصر تفسير التوراة في عصر الامورائيم على الشؤون المتعلقة بالاساطير (اغادا) وأهم مجموعة لتفسيرات الامورائيم هي (مدراش ربا) وتأتي فصوله حسب ترتيب اسفار الكتاب المقدس . . وتحوي تفسيرات حسب السطور مثلا : (براشيت – فايكرا ربا – عن اللاويين) .

تفاسير التوراة الشفاهية

ما ان اكتمل اعداد المشنا حتى تبينت الحاجة الى تفسير لها فجاءت الجمارا فيما بعد حين ظهر التلمود في صيغته النهائية واتضح ان هناك حاجة الشرح له وتبلورت التفاسير المنظمة الاولى للتلمود (وهي تختلف عن الملاحظات المحدودة) في القرن العاشر ، ويُعتبر تفسير راشي (الحاخام سليمان بن يتسحاق) من القرن الحادي عشر ، اكثر المؤلفات من نوعه انتشارا واعظمها تأثيرا . كتب الحاخام موسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤) اول تفسير شامل للمشنا بكاملها ، وهو مؤلف بالعربية ترجم الى العبرية في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي . . وتفاسير التلمود ، بما فيه المشنا اضافية الى حد انها تطبع بحروف صغيرة للغاية فتحتل نصف – ان لم يكن جل – الصفحات في مجلد عادي للتلمود . وفي صفحة عادية للتلمود يكون النص قصيرا محاطا بتفسيرين ، تفسير راشي وتفسير التوسافوت – وهو حصيلة مجهود الحاخامين في الفترة بين القرنين الـ ١٢ والـ ١٤ ويشير هؤلاء الى مواضع اخرى في التلمود . . . الايضاح يبدو فيها التباسا في هوامش الصفحة ، ويحيط بالتفاسير المذكورة تصحيحات للنصوص ، واشارت الى نصوص من الكتاب المقدس وملاحظات تخصصية مختلفة .

الكتابات المتعلقة بالهلاخا (التشريعات اليهودية)

مجموعة القوانين هذه لا تشكل المشنا ولا التلمود . . ونظرا الى ان الزعامة الدينية والجمهور العادي معنيون بمثل هذه المجموعة للاغراض الدينية ولادارة الطوائف المستقلة فقد قامت الزعامة الدينية في فترة ما بعد التلمود بتطوير نوع من " التحكم " سار في مسارين هما : الاسئلة والاجوبة . . . وضع مجموعة الفتاوى الرسمية ويستهدف كل من المسارين ادخال تحسينات على التلمود وصياغته في فتاوى واضحة في مجال السلوك الديني والمدني ، تكون مصحوبة برسائل ذات صفة روحية واخلاقية .

الأسئلة والأجوبة

الاسئلة والاجوبة هي بالنسبة للهيود " القانون غير المكتوب " ويعود نشأتها الى اسئلة وجهها اشخاص عاديون الى الحاخامين في فترة التلمود مع حلول القرن العاشر الميلادي ومع نمو الطوائف اليهودية في اماكن متفرقة من العالم ازداد عدد الاسئلة والاجوبة حتى بلغ عشرات الآلاف . . . وظهرت اول مجموعة مدونة من الاسئلة والاجوبة في النصف الاول من القرن الثامن الميلادي ، الا ان الحاخامين ذوو صلاحية البت لم يصدروا مثل هذه المجموعات في شكل كتاب ، كما يفعل الكثيرون الآن . وزيادة على كون الاسئلة والاجوبة توفر شرحا لتفاسير السلوك الشرعي والطقسي فانها تلقي ضوءا كبيرا على التاريخ اليهودي . وكلما كان قانون من قوانين الهلاخا يحظى بقبول واسع ، اتسع المجال وزادت الحاجة الى المزيد من الاسئلة والاجوبة . وتم اصدار مجموعات من الاسئلة والاجوبة تتلاءم مع ظروف الحياة المتباينة ، وحتى لمواجهة الاوضاع في معسكرات الاعتقال النازية (حد قولهم) وحظي بعض هذه المجموعات بدراسة عميقة حتى اصبح المؤلف يعرف باسم الكاتب الذي اصدرة .

مجموعة القوانين

مهما كانت مجموعات الاسئلة والاجوبة الشاملة فإنها لا تشكل بديلا لمجموعة قوانين ثابتة ومرجعية . وكانت الغاية من بلورة مجموعة قوانين تكون جهازا قانونيا للاستعمال العادي له طابع حاسم وتمتد جذوره الى المصادر الاولية . . فكانت اول مجموعة قوانين ملزمة ومرتبة حسب المواضيع المعروفة بإسم (هالاخوت بسوكوت– اي فتاوى) قد ظهرت في القرن الثامن الميلادي .

ويعتبر سفر هالاخوت (كتاب القوانين) الذي وضعه الحاخام يتسحاق بن يعقوب الفاسي (١٠١٠ – ١١٠٣) من معالم الطريق في هذا المجال . . فقد تم ترتيبه في ٢٤ فصلا تلموديا وهو يعالج القوانين التي كانت مستعملة في ذلك العصر فقط – فهو يُخرج عن نطاق البحث مثلا ، الطقوس الخاصة بالقرابين – بعد ذلك بفترة قصيرة صدر المؤلف القيم للحاخام موسى بن ميمون (هارامبام) مشني تورا ، هذا الاسم بحد ذاته يشير الى تكرار التوراة الشفاهية وجاءت صياغته بالعبرية المميزة للمشنا . . وعنصر الابداع في مشني تورا يكمن في انه يتطلع لأن يكون قائما بحد ذاته . وكان هارمبام يعتقد بأنه بعد ان يصب التلمود كله في فتاوى حاسمة لن يحتاج اليهود الى اي مؤلف سوى المشني تورا .

تعرض عمل موسى بن ميمون (هارامبام) لنقد شديد من بعض الاوساط بسبب ما اعتبروه تهورا من جانبه . وخلال القرون التي تلت صدور مؤلفه عكف الكثيرون من المهاجمين والمدافعين والمعلقين الحياديين على فحص ومناقشة المصادر التي استند اليها في بعض فتاواه ، ولكنه لم يذكرها . هذه العملية في حد ذاتها فعلت فعلا معاكسا لما طمح اليه هارامبام ذلك ان الطوائف اليهودية عامة – باستثناء يهود اليمن – لم تتبنّ مجموعة قوانينه على انها المصدر الوحيد لفتاوى الهلاخا .

وهنا ارى ان اكتب نبذة موجزة عن حياة موسى بن ميمون باعتباره فيلسوفا وعالما دينيا يهوديا قدم الكثير وكان من ابرز الفلاسفة في تهذيب العقلية اليهودية . .

ولد موسى بن ميمون في مدينة قرطبة في الاندلس في اليوم الثلاثين من مارس /آذار عام ١١٣٥ ميلادية . . وكان واحدا من اكبر المعلقين اليهود وحفيد الرباني " جودا " جامع المشنا . . كان والده قد تقدمت به السن عندما تزوج موسى ويقال انه دخل في حالة زيجية نظرا لأنه رأي في منامه عدة مرات متتاليه انه تزوج من ابنه (جزار) في المنطقة التي يعيش فيها وهي السيدة التي تزوجها فعلا فيما بعد .

كان موسى الابن الوحيد لوالده ، توفيت امه بعد ولادته وقد حزن والده عليها حزنا شديدا ثم تزوج بعد حوالي سنة من وفاتها من امرأة اخرى وانجب من الزوجة الجديدة عدة ابناء . . موسى لم يكن يحب الدراسة ايام شبابه ، الامر الذي جعل والده يحزن كثيرا وكل الجهود التي بذلت لاغرائه بأن يكون دارسا فشلت وكان اخوه يناديه بأبن الجزار كنوع من التوبيخ على بلادته واخيرا طرده والده من البيت بغضب . وسافر موسى بعيدا عن بيت والده وكان وحيدا حزينا بدون صداقة . . واثناء سفره وقع على ربّاني متعلم واعجب بحكمته ومعرفته . . . لهذا قرر ان يدرس بحماس ويحقق نجاحا . . . بعد سنوات اعلن عن واعظ جديد سيلقي محاضرة في المعبد وكان ذلك موسى بن ميمون وكان صيته وعلمه قد انتشر عبر اشاعات عديدة حول تعليمه الرائع وبلاغته في الخطابة . . والجميع كانوا شغوفين لسماعه في امور : الخلاص والرغبة والتأثير ، وقد برز على اولئك الناس الذين سبق وان استمع لهم ولاستغراب والده اعترف الرجال كل الذين كانوا تواقين لتكريم قريبهم المنبوذ في اول تعليق له على المشنا وقد انهى ذلك بالكلمات التالية :

" انا موسى بن ميمون بدات هذا التعليق حين كنت ابن ٢٣ عاما وانهيته عندما بلغت الثلاثين من عمري في ارض مصر " . . .الميمونيون كانوا قد فرّوا من اسبانيا الى القاهرة بسبب التعصب الديني او الاضطهاد هناك الذي تلا سقوط الاندلس العربية . وفي القاهرة درس اليونانية والكلدانية واصبح استاذا فيهما ، وذاع صيته وشهرته في كل البلاد المصرية . . وبمكانته العلمية ومعرفته العامة اعترف بهما على مستوى عالمي . . ومؤلفاته لم تقدر من اخوانه في الايمان فحسب ولكن من كل المثقفين والمتنورين في أيامه .

هرب من القاهرة بسبب تآمر اطباء الملك عليه فاوهموا الملك بأن موسى بن ميمون قد دس له السم في جرعة الدواء . . ولكي يثبتوا للملك تآمرهم . . احضروا كلبا امام الملك واعطوه الجرعة التي حضروها هم بانفسهم، فسقط الكلب ميتا . . فانطلت هذه الرواية الكاذبة على الملك الذي امر باعدامه غير ان موسى بن ميمون طلب مهلة ثلاثة ايام عله يأتي بجديد ووافق الملك على المهلة المطلوبة . . واثناء ذلك فرّ موسى من وجه الملك ولجأ الى كهف بعيد وهناك وضع مؤلفه الشهير (اليد القوية) " היד החזקה " وقسمه الى اربعين فصلا .

في هذا المؤلف الديني بسط بن ميمون القوانين والتقاليد الدينية اليهودية ووضحها بشكل جعلها سهلة الفهم للجميع وكان المؤلف المضني اعداده والذي عرف بـ " مشني توراه " او " القانون الثاني " الذي جرى نسخه ونشره بقوة . . كما كتب ايضا عدة مؤلفات ضد الكفر واكد فيها ان الله خلق الكون من العدم وعندما وصل سن الخمسين اعطى العالم عمله الكبير ممثلا في مؤلف باسم " نبوخيم "معلم المحتارين او معلم الحيارى . توفي موسى بن ميمون عن عمر يناهز السبعين عاما واحضر جثمانه ودفن في القاهرة .

ويعتبر الحاخام يوسف كارو (١٤٨٨ – ١٥٧٥) اعظم واضعي مجموعات القوانين في الفترة اللاحقة ، فقد جمع بين عناصر كتاب هارامبام وكتاب الفاسي ، الى جانب مؤلف يضم اربعة اجزاء للحاخام يعقوب بن أشير ، فاصدر مجموعة قوانين جديدة عنونها (شلحان عاروخ) بمعنى منضدة معّدة او مجهزة . . والشلحان عاروخ يتميز باسلوب اكثر اقتضابا وهو اكثر شمولا حتى من مشني تورا وهو يستغني عن ذكر المصادر كما يستغني عن الملاحظات الاخلاقية وتفاسير القوانين ، كذلك فانه يتجاهل العادات والفتاوى الخاصة باليهود الاشكناز وبغية اصلاح هذا النقص ، وضع الحاخام موشيه ايسرلس (عاش في بولندا ١٥٢٥ – ١٥٧٢) كتابا سماه " مفرش " لمائدة الحاخام كارو . نتيجة لهذه الخطوة ولتفسيرين صدرا في القرن السابع عشر – ما بين ابراهام وطوري هزهاف – اصبح الشلحان عاروخ الصلاحية الملزمة لجميع اليهود المتدينين تقريبا .

المذهب الباطني أو التصوف - الكبالا

يهتم المذهب الباطني في اليهودية بشؤون تقتصر على فئات صغيرة وتتجاوز الكتابات المعتمدة على العنصر القانوني . . . وتعتبر الكبالا مجموع الدراسات في اليهودية في هذا المجال خاصة تلك التي ظهرت في القرن الثاني عشر وبعده (وكلمة كبالا) مصدرها القابل بكسر الباء ومعناها (المعرفة التي تنتقل بطريق التراث) حين تستخدم بهذا المعنى الأكثر شمولا تعني كلمة كبالا المذهب الباطني اليهودي في كلتيه .

الكتابات الكبالية ادت الى بلورة " بيولوجيا باطنية يهودية " لها فروعها الثانوية ومصطلحاتها الخاصة بها ، وهي تبحث عن الألوهية في كل الاشياء وتتقصى اسرارها وتبحث في العلاقة بين ماهية الحياة الإلهية والحياة البشرية ومن مجالات الدراسة الهامة في الكبالا علم الملائكة وعلم الشياطين ، واوصاف الله واسماؤه الخفية وعلم الآخرة (اي يوم القيامة) أهم المؤلفات في الكبالا هو الـ (زوهار) بمعنى " التألق " وهو مجموعة من الكتابات التي تشمل بيانات تفسيرية وعظات ومناقشات انتقائية تعتبر مقابلة لاجزاء التوراة التي تقرأ وتفسر كل اسبوع وللجزء الاول من نشيد الانشاد وفي حين ترى التقاليد الكبالية ان الزوهار يعود الى الحاخام شمعون بن يوحاي وزملائه من فترة المشنا ، فإن الدارسين المحدثين يعتقدون بأنه تم تأليفه في القرن الثالث عشر الميلادي وهي الفترة التي عرف فيها . . وهم يعتقدون بأن مؤلف الزوهار هو موشيه بن يوم طوف دي ليون الذي عاش في غوادلاكارا ، الى الشمال الشرقي من مدينة مدريد الاسبانية . . . بعد مرور عدة اجيال على ظهور الزوهار اسفر الامر عن انطلاقة جديدة في تطور الكبالا في اسبانيا بما في ذلك انتشار التفاسير حين طرد يهود اسبانيا عام ١٤٩٢ تغلغلت في الكبالا تيارات مرتبطة بمجيء المخلص وبيوم القيامة كما امتد تأثيرها الى ايطاليا ، وافريقيا الشمالية وتركيا وفلسطين . . . ومن هناك انتشرت الكبالا الى بولندا وليتوانيا حيث كان لها تأثير على حركة (الحسيديم) اي حركة المتقين التي توصف احيانا بانها "الكبالا التطبيقية " الزعامة الدينية الاشكنازية المعتدلة لا تشجع على دراسة كتابات المذهب الباطني خاصة لدى الشباب وربما كذلك نتيجة لما ورد في التلمود من تفاسير بشأن القوة والخطر الكامن في التفكير الكبالي . . أما اليوم فان الكبالا هي موضوع للدراسة الأكاديمية الحديثة . . . ويعود اكبر فضل في ذلك الى ابحاث البرفسور جرشوم شالوم وهو صاحب شهرة عالمية في الكبالا .

استعمال النصوص اليهودية المقدسة

تنقسم التوراة (الاسفار الخمسة) الى اربعة وخمسين " جزءا " تتم تلاوتها في " السيناغوغ " (المعبد اليهودي) كل يوم سبت على مدار السنة ، اذ تبدأ هذه التلاوة وتنتهي بعد عيد رأسة السنة العبرية بقليل . . . وتتم تلاوة اجزاء من كتب الانبياء ونصوص اخرى من الكتاب المقدس في ايام السبت والاعياد . . ويستعمل قراء هذه النصوص علامات الانشاد التي حددت قبل الف عام في انماط انشادية تتباين بين طائفة واخرى .

وتكون دراسة التلمود واسعة النطاق في المعاهد الدينية (يشيفوت) كما يُدرس التلمود في الكُنُس وفي بيوت الخاصة – حيث تعتبر هذه الدراسة احيانا نشاطا اجتماعيا – وفي الجامعات . توجد في معظم الجامعات الان أقسام للتلمود لدراسة المؤلفات الدينية اليهودية وظهرت في القرن العشرين فكرة يقوم بموجبها اناس عاديون بدراسة صفحة من التلمود كل يوم وهكذا يفرغون من دراسته خلال سبع سنوات تقريبا . وتحتفظ معظم الكُنُس بمكتبات فيها العديد من النصوص المقدسة القديمة ، ومجموعات من الكتب الدينية .

نصوص مقدسة في البيت اليهودي

توجد في كثير من البيوت اليهودية نصوص وكتب مقدسة على رفوف المكتبة ، فكتاب التاناخ (التوراة) ومعه كتاب تفسير قد يكون موجودا لدى معظم العائلات العلمانية (كثيرا ما يُقدم التاناخ كهدية في المناسبات مثل انهاء الدراسة او انهاء فترة التدريب في الجيش) وفي كثير من العائلات المتدينة (او غير المتدينة ايضا) كثيرا ما توجد – الى جانب الكتب الاساسية – كتب اضافية مثل كتب التاناخ مصحوبة بتفاسير اضافية والمشنا (مصحوبة بتفاسير اساسية) والتلمود (وكتب تفاسير ضخمة) الشولحان عاروخ وغيرها من مجموعات القوانين والفتاوى والكتب الخاصة بالفرائض الدينية . الى جانب هذه الكتب توجد في معظم البيوت كتب في مواضيع قريبة من الدراسات الدينية – مثل كتب الفلسفة ، الاخلاقيات ، والاحداث العادية – وكذلك مؤلفات تتمشى مع الانتماء الخاص للعادة (حاسيدي· اسفرادي– إشكنازي) ويحتفظ الحاخامون بمجموعات شاملة من التفاسير التلمودية وكتب الاسئلة والاجوبة ومجموعات القوانين والفتاوى .

اما كتب الصلاة فهي متواجدة في كل بيت يهودي تقريبا . . والسيدور وتجمع على (سيدوريم) هو كتاب الصلاة اليومية وصلاة السبت ، يعكس تطورا يتمد على اكثر من الف عام ، كانت الصلوات قبله تعتبر جزءا من تراث

شفاهيه تم تلاوتها عن ظهر قلب . . . ومع ان تحويل الصلوات الى نصوص مدونة بدأ في نهاية عهد التلمود ، فان اول سيدور حقيقي وهو سيدور الحاخام عمرام غاؤون ، الذي تم تأليفه بناء على طلب يهود اسبانيا يعود الى القرن التاسع . في البداية كان يقتصر استعماله على يوم الغفران (يوم كيبور) واعياد اخرى . لكنه اكتسب مع مرور الوقت اقبالا واسعا حتى ان التعليم الديني في ايامنا هذه لم يعد يشجع على تلاوة الصلاة عن ظهر قلب . . . في بعض السيدوريم توجد نصوص للشعائر الاحتفالية تتعلق بالطقوس الدينية وكذلك تفاسير بشأن نصوص الصلوات . . . وهناك صيغ مختلفة للطقوس الدينية وفقا للطوائف المتباينة (اليهود الاشكناز والحساديم والسفاراديم واليمنيين) وفي بعض كتب الصلاة اضيفت صلاة خاصة ليوم استقلال اسرائيل ادخلتها ادارة الحاخامية الكبرى لاسرائيل .

ومن النصوص الدينية المقدسة التي لا يكاد يخلو منها بيت يهودي – الهاجدا (قصة عيد الفصح) ونشيد ليوم السبت (تصحبه عادة صلاة الشكر بعد وجبات الطعام) ونظرا الى ان مضمون هذه الكتابات يجعلها مقدسة فانها حيث تصبح بالية توضع في جنيزا (مخزن او ارشيف) وبعد يتم دفنها في طقوس خاصة .

العصر الحديث والنصوص القديمة

في اعقاب تبلور مجتمع يتكلم العبرية في اسرائيل (هذا مشكوك في صحته على اي حال) تشمل الملايين من الناس اصبحت النصوص اليهودية المقدسة في متناول اليد وظهرت كمية كبيرة من المؤلفات الجديدة باللغة المتداولة الحديثة . . ومن اهم هذه المؤلفات تفسير الحاخام (عدابن شتانزالس) للتلمود البابلي والمقدسي وتفسير الحاخام بنحاس كيهاتي للمشنا . . ومن بين المواضيع التي تتناولها الكتب والتحاليل والمجلات والنشرات المتخصصة في الشؤون الدينية في العصر الحديث ، الحياة في دولة يهودية ووجود جيش لهذه الدولة والعلاقات مع ابناء الديانات الاخرى والتجارة الدولية والزراعة الحديثة ومعالجة موضوع الاغذية وغير ذلك .

ولعبت النصوص اليهودية دورا هاما في احياء الثقافة العبرية في اسرائيل . . فدراسة الكتاب المقدس هي الأن جزء من برنامج الدراسة لجميع تلامذة المدارس والعلمانيين والمتدينين على حد سواء (وان كانت هذه البرامج تُعَدّ بحيث تتلائم مع النهج التربوي ومجالات الاهتمام الخاصة) وتعرض الجامعات امكانيات متنوعة لدراسة هذه النصوص في اطار مناهج متشابكة . . ويتجلى تأثير النصوص اليهودية المقدسة في الادب والفن الاسرائيلي

الحديثين ، اذ يتم صبّ القصص والمفاهيم والصور القديمة في صيغ ادبية وفنية جديدة . ومن ابرز المبدعين في الادب العبري الحديث الشاعر القومي (حاييم نحمان بياليك) والاديب الحائز على جائزة نوبل للآداب (ش . ي . عجنون) وقد استقى كل منهما من المصادر التوراتية في ابداعه الذي حظي باعجاب عالمي .

ولم تبق النصوص اليهودية المقدسة في منأى عن تأثير ثورة الحاسوب . . وفي جامعة بار ايلان الدينية في رامات جان، احدي ضواحي تل ابيب قبل حوالي اربعين عاما جمع معطيات اساسية بشأن مجموعات الاسئلة والاجوبة . . وفي الآونة الاخيرة ، قامت جهات خاصة بالمبادرة الى انشاء (برامج حاسوب في التوراة) الى جانب منتجات مثل التلمود على (سي دي روم) واصبح الكثير من الارشادات والنصوص الدينية مثل الجزء في التوراة الذي يُدرس كل اسبوع بالتناوب والنصائح بشأن الالتزام بالفرائض الخاصة بالطعام ، من الامور التي يمكن العثور عليها في شبكة الانترنيت وتتواصل الجهود في اسرائيل الان لدراسة النصوص اليهودية المقدسة وملائمتها لظروف الحياة الحديثة .

الأدوات والطقوس اليهودية

يشتمل المجتمع اليهودي في اسرائيل على مجموعات تتباين من حيث اسلوب الحياة والتمسك بالتراث الديني وممارسة الفرائض الدينية ، اذ تتراوح هذه المجموعات بين المغالاة في التدين وحتى العلمانية . . في حين تقتصر نسبة الملتزمين بكافة الفرائض الدينية على ٢٠% فان غالبيتة اليهود الاسرائيليين يتبعون قسما من الفرائض والتقاليد اليهودية وفقا لخلفياتهم العرقية والعائلية ولميولهم الشخصية .

وتكاد ادوات الطقوس اليهودية تتواجد في كل بيت وان كان بعضها يوجد في بيون المغالين في التدين فقط ، وهي تعبّر عادة عن جوانب مختلفة من العادات والمعتقدات والتقاليد اليهودية بالنسبة للمتدينين . . وتعتبر ادوات الطقوس اليهودية جزءا لا يتجزأ من تطبيق الفرائض الدينية اليومية في حين يعتبرها غير المتدينين تحفا فنية تحظى بالاعجاب بسبب جمالها او براعة صناعتها او مغزاها التاريخي . كما هو معروف تحظر الديانة اليهودية استخدام الصورة او التمثال ، رغم ذلك – ربما لهذا السبب بالذات – تطورت على مرّ الزمن مجموعة كبيرة من ادوات الطقوس والادوات الطقسية في اوائل العصر الميلادي ، وقد مجدّوا الجمال وفي احدى المناسبات الدينية (عيد العُرش – سوخوت) اعتبر السعي وراء الجمال وصية من الكتاب المقدس . قد تكون ادوات الطقوس مصنوعة من الخزف او الحجر او النحاس الاصفر والنحاس والفضة والذهب ، كما انها قد تكون مصنوعة من

الخشب ، النسيج ، الرق او غيرها من المواد . وتتجنب هذه الادوات اي شكل شبيه بصورة الانسان تمشيا مع الحظر الديني على استخدام الصورة والتمثال .

ومن الادوات التي تستخدم كثيرا في الحياة اليومية وان كانت تعتبر من الميراث العادي . . . هي ما يعرف بالمزوزا وهي رق مستطيل الشكل تكتب عليه الجمل الملائمة من الكتاب المقدس وعلى الجانب الآخر من الرق تظهر كلمة (شدي) وتلفظ " شداي " وهي احد اسماء الرب وتتكون من الحروف الاولى لكلمات ثلاث هي (شومر دلتوت يسرائيل) اي حامي بوابات اسرائيل ويتم لف الرق لفا شديدا ثم يعلق على الجانب الايمن من عضادة الباب في كافة الغرف فيما عدا غرفة الحمام .

يأمر الكتاب المقدس اليهود مرتين بأن يكتبوا كلمات الرب على ابواب بيوتهم . . واكتبها على قوائم ابواب بيتك وعلى ابوابك (تثنية ٦:٩ و ١١:٢) واصبحت كلمة مزوزا العبرية ومعناها (عضادة) تعني ايضا الغرض نفسه اي المزوزا (تجمع على (مزوزوت) بالعبرية ويتم وضع الرق في شق صغير ضيق يُنحت في عضادة الباب ويغطى بالزجاج او اي غمد قد يصنع من البلاستيك او من مواد اخرى وقد يتخذ الغمد اشكالا مختلفة فنية وبالامكان مشاهدة نماذج لشقوق في عضادة الابواب في احياء يهودية قديمة في اسرائيل مثل البلدة القديمة في القدس وفي الخليل وفي بعض الاحيان كان اليهود يستخدمون المزوزا كقلادة حول العنق .

ونشأت في المجتمع اليهودي المتدين معتقدات متباينة بشأن الصفات الخاصة للمزوزا باعتبارها اداة مقدسة تحمي المكان واصحابة . . . وهناك من يلمس المزوزا ثم يقبل اصابعه ويتم فحص المزوزا مرة كل سبع سنوات للتحقق من كونها سليمة . . كما يفحصها الكثيرون او يغيرونها في حالة اصابتهم بمحنة شخصية او جماعية .

العائلة اليهودية في التلمود

التلمود يعتبر العائلة اليهودية هي اساس الحياة الاجتماعية وانه الضابط الذي يحافظ على استقرارها ونقائها وطهارتها معترفا بمكانة المرأة الهامة في حياة العائلة وتوافقها مع وضع كل افرادها خصوصا عندما تكونت العلاقة مع الناس الآخرين في المجتمع اليهودي وغير اليهودي ايضا .

لهذا يعطي التلمود تباينا كبيرا للمرأة بشكل خاص ولا يعني هذا انه لا يهتم بحياة الرجل ، بل لأن مجال انشطة المرأة في مجتمعها يختلف عن مجال انشطة الرجل غير ان ذلك التباين لا يقلل من فائدة المصلحة العامة .

الرجل حسب التعاليم التلمودية له سيادة اكبر من سيادة المرأة فيما يتعلق بالنقد العادي . . فالرجل ملزم بتقديم ثلاثة ادعية يوميا وهي : ان الله جعلني اسرائيليا وانه لم يجعلني امرأة ولم يجعلني غليظ القلب . . . من هذا يتضح تماما ان الدافع المقوض ليس اكثر من الامتنان لميزة الواجب في حمل تعاليم التوراة والتلمود وعليه تكون مسؤولية الرجل اكبر من مسؤولية المرأة حسب التلمود ، حيث ان المرأة ايضا معفاة من بعض الواجبات الدينية مثل عدم السماح لها دخول المعبد بعد الولادة لمدة ستين يوما او انها تدخل الى مقصورة خاصة خلال ايام اعياد " العُرُش " وبعيدا عن بعض الاستثناءات للمرأة فأن التلمود يعترف بعدم وجود تفرقة بين الاجناس ذكرا وانثى فيما يتعلق بالمسؤوليات الدينية ، فالرجال والنساء متساوون امام كل قوانين التوراة بأي حال . . . فاذا استعملت المرأة نفوذها بحيث يضع الزوج والابناء انفسهم لاكتساب معرفة متقدمة في التوراة التي عادة يمنعها انشغالها من ذلك نظرا لواجباتها العائلية ، الا ان المرأة يحسب لها التقدير على تمكين ابنائها من دراسة التوراة في المعابد اليهودية وان تتيح لزوجها فرصة للدراسة في مدارس الربانيين .

تأثير المرأة في حياة زوجها ومجتمعها جاء التأكيد عليه في الرواية التلمودية التالية والتي تعود الى رجل تقي تزوج من امرأة تقية مثله غير ان المرأة التقية تلك كانت عاقرا ولا تنجب فقد حصل بينهما الطلاق وذهب الرجل التقي الصالح وتزوج من امرأة شريرة . . وتمكنت تلك الشريرة من ان توجهه نحو الشر بدلا من التقى والخير . . . كما ان طليقته التقية تزوجت من رجل شرير ولكنها تمكنت من تهذيبه وقادته الى العدل والخير حتى اصبح تقيا صالحا . . وهذا يعني من وجهة نظر التلموديين ان كل شيء يتوقف على دور المرأة وصلاحها او فسادها . . وهذا يقابله في الادبيات العربية قول الشاعر :

" الأم مدرسة ان اعددتها اعددت شعبا طيب الاعراق "

ونحن كأمة مسلمة ، نؤمن بأهمية دور المرأة في المجتمع فاننا نؤيد رأي التلموديين بالام والمرأة وبدورها الاساسي والهام في مجتمعها وتأثيرها ان كانت ايجابية بالنسبة للاجيال الجدية في المجتمعات . . . اذ لا بأس ان نأخذ من الامم الاخرى واعني اهل العقائد الاخرى ما هو صالح وجيد وفيه دعوة الى الخير والصلاح .

الزواج والطلاق في التوراة والتلمود

الزواج وتكوين الاسرة كان اول التعاليم الدينية بل كان الاول الذي فرضه "يهوه" على الرجال والتلمود جاء يؤكد هذه الفريضة فالرجل الاعزب يعيش حياته دون فرح وبدون بركة والانسان غير المتزوج كما يقول التلموديون انه ليس رجلا بالمعنى الصحيح . . . فالله خلق المرآة والرجل وباركهما والزوجة في نظر التلمود تعني "البيت" ومن هنا جاء القول بأن بيت الرجل هو زوجته والتلمود يشجع على الزواج المبكر ، ويوصي بسن الثانية عشرة لزواج الرجال وهناك رأي يقول بأن انسب سن للزواج هو من ١٦ – ٢٠ سنة وفي قول آخر من ١٦ – ٢٤ سنة ويضيف التلمود الى ان الرجل ان لم يتزوج في سن العشرين فأن الرب يباركه واذا فشل في تحقيق ذلك فأن الله يلعنه .

اما فيما يتعلق بالفتاة فقد حث التلمود على واجب الاب في ايجاد زوج لابنته ويزوجها مبكرا ، كما جاء هذا ايضا في التوراة في سفر اللاويين " لا تنجس ابنتك وتدفعها للزنا " وجاء هذا موجها الى الآباء الذين يؤخرون زواج بناتهم ولا يزوجوهن في الوقت المناسب ، فالفتاة لا تعود قاصرا بعد اتمام سن ١٢ عاما من عمرها وذلك حسب قوانين التلمود ولا يجوز للأب ان يزوج ابنته طالما هي قاصر . . الا بعد بلوغ سن الثانية عشرة وتقول بأنها ترغب بالزواج وتوافق عليه . . . اما اذا فرض على الفتاة الزواج قبل بلوغ سن ١٢ عاما فانها في هذه الحالة يحق لها بعد بلوغها السن ان ترفض ذلك الزوج وبحكم القانون يحق لها الغاء الزواج جملة وتفصيلا دون الحاجة لاجراءات الطلاق الرسمية .

الزواج عموما ليس ترتيب من السماء فقط بل انه مرسوم ومقدر للانسان قبل ولادته . . لهذا فأن التلمود يوصي بأن تكون هناك استشارة حكيمة في اختيار الزوجة وعدم التوافق سنا بين الزوجة والزوج امر غير محبب وقد نص على ذلك التلمود . . فالذي يزوج ابنته لرجل عجوز والذي يتزوج من فتاة صغيرة او يزوج ابنه بأمرأة اكبر منه سنا لن يعفيه الرب من العقاب . . كذلك تشترط قوانين التلمود المشاهدة في حالة الزواج والقبول من الطرفين اي ان تشاهد الفتاة الفتى وهو يشاهدها قبل الزواج او حتى قبل الحديث في الزواج وينبغي في حالة القبول من الطرفين اتمام الزواج بطقوسه المعروفة بهدف اشهاره للعلن .

والتلمود حاله حال التوراة يبيح تعدد الزوجات ولكنه يعارضها ، فهناك اراء مختلفة حول هذه المسألة ربما تكون قد ازيلت من صفحات الكتابين . . تقول بأنه يمكن للرجل ان يتزوج من النساء ما يشاء شريطة الا يزيد عدد زوجاته عن اربع زوجات وهناك رأي آخر يقول ان على الرجل اذا تزوج بأخرى غير زوجته، فانه يحق لزوجته

الاولى ان تطلب الطلاق وعليه ان لا يرفض طلبها . . . الا ان هناك اجماعا عاما على ان الرجل يحق له ان يتزوج من امرأة واحدة فقط . . . وبرغم ان تعدد الزوجات كان قائما في المجتمع اليهودي قديما الا انه لا يوجد هناك مؤشر واحد الى ان ربّانيا واحدا قد جنح الى تعدد الزوجات .

بموجب القوانين التلمودية وتفسيراتها فان الزوج والزوجة اذا رغبا بالانفصال عن بعضهما لن تكون هناك صعوبة في حلّ الزواج بالطلاق ، فالزوجة غير الصالحة شبهها التلمود بداء " البرص " الذي يصيب الزوج . . فما هو العلاج ؟ العلاج هو الطلاق لكي يشفى الزوج من برصه . . . ويؤكد التلمود على انه اذا كان للانسان زوجة سيئة ، فان الواجب الديني يفرض طلاقها من زوجها . . كما يحق للرجل ان يطلق الزوجة لأي عيب يراه فيها او حتى ان رأى امرأة اعجبه جمالها اكثر من زوجته . . . فقد اعطت القوانين التوراتية والتلمودية السلطة للرجل واعطته الحق في طلاق زوجته لأي امر يراه وبدون موافقتها . . كما يأمر التلمود بأن المرأة التي تقترف الزنا يجب ان تطلق وفيما عدا ذلك يكون مبغوضا ولو انه مباح .

وحيث ان الهدف من الزواج اساسا هو تكوين الاسرة وتربية الاطفال فإذا مرت عشر سنوات على زواج المرأة ولم تنجب فأنه يحق للزوج ان يطلقها في هذه الحالة ، وان تزوجت من غيره وانقضت مدة عشر سنوات اخرى دون ان تحمل وتنجب يصبح من حق الزوج الآخر ان يطلقها ايضا . . اما اذا اصيبت الزوجة بمرض الجنون فأن الزوج في هذه الحالة لا يحق له طلاقها واذا اصيب الزوج بمرض الجنون ايضا فانه لا يستطيع ان يطلقها والسبب في تشريع هذا القانون ان الزوجة في حالة مرضها فأنها لو طلقت تكون قد حرمت من الرعاية وتصبح فريسة للاشخاص ذوي العقول الشريرة . . فالزوج لا يستطيع ان يطلق لأن القوانين اشترطت ان يكون حكم الضمير هو العامل الذي ينبغي ان يتوفر للرجل .

هذا ويحق للزوجة طلب الطلاق في حالات مختلفة اهمها ممارسة الاجبار على اعمال غير لائقة بالزوجة ، والعقم ، وعدم رغبة الزوج او قدرته على اعالة الزوجة والاولاد اعالة صحيحة . . كذلك يمكنها طلب الطلاق اذا كان زوجها قد اصيب بمرض معدي او مقرف او اذا مارس عملا يجعلها تشمئز منه او ظهرت عليه عيوب فالمحكمة في هذه الحالات لا تجبره على طلاق زوجته ولكن في حالة ان تكون العيوب التي ظهرت في جسمه خطيرة فانه يجبر على الطلاق . . وفيما يلي الحالات التي يجبر فيها الزوج على الطلاق

١- اذا اصيب بمرض البرص

٢- اذا كان يعمل في جمع روث الكلاب (كان روث الكلاب يجمع لاستعماله في صناعة الجلود)

٣- اذا كان يصهر النحاس

٤- دباغ الجلود .

ولا يجبر على الطلاق ان وافقت الزوجة على تحمل هذه الحالات او العيب باستثناء البرص حيث ان استمرار الزواج يضر المريض . . فيجبر على الطلاق . . وبامكان الزوجة ان ترفض السفر معه الى خارج بلدها . . اما اذا رفضت السفر معه الى (فلسطين) فان القانون يطلقها ويعفي الزوج في هذه الحالة من دفع المهر المؤجل لها . . . علما بأن المرأة اليهودية هي التي تدفع المهر للرجل وتسمى (الندونيا) . وفي حالة رغبة الزوج ترك فلسطين ولا ترغب الزوجة بالهجرة معه) فان المحكمة تجبره على عدم الهجرة واذا رفض قرار المحكمة فإنه يجب ان يطلق الزوجه مع دفع مؤخر صداقها (الكوشبا) . . . . الهجر لا يؤسس ارضية للطلاق بغض النظر عن مدة الهجر الذي ينقطع الزوج فيها عن الاتصال . . . غير ان الزوجة ان جاءت بشهود شرعيين فأنها تطلق ويسمح لها بالزواج مرة اخرى وقد اشترط القانون التوراتي والتلمود على شاهدين عدليين لتأكيد حقيقة عدم معرفة مكان الزوج . . وقد خفف هذا مؤخرا ليصبح شاهدا واحدا موثوقا يشهد بوفاة الزوج تكتفي به المحكمة للامر بحلّ الزواج .

الأطفال

الرغبة في انجاب الاطفال والاولاد بصفة خاصة هي من طبيعة الانسان الشرقي ويصورها التلمود بأن الابناء (بنيم) العبرية ، هم بناءوا المجتمع . . والرجل الذي ليس له اولاد يعّد رجلا ميتا كما جاء في سفر التكوين حيث انه فشل في حمل الواجب الرئيسي الذي جاء هو نتيجة له . . وان اسمه سوف يهلك معه دون ان يترك له أثرا .

في حالة الحمل الصعب للمرأة والذي قد يشكل خطرا على حياة الام فقد اجاز القانون التلمودي للأم استعمال عقاقير منع الحمل ، والقانون الخاص بهذه الحالات يقول " هناك ثلاث فئات من النساء : القاصر – الحامل – الام المرضعة . . . القاصر لئلا يسبب الحمل لها الوفاة او يكون مميتا ، والمرأة الحامل لئلا يؤدي الاجهاض الى وفاتها والام المرضع اذا حملت فانها تضعف الطفل وربما يموت .

التعليم

المسؤولية الكبرى تقع على كاهل الاباء في تدريب اولادهم وتعليمهم من اجل حياة افضل لبناء المجتمع اليهودي . . والهدف الامثل هو انخراطهم في تشكيلهم داخل روابط في في سلسلة الاستمرارية من اجل التراث الديني الذي ورثوه عن الاجيال السابقة بحيث ينتقل ذلك التراث غير الفاسد الى الاجيال اللاحقة . . المتطلبات لمثل هذا الاكمال هو غرس معرفة التوراة في الاطفال وبشكل جاد ، اذ جاء في سفر التكوين " علّم ابناءك بجد " فأخذ هذا بشكل جاد وهام وقد ضمنه الحاخامون اليهود للصلوات التي تؤدى كل صباح وكل مساء . . . كما جاء في التلمود الكثير من الحث على تعليم التوراة فيقول " الذي يربي ابناءه على التوراة هو من الذين يتمتعون بالفاكهة في هذا العالم بينما يبقى رأس المال له في العالم الآخر " كما جاء في سفر التكوين في التوراة اليهودية حول مسألة التعليم "من له ولد ينشط في تعلم التوراة فكأنه لا يموت ابدا " فالذي يعلم ابنه التوراة والنصوص ينسب اليه كما انه قد تسلمها على جبل حوريب ،" . . . وعليك ان تجعلها معروفة لابنائك واحفادك وكانك تقف امام ربك في جبل حوريب " اي كأنه اخذها من الله مباشرة على ذلك الجبل كما فعل موسى اللاوي .

السبب الذي يعطي قيمة للتعليم هو محبة التعليم من اجل ذاته ويقول المثل اليهودي " اذا حصلت على معرفة فماذا ينقصك اذن ؟ واذا كان ينقصك المعرفة فماذا تكون اكتسبت ؟ فالمعرفة العميقة هي الضمير الذي يعيشه المجتمع ويتوقف ذلك على انتشار المعرفة بين الناس . . . واللغة مهما بلغت في دقتها وبلاغتها من النادر ان تنقل مصطلحات اهمية التعليم اكثر من تلك الاقوال المأثورة والامثلة " لا تلمس الممسوحين الخاصين بي ولا تسبب الاذى لانبيائي . . . فالممسوحون الخاصون بي هم ابناء المدارس فنحن لا نستطيع وقف تدريس الابناء حتى لو كان ذلك من اجل اعادة بناء الهيكل " المدينة التي لا يوجد فيها ابناء مدارس سوف يغشاها الدمار اجتمع الكفار بالفيلسوف اليهودي بانيوفاوس وقالوا له خبرنا كيف يمكننا ان نحاول النجاح ضد شعب اسرائيل ؟ " اجابهم : اذهبوا الى معابدهم ومدارسهم واستمعوا الى سحر الابناء في مراجعة دروسهم فانكم لا ولن تتفوقوا عليهم حيث ان جدهم اسحق اكد لهم قائلا : "الصوت هو صوت يعقوب والايادي هي ايادي عيسا و " ويعنى انه عندما سمع صوت يعقوب في بيت الاجتماع فقد اصبحت ايادي عيسا و ضعيفة . . .(وهذا يرجع الى رواية الغش الذي استعملته رفقه ام يعقوب ضد اخيه عيسا و لاقتناص البركة من ابيه اسحق له بالتزوير كما خططت رفقه حسب رواية التوراة) وطبيعي ان تكون هذه الرواية ملفقة من اساسها . . وهنا نشير الى اننا هنا نذكر ما جاء في كتب

اليهود الدينية وعلى رأسها التوراة والتلمود مع التشديد على اننا كمسلمين قد جاءنا من العلم الالهي ما لم يجيء لامة اخرى ولنا وجهات نظر مغايرة لآرائهم حول الانبياء والرسل الذين نبرأهم من البدع والافتراءات التي دونوها في غياب الانبياء والرسل المكرمين .

الحاخامون يقولون ايضا ان من يتعلم التوراة في صباه يبدو وكأنه حبر مكتوب على ورق نشاف ومن يتعلم التوراة ايام شبابه فأن كلماتها يمتصها دمه وتخرج واضحة من فمه ، اما اذا تعلم التوراة في كبره فأن كلمات التوراة لا يمتصها دمه ولا تخرج واضحة من فمه . لهذا فان الحاخامين يبجلون كثيرا المعلمين ويضعونهم في مكانة الانبياء حيث انهم يقومون بصناعة اجيال تعرف ما في التوراة من تعاليم للمجتمع اليهودي ، فلهم التكريم والاحترام على كافة المستويات الاجتماعية في البيئة اليهودية باعتبار ان عملهم هو امتداد لتعاليم الاله العلي واجب تكريم الآباء هو التزام ديني يحتل مكانة رفيعة في التلمود ، فهو احد الوصايا حول القول بأن الرجل يتمتع بالفاكهة في هذا العالم ويتمتع برأس المال في الحياة الآخرة . . . فنصوص التوراة تفرد مساحات لتكريم الآباء من قبل الانبياء على اسس المساواة مع تكريم الله القدير كما جاء في سفر الخروج " اكرم اباك وامك واكرم الرب بجوهرك " فهذا الاحترام للابوين يضع المساواة في مستوى مخافة الله . . فالمطلوب منك ان تخاف من كل رجل ، امه وابيه وايضا تخاف الرب الاله . . . وهذا دليل على ان احترام الوالدين هو اشد منه للاله .

وعلى هذا الاساس فان تكريم الابوين يأتي بالدرجة الاولى من واجبات الابناء تجاه الآباء والامهات وطبيعي ان هذا ايضا لا يلغى تكريم الرب بأي حال من الاحوال حيث ان الرب يأمر اسرائيل بان يقدم تكريم الابوين على تكريمه ، لانهما يأتيان في المقدمة فيما يتعلق بتعليم الابناء ورعايتهم والسهر عليهم ايام طفولتهم ، فاعطاء الولد تربية دينية صالحة ينبغي ان يكرم الرجل عليها حيث يساهم في بناء مجتمع جيد ومتكامل .

الاب والام متساويان في تقوى الابناء وحسب القانون التلمودي اذا كان هناك خلط في فهم واجبات الابن تجاه كل منهما ، على الابن في هذه الحالة ان يعطي الافضلية في التكريم لوالده حيث قضى الربانيون ان الابن والام عليهما اكرام الاب . . وفيما اذا كان هناك خلاف فيما اعطاه الله لهما فان الرجل الذي يكرم امه وابيه يقول الرب اسجلها كأني اقيم معهم وانهم اكرموني ولكن عندما يحزن الرجل ابويه يقول الله "حسنا فعلت اني لم التصق بهم ولو اقمت معهم لكنت قد حزنت " . حتى لو جاء استفزاز من الابوين للابن ، فان على الابن ان يتحلى بالصبر وان لا يكون قليل الاحترام والاكرام لوالديه . . . التوراة والتلمود يشددان جدا على احترام الوالدين بالتركيز على احترام الام

بصفة خاصة ويحكى ان امّا ذهبت تتمشى في الحقل وتبعها ابنها وبينما هي كذلك انخلع نعلي حذائها وكانت ارض الحقل وعرة وفيها اشواك فما كان من ولدها الا ان وضع راحتى يديه تحت اقام امه وجعلها تمشي عليهما الى ان وصلت بيتها . . ونقل خبرها الى احد الربّايين العارفين بوصايا التوراة فقال : مبارك هذا الابن الا انه بفعلته هذه لم يقدم سوى ربع اوامر الرب في احترام الام .

الحياة الاجتماعية – الفرد والمجتمع

لم يخلق الفرد ليبقى وحيدا بل ليكون عضوا فاعلا في مجتمعه فأنه وحدة قائمة في الانسانية كما يقول التلمود ، وان هذا الوضع يجعل واجبات كثيرة تترتب على الانسان فوطبيعية فحياته ليست ملكه الخاص ليفعل ما يحلو له بها . . فسلوكه يؤثر في جيرانه ومن هم حوله كما ان سلوكهم يؤثر فيه كما جاء في سفر العدد من التوراة .

الوضع الذي يترتب على الفرد اتباعه نحو مجتمعه لخصه الرباني " هلليل " بقوله " اذا لم اكن انا لغير نفسي فمن يكون لي واكون لنفسي كما انا " قبل كل شيء ينبغي ان يكون الانسان معتمدا على تجنب الاتكال على الآخرين . . فبينما يكون اعطاء الصدقات للمحتاجين غير ان يكون المرء طالبا الصدقة من الآخرين ففكرة اعتماد غير المحتاج على صدقة فأن ذلك يعتبر اشد انواع الاشمئزاز . كما ان هلليل حث بني اسرائيل على العمل بقوله المأثور " اسلخ جلد جيفة في الشارع واكسب قوتك ولا تقل انك رجل عظيم الشأن وان العمل لا يليق بكرامتك وكبريائك "

وفي اقوال أخرى من التقاليد الدينية اليهودية التي وضعها الرّباني "هلليل" والتي تعكس ذات الفكرة التي تحث على العمل منها " العالم يكون مظلما لذلك الذي يعتمد في معيشته على طاولة الآخرين فإن حياته لا يمكن ان تكون حقيقية " من الواجبات الاساسية المترتبة على اليهودي كما يقول الربانيون اليهود ، ليس فقط ان يعمل الانسان من اجل الكسب وتلبية احتياجاته واحتياجات عائلته فقط بل من اجل ان يشارك ويكون له دور فاعل في مجتمعه . . . بمعنى ان على الانسان اليهودي ان يهتم الى جانب عمله وكسبه بدراسة التوراة . . . ويقول الربّانيون اليهود ان العالم لا يمكن ان يعيش الا اذا كرس الرجال جميعا جهودهم في دراسة التوراة وقالوا في ذلك " الشيء الممتاز للانسان هو دراسة التوراة " مصحوبا بالعمل . . وجميع الدراسات للتوراة تؤكد انه بدون العمل لا تكون النهاية مثمرة بل تصبح سببا في ارتكاب الخطيئة . . فان كان الرجل يتعلم فقرتين من فقرات القانون (التوراة)

في الصباح ومثلها في المساء ويكون منكبا على عمله طوال اليوم فانه يكون موفيا بحق التوراة عليه فكم هو كبير وعظيم الذي يستمتع بثمار عمله اكثر من الذي يخاف من السماء .

ويواصل التلمود في كل اجزائه في الطرق على مسألة العمل والعمالة باعتباره الجزء الاهم في مشروع عبادة الانسان لخالقه . . ويقول ان الذي لا يعمل والكسول يأتيه الموت سريعا .

الصدقات

من بين الامور التي تميز الحياة المعنوية والخلقية هي الرغبة في المساعدة بقدر الامكان للاخوة من المخلوقات الذين يحتاجون المساعدة والعون من اخوانهم . . والصدقة كما يصورها التلمود بما يلي : العطاء حسب تعليمات التلمود والذي حدده ودعاه " الصدقة " . . . هذا يشير الى الصدقات المالية لمساعدة الفقراء التي يحث عليها الربانيون اليهود ويقول الربانيون ان المعنى الحقيقي للصدقات هو " التقى " وتقول التوراة في ذلك في سفر دانيال " حطم خطيئتك وظلمك بالصدقة والرحمة على الفقراء " ويضيف الربانيون بأن اعطاء الصدقات الى الفقراء هو فضيلة يكتسبها المتصدقون . . . فكل ما يملكه الانسان ما هو الا قرض من خالق الكون الذي يملك الارض جميعها ، وبالصدقة يضمن الانسان توزيع هبة الله للبشرية (وهنا اود ان اذكر بأن الصدقات عند اليهود لا تجوز الا على اليهودي دون غيره من لبشر) .

الشرف

الشرف فضيلة تميز الحياة المعنوية بنزاهة الاعمال التجارية . . وقد علق التلمود على الشرف في التعامل اهمية كبيرة . . . وهناك قول بأن الانسان الذي يحضر الى المحاكمة بعد موته اول سؤال يوجه اليه " هل كنت شريفا في معاملاتك التجارية ؟ " وفيما يتعلق بتعلم اليهودي ان يكون شريفا وأمينا في معاملاته التجارية فمن يكون شريفا يكون محبوبا من قبل إخوانه من بني البشر ويكون قد اوفى بتعاليم التوراة . . . وقد كانت النتائج المدمرة في حياة المجتمع اليهودي كما في القول المأثور " إن القدس دمرت بسبب انتهاء وجود الرجال الشرفاء فيها " وقد وضع التلمود القوانين لعالم التجارة ومنها : على صاحب الدكان او البقالة ان يمسح معايير الموازين مرتين على الاقل في الاسبوع وان ينظف ميزانه بعد كل وزنة . . . اما في وسائل قياس الارض فلا يجوز ان يجري القياس في الصيف

على غرار القياس في الشتاء . . اما بالنسبة لقياسات الثقل على الانسان ان لا يضع سوائل تنتج الرغوة فان هذا لا يعطي وزنا جيدا للاشياء الموزونة .

العفو والتسامح

الانسجام الذي ينبغي ان يحكم في المجتمع يكون على مراحل حول الخلافات التي قد تنشأ بين الافراد في المجتمع . . . وينبغي بالتالي بأن تكون رغبة المواطنين الصالحين حل المشاحنات والخلافات وانهائها بسرعة باستعادة العلاقات السلمية فيما بينهم . . . اولا : على الطرف المخطيء ان يعترف بخطئه ويطلب العفو والسماح من الشخص الذي اساء اليه واخطأ بحقه . . . اما اذا توفي الشخص الذي تعرض للاساءة فان علي المسيء ان يذهب الى قبره وقت الدفن ويقول امام الناس " انا تصرفت خطأ نحوك واني اطلب عفوك وغفرانك لي " غير ان طلب الغفران والعفو لا يجوز ان يكون لاكثر من ثلاث مرات .

المحاكم
القانون الجنائي والاجراءات المدنية

حسب التلمود كان هناك نظام شامل للمحاكم القضائية في وقت دمار الهيكل في ما يسمى "ارض اسرائيل " بشأن الاسئلة المتعلقة بالممارسات الدينية ومحاكمة المسيئين للقوانين والانظمة المعمول بها آنذاك وكذلك من اجل تسوية الخلافات التي تنشأ بين افراد وجماعات المجتمع اليهودي ، وكان هذا النظام له وجود متصل منذ بداية الحياة الوطنية . . . فنجد في التوراة انه كان هناك تعاقب للمحاكم من ايام النبي موسى عليه السلام ، وكانت هذه المحاكم تدار من قبل شخصيات مرموقة ذكرت اسماؤهم في الكتاب المقدس وكانوا من مشاهير بني اسرائيل في ذلك الوقت على اعتبار انهم محكمون عدليون بموجب القوانين التوراتية في القضايا القائمة بين الناس في مجتمعهم .

السنهدرين الأعلى

كان " السنهدرين الاعلى" اليهودي في مملكة يهودا " اي مجلس الكهان الاعلى" وهو مجلس الحكم الذاتي اليهودي ليهود فلسطين الذي منحه الرومان لهم بأن يديروا شؤون المجتمع اليهودي بانفسهم بسلطة تعتبر نوعا من الحكم الذاتي مستقلا عن الحكم الروماني . . . وكان السنهدرين الاعلى يتكون من ٢٣ حاخاما من الربانيين اليهود يمثل المحكمة العليا لليهود في مملكة يهودا ومقره مدينة القدس وكان له فرع آخر يتكون من ٧١ عضوا آخر خارج مدينة القدس . . . فاوكلت للمجلس الاعلى او مجلس الحكم الذاتي الاعلى مهمة تسوية نقاط الخلافات التي قد تنشأ بين الافراد والجماعات وينظم علاقة اليهود مع الحكم الروماني ويدير المناطق التابعة له بسلام وقد اعطى الرومان لبني اسرائيل الامن والامان . . المفكر اليهودي الكبير " يوسفوس " يذكر باستمرار في كتاباته "السنهدرين " الا ان وصفة للسنهدرين واعماله وواجباته لا تتفق مع ما جاء في ادب الربانيين اليهود ولا مع المعلمين المسيحيين مثل المعلم "شورر " الذي ذكر بأن التلمود ما هو الا وصف خيالي غير تاريخي وانه وصف لمؤسسة لم تعد موجودة . . . فالربانيون التلموديون في الاجيال اللاحقة يخلعون على السنهدرين الصلاحيات والواجبات التي لا يمتلكها . . . اما السلطات الدينية اليهودية تجادل حول امكانية التوفيق بين التلمود ونظرية " يوسفوس " على اعتبار ان نظرية يوسفوس تعني ان هناك تلمودين متباينين يعملان جنبا الى جنب الاول سياسي والآخر ديني ومع ذلك ، قد يكون ذلك ، إلا أنها تقع ضمن نطاق هذا العمل لوصف المحاكم إذ إنها تصور في ادب الحاخامين بأن له تأثير هام على دور هذا الموضوع على ما يلي : في النزاعات الأولى في إسرائيل والفصل فيها إلا من قبل محكمة ٧١ في غرفة السنهدرين ، وغيرها من المحاكم المكونة من ٢٣ عضوا والتي كانت في مدن ارض اسرائيل وغيرها من المحاكم الثلاث . كانت هناك ثلاث محاكم في يهودا (واحد في السنهدرين ، واحدة على جبل الهيكل وواحدة في في المدن الاخرى غير القدس) فاذا سمعوا ما في(الهلاخا) وهو الجزء التشريعي في التلمود ما كان مطلوبا فالشخص يذهب إلى المحكمة في مدينته ، إذا لم يكن هناك احد في مدينته يذهب إلى المحكمة في أقرب مدينة ، وإذا كان القضاة قد سمعوا ما في الهلاخا كان به ، وإلا هو وخبير المحكمة يسرعان الى المحكمة التي تقع على جبل الهيكل ، وإذا أعلنوا انهم سمعوا الهلاخا كان به وأعلنوا لهما ، وإلا فإنهما الاثنان يسرعان إلى محكمة السنهدرين التي في القدس . . . كما ان هناك ثلاثة أنواع مختلفة من المحاكم : الاولى من ثلاثة أعضاء والثانية من ٢٣ عضوا والثالثة من ٧١ عضوا . .

جميع المحاكم على حد سواء تقوم بدور القاضي وهيئة المحلفين . وكان هناك المهمة الأساسية في توفير معلومات عن الأسئلة والتهم الجنائية .

المحاكم المدنية

في عصر الهيكل الثاني كانت هناك تقوم محاكم مدنية تتكون في معظم المدن الفلسطينية بأيام محددة لعقد جلساتها ، ويذكر ان المحكمة الرئيسية تلتئم يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع ولا تنظر فقط في القضايا المدنية ولكن ايضا في الادعاءات بالاضرار ونوع القضية المطروحة ، توكل الى هذه المحكمة . القضايا المدنية التي تقررها محكمة الثلاثة والتي يقع ضمن صلاحياتها الاصابات الجسمانية ، التعويض عن الاضرار كلها او نصفها ، دفع الخسارة الرباعية او الخماسية ، الاعتراضات ، الاغواء والقذف وهذه هي وجهة نظر الربّاني " ماير " الا ان الربّانيين الآخرين اعلنوا ان الاتهام بالقذف يجب ان تجري محاكمته في محكمة الثلاثة والعشرين حيث انه ربما يشمل عقوبة الاعدام . . . على سبيل المثال عندما تكون ابنة الحاخام قد قذفت كما هي شخصيتها المعنوية ، فاذا كان الاتهام صحيحا فأنها تحكم بالاعدام حرقا اما اذا كان المدعي قد ثبت ان اتهامه كان باطلا فأنه يحكم بالموت ايضا .

بعد سقوط الدولة استمرت محكمة الثلاثة ولكن تحولت او تطورت الى محكمة تحكيم وطريقة دستورها يتلخص في الشروط الاتية : القضايا المدنية تقررها محكمة الثلاثة وحسب الربّاني " ماير " فان كل طرف من اطراف النزاع يختار قاضيا واحدا وهما يختاران الثالث ويؤكد الربانيون بأن يعين القضاة الاثنان القاضي الثالث ولكل طرف الحق في رفض تعيين القاضي الثالث بشرط ان لا يكون القاضي الثالث من ذوي القربى او انه اصبح غير مؤهل .

يوقع الاطراف على وثيقة يؤكدون بموجبها على تقديم القضية لقرار القضاة الثلاثة الذين تم اختيارهم وهذة الوثيقة تعرف بالكومبروميسا وهذه يظل في القضايا التي يجري النظر فيها باقل من ثلاثة قضاة من جانب ، فاذا كان قاضيان يحكمان في القضايا المدنية فأن جميع السلطات تتفق على ان يكون قرارها غير نافذ . . . . وفيما يتعلق بالقاضي الواحد فيذكر بأن القاضي ليس وحيدا حيث لا يجوز الحكم من قبل واحد سوى الله ومع مرور الزمن عندما اصبح رجال الفصل قلة في هذه الحالة فان القانون نحى جانبا . . . وفي القضايا المدنية التي يعترف بها الجمهور فأن خبيرا يمكن ان يقرر فيها منفردا .

السنهدرين السياسي

السنهدرين السياسي الذي تقدم ذكره هو بشكل رئيسي " صدوقي " في تركيبته واعضاؤه ينبغي ان يكونوا من العائلات الدينية والاستقراطية بالتركيز على انه "المحكمة الصدوقية " ولم يذكر التلمود كثيرا عن هذا المجلس من حيث اعماله ومهامه .

اما بخصوص السنهدرين الديني فصلاحياته في غاية المسؤولية . . فالانبياء الكذبة او الذين يدعون النبوة والحاخام الاعلى يمكن محاكمته من قبل السنهدرين الديني المكون من ٧١ عضوا . . فالحرب مثلا يمكن ان تعلن اذا تقررت في محكمة السنهدرين . . . كما ان الجهة التي تقرر اضافة اي ارض الى حدود مدينة القدس او الى محيط الهيكل وهو الذي يعينه الاعضاء الثلاثة والعشرون للسنهدرين الخاص بالقبائل اليهودية وان يجد القرار بشأن المدينة التي تقترف ذنب الصنمية . . . اما السنهدرين الاعلى العام فأنه يتكون من ٢١ عضوا من كبار رجال الدين اليهود حيث تقول التوراة إن حكماء اسرائيل هم سبعون باضافة موسى يصبحوا ٧١ حكيما .

المعلومات التالية تخص دستور السنهدرين وتشكيله والاجراءات التي يقوم بها : يجلس الاعضاء في هذا المجلس بشكل شبه دائري بحيث يستطيع كل واحد منهم ان يرى الآخرين . . . الرئيس يجلس في الوسط والحكماء على يمينه ويساره بترتيب حسب السن . . اثنان من سكرتيري القضاة يجلسان امامهم واحد على اليمين والآخر على اليسار ليدونوا الكلمات الخاصة بالمبرئين وبالمدانين .

الرباني يهودا يقول هناك ثلاثة بالاضافة الى الاثنين المذكورين ، الثالث يقوم بتسجيل الكلمات الخاصة بالتبرئة وتلك الخاصة بالادانة ، كما ان هناك حكماء يجلسون امامهم كل واحد في المكان المحدد له . . . احدهم يكمل العدد المطلوب ، يأمرونه من الصف الاول ثم آخر من الصف الثاني يتقدم الى الصف الاول وآخر من الصف الثالث يتقدم الى الصف الثاني ثم يختارون واحدا من المجلس ليحل في الصف الثالث . . ولا يأخذ مكان الشخص السابق ولكنه يجلس بصفته الشخصية . . . وعلى الرغم من ان المحكمة تتكون من ٧١ ويشترط في استكمال نصابها القانوني ان لا يقل عدد الحضور فيها عن ٢٣ عضوا ، واذا اراد عضو ان يخرج عليه ان يتأكد بأن العدد لا ينقص عن ٢٣ عضوا والا لا يجوز ان يترك المجلس ، وجلسات هذا السنهدرين الرسمية من حيث الوقت تكون من الصباح حتى المساء ، اما ايام السبت وايام الاحتفالات الرسمية فأنهم يدخلون الى " بيت الدراسة " في جبل الهيكل . .

واذا كان هناك سؤال وجه لهم وانهم سمعوا ماذا كان في الهلاخا ، فأن عليهم اعلانها والا طرحت المسألة للتصويت

سلطات السنهدرين دمرت على يد الجنرال الروماني " غابينيوس " في منتصف القرن الاول الميلادي وقسم مملكة يهودا الى خمس مناطق وعين خمسة مجالس تحكم في الناس . . . المجلس الاول في القدس والثاني في غدارا والثالث في "حمات" والرابع في اريحا والخامس في الجليل الاعلى . . . السنهدرين في "حمات" اشير اليه في التلمود ولكن مجلس القدس تمتع بالقدر الأكبر من التعاظم في كافة الامور الدينية والمدنية ويشهد التلمود اربعين سنة قبل تدمير الهيكل ان السنهدرين كان قد استمر على جبل الهيكل وقد صمد امام انهيار الحكومة وواصل المسيرة بشكل او بآخر الى نهاية القرن الرابع الميلادي . . . وقد عانى السنهدرين من عشرة تنقلات من غرفة الهيون ستون الى المحطة التجارية ومنها الى لقدس ومن القدس الى حمات ومن حمات الى " اوش " بعد ذلك الحي " شافرام " ومن شافرام الى " بيت شيريم " ومن بيت شيريم الى "سفوريس " ومن سيفوريس الى " طبريا " وجميع هذه المدن كانت في فلسطين القديمة .

اليهودية

اليهود هي التسمية التي تدل على بني اسرائيل السابقين واللاحقين او حسب اداعاتهم ، جميع نسل يعقوب الذي اطلقوا عليه اسم " اسرائيل " وهذا بطبيعته على النقيض من الحقيقة كما يعتقد الكثيرون من المؤرخين الباحثين والعلماء المعاصرين الذين بحثوا وكتبوا الكثير عن بني اسرائيل وجذورهم وتاريخهم الحافل بالاحداث عبر الصحارى العربية وحروبهم وشقاقهم بين بعضهم البعض اضافة الى دسائسهم ومؤامراتهم ضد الشعوب غير اليهودية واحيانا ضد انفسهم .

اما اليهودية فهي العقيدة الدينية والعبادة وطقوسها الخاصة باليهود وهي عقيدة تختلف في مضمونها وجوهرها عن المسيحية والاسلامية وسوف نتعامل في هذا البحث مع اليهودية بوضعها الديني المتعلق بالتواصل مع نظامها الخاص بالايمان والطقوس والعادات . . . الخ مع التحفظ الشديد والاشارة الى ان رأي الديانات الاخرى حتما يكون متباينا بشكل كبير . . مما يتعين علينا تغطية تاريخ بني اسرائيل منذ العودة من السبي البابلي الثاني وما تلا تلك العودة الى بلاد كنعان من احداث وتطورات . . يمكن تقسيم هذا التاريخ الى فترات مختلفة وفقا للمراحل الرئيسية

التي قد تكون مميزة في وجود العرق اليهودي منذ عودتهم الى بلاد كنعان في العام ٥٣٨ قبل الميلاد . . ففي شهر تشرين الاول / اكتوبر ٥٣٨ قبل الميلاد فتحت بابل ابوابها للجيش الفارسي بقيادة الامبراطور "قورش بن احشيورش الاخميني " وبعد اسابيع من فتحه لبابل كان من بين الاعمال الرسمية للحاكم الجديد في بابل اعطاء الحرية لليهود في المنفى وسمح لهم بل ساعدهم ايضا ، على العودة الى منطقة يهودا في بلاد كنعان . . .وقد جاءت قصة مساعدة " قورش " لبني اسرائيل بالعودة الى بلاد كنعان والاغداق عليهم بالمال والذهب وتوفير راحة مسيرتهم في طريق العودة في سفر أستير في الكتاب المقدس . . وقد جاءت القصة مفصلة في التلمود ايضا وكان هناك عدد من المثقفين استفادوا من مساعدة قورش لهم وكان الامبراطور الفارسي قد عهد لزعيمهم "زوروبابل " سليل العائلة المالكة في مملكة " يهودا " باعتباره الرئيس الديني لمجتمع العائد الى القدس وشكلوا هناك في القدس مجلسا للشيوخ من اثني عشر حاخاما وكان هذا المجلس الذي يرأسه " زوروبابل " من مهامه هو توجية الشؤون الداخلية للمجتمع اليهودي وتحت سلطات بلاد فارس وتمكن المجلس ايضا من اقامة المذبح الجديد وكان على استعداد للاحتفال بعيد "العُرُش " سنة ٥٣٧ قبل الميلاد ولم ينفذ المجلس الطقوس الدينية خارج الهيكل بل قام بوضع الاساس للهيكل الثاني في الشهر الثاني من السنة الثانية بعد العودة . . ولكن لم يحرز اي تقدم لاكثر من ستة عشر عاما وذلك لاسباب تزييف الحقائق وايجابية ملوك الفرس تجاه السامريين الذي رفضوا اية مشاركة او اعمال في اعادة بناء الهيكل .

الأعياد الدينية عند اليهود

لكل عيد من اعياد اليهود الدينية (حكاية ورواية) معظمها نصوص فلسفية وروايات مجازية تتعلق بطقوس تلك الاعياد وما جاء لبني اسرائيل في التوراة وفي شروحات التلمود . لهذا سأحاول اختصارها بقدر الامكان بسبب طولها وكثرتها .

عيد الفصح (פֶּסַח بيسخ) وهو عيد الخبز غيرالمخّمر او (الفصح) . . يبدأ من مساء يوم الرابع عشر من نيسان/ابريل ويقام في ذكرى الاجداد وتحررهم من العبودية في مصر . . ذكرى ابدية دائمة . . وخلال هذه الذكرى يُحرّم على اليهودي استعمال اي شيء مخمّر ، اذ خاطب موسى الاسرائيليين باسم الاله " يهوه " قائلا : ابتعدوا وخذوا لانفسم حملا . . " بالمحافظة على هذا المبدأ فانهم يستحقون ارادة الاله وهو الذي يحررهم من عبوديتهم لأنه عندما تكلم كانوا (عراة حفاة) . ابتعدوا وخذوا لانفسكم حملا – الحمل هو صغير الخاروف – اي

ابتعدوا عن الاوثان التي تعبدوها مع استعبادكم من المصريين . . . العجول والخراف من الحجارة والمادة الصلبة وبواحد من ذات الحيوانات انتم تذنبون . . استعدوا لتعملوا بوصايا إلهكم . . " البرج الرمز لشهر نيسان/ ابريل هو " الحمل " بهذا فأن المصريين ربما لم يفكروا انه من خلال قوى الحمل قد ازاحوا نير العبودية وهم لا يدرون . . وعليه فقد امر الله شعبه اسرائيل ان يأخذوا لأنفسهم حملا ويأكلوه .

قال الرب لموسى " قل لبني اسرائيل ان يقترضوا من المصريين الذهب والفضة لكي لا يقال فيما بعد انهم يستعبدوهم وانهم يعذبوهم ويبتلوهم ولكن الذي سيخرجون به هو كبير الموضوعية . عندما اخبر موسى بني اسرائيل بأنهم ينبغي ان يخرجوا من مصر مع الموضوعية قالوا وهل سنخرج خاليين اليدين مثل الخادم السجين . . غدا يقول السجان سوف اطلق سراحك واعطيك مالا وفيرا . . يرد السجين فيقول : دعني اذهب اليوم ولا تعطني اي شيء . . وفي اليوم السابع من الفصح عبر بنو اسرائيل البحر الاحمر الى سيناء واغرق جيش الفرعون في مياة "بحر سوف" . والرواية المجازية في هذا تقول : " كان رجل مسافرا ومعه ابنه الصغير وكان ابنه في الطريق قد سبق الاب . . وبينما هما سائران ظهر لص في الممر فوضع الرجل ابنه خلفه وفي الاثناء جاء ذئب من الخلف فما كان من الاب الا ان يرفع ابنه الصفير ويحمله بين ذراعية . . . . . كان البحر امام بني اسرائيل وكان المصريون يتبعونهم . . لهذا فقد رفع الاله يهوه ابناءه وضمهم الى ذراعية . . وعندما عانى اسرائيل من حر الشمس نشر الاله فوقه غمامة تغطيه وعندما جاعوا نزل عليهم يهوه خبزا من السماء وعندما عطشوا فتح لهم فيضانات من صخرة . . فجعلوا ذلك فصحا يحتفلون به في ذكرى خروجهم من مصر وانتهاء عبوديتهم .

عيد العنصرة – عيد الاسابيع – חג-השבועות

هذا العيد يأتي في اليوم السادس من الشهر العبري " سيبان " وهو شهر حزيران في التقويم القمري ويسمى عيد الاسابيع لأنه يستمر لمدة ٤٩ يوما او سبعة اسابيع ينتهي في اليوم التالي من عيد الفصح . . . وحكايته تقول :

عندما قدمت لهم " غمرا " من الشعير الاخضر (وهذا كان ايام الهيكل) وفي الاحتفال قدم رغيفان من الخبز غير مخمّرين صنعا من دقيق محصول القمح . . . وهو ايضا عيد تسلم الوصايا على جبل سيناء .

في قديم الزمان كانوا يسمون الرجال " الحكماء " الذين وضعوا ايمانهم واعتمادهم على الكواكب . . وقد قسموا ذلك الى سبعة اقسام ، كل واحد منها موزع على ا يام الاسبوع . . بعض الامم اختارت الشمس تعبدها . .

وبعضها اتخذ القمر وهكذا عبدوا هذه الاشياء وصلوا لها وهم لا يعلمون ان الكواكب متحركة ومتغيرة حسب دورة الطبيعة التي خلقها العلي . . ومن الطبيعي ان يكون قادرا على تغييرها حسب ارادته وبافكارهم الجاهلة دخل فيها كثير من بني اسرائيل . . لذلك اعتبروا الكواكب سبعة وان الله خلق اشياء كثيرة اعتمادا على هذا الرقم (٧) ليرى بنو البشر انه خلقها وهكذا خلق الكواكب .

اليوم السابع من الاسبوع عمله " السبت" والسنة السابعة عملها سنة الراحة بعد السبعة اوقات او السنة السبتية وفرض " اليوبيل " او سنة "الانعتاق " واعطى سبعة ايام احتفال اعياد الفصح وسبعة ايام لعيد "العُرُش " وسبعة ايام في ذكرى حصار اريحا وسبعة كهنة اخذوا الابواق السبعة وطافوا بها حول اسوار اريحا سبع مرات وفي اليوم السابع انهارت اسوار المدينة ودخلوها وذبحوا كل من فيها من رجال ونساء حتى الحمير والبقر ولكن استحيوا امرأه كانت قد خبأت جواسيس يشوع بن نون واسمها " راحاب الزانية " حسب الرواية التوراتية . لذلك بعد تعداد السبعة اسابيع في وقت نضوج الحبوب كان على اليهود ان يمسكوا بدعوى مقدسة للتسبيح بحمد الواحد الاحد الذي بمقدوره ان يمنع كل الاشياء والذي لا يمكن لأحد ان يمنعه ، الذي يستطيع ان يبدل كل شيء ولا يتبدل اليوم الاول كان الاسرئيليون قد تحرروا من العبودية والخرافات . . . في اليوم الخامس اعطيت لهم التوراة لتكون هادية لهم في حياتهم . . . تقول الاسطورة ان الله عرض التوراة على ابناء اسماعيل . . فسألوا : ماذا تقول هذه التوراة؟ قال : تقول لا تسرقوا ! ! قالوا كيف يمكننا ان نقبلها وقد كان اباؤنا واجدادنا مباركين بقوله " يدكم يجب ان تكون ضد كل انسان؟ وذهب الله الى ابناء عيساو وسألهم : هل تقبلون التوراة ؟ فسألوا : ماذا تقول وجاءهم الجواب " لا تقتلوا " قالوا لن نقبلها واضافوا لهذه العمل باركنا ابونا اسحق وقال بالسيف تعيشون . . ولما سأل اسرائيل بأن يقلبل التوراة اجاب الشعب " سوف نفعل ونطيع" .

السنة الجديدة (ראש השנה)

في اليوم الاول من الشهر العبري (تشري) اكتوبر ذكرى خلق الكون . . . ينفخ في البوق معلنا للناس ان السنة الجديدة قد بدأت ويحذرهم لمراجعة سلوكهم وان يعدلوا او يصلحوا الاخطاء في سلوكهم اينما يحتاج الى تعديل او اصلاح . . أليس الانسان العاقل يعلم انه يجب ان يقف امام لمحكمة ليحاكم ويعد نفسه لهذا سواء في القضايا المدنية او الجنائية وانه لا يستطيع ان يحصل على استشارة قانونية وماذا اكثر . . اذن يكون شغله وحده ان يُعد

للقاء ملك الملوك الذي تنكشف امامه كل الاشياء . . لا تفيده الاستشارات في قضية التوبة والاخلاص والصدقة فهذه هي التي تنفعه . . لذلك على الشخص ان يبحث في اعماله ويكفر عن آثامه قبل يوم الحساب الأكبر . . . في شهر ايلول عليه ان يراجع ضميره من واقع مخافته من العدل الذي ينتظر البشرية جمعاء .

هذا هو الموسم الذي يغفر الله فيه لبني اسرائيل الذين عبدوا العجل المصهور بعد ان امر موسى ان يصعد مرة اخرى الى الجبل ليتسلم اللوح الثاني اذ كان قد حطم اللوح الاول . . فقد قال لموسى في شهر ايلول "اصعد اليّ في الجبل" وصعد موسى وتسلم اللوح الثاني في نهاية الاربعين يوما . . وقبل ان يصعد امر بالنفخ في البوق في المخيم . . ومنذ ذلك الوقت اصبح النفخ في "الشوفار" (البوق المصنع من قرن الكبش . .) في المعابد اليهودية لتحذير بني اسرائيل من يوم الحساب بأنه يقترب ويقترب معه يوم الغفران . . ومن هذا يتبين ان يوم الحساب الأكبر عند بني اسرايل هو يوم رأس السنة الجديدة من كل عام . . لهذا تقام صلوات استرضائية واسترحامية واستعطافية مرتين في اليوم في الصباح وفي المساء من اليوم الثاني من شهر ايلول حتى مساء يوم الغفران . . الفترة التي تمثل الايام الاربعين التي قضاها موسى على جبل سيناء . . لما تصالح مع اسرائيل وعفا عن آثامهم بعبادة عجل الذهب الربّاني أليعازر قال : ولد ابراهيم ويعقوب في شهر "تشري" اكتوبر وفي شهر "تشري" ماتا . . . في اليوم الاول من تشري خلق الله الكون وخلال الفصح ولد "اسحق" وفي اول تشري "السنة الجديدة" سارة وراشيل وهن العاقرات قد حدثت زيارتهن . . .وفي الاول من تشري خلق آدم الذي من وجوده نعدّ سنواتنا وكان اليوم السادس في الخليقة وفي ذاك اليوم ايضا اكل من الثمرة الممنوعة . . لذلك فهو موسم التوبة حين قال الله لآدم "هذا سيكون العلامة للاجيال المستقبلية وسوف يحكم على سلالاتك في ضوء هذه الايام وسوف يعيشون ايام العفو والمغفرة . اربعة ايام في السنة يذكّر الله فيها بمراسيمه" .

السنة الاولى من "تشري" اكتوبر يتم حساب جميع المخلوقات البشرية للسنة القادمة

السنة الثانية : اليوم الاول للفصح ، فيه تقرر ندرة او كثافة المحصول .

السنة الثالثة : عيد العنصرة . . يبارك الاله ثمار الاشجار او يأمرها بأن لا تثمر كثيرا

السنة الرابعة : عيد "العُرُش" (الخيام) يقرر فيه الاله فيما اذا كان المطر سوف يبارك الارض في موسمها ام لا .

الانسان يحكم عليه في يوم السنة الجديدة والمرسوم يصدر نهائيا يوم الغفران "الربّاني تاتان" قال : إن الانسان يحاسب في كل وقت وهكذا يقول الرباني "عكيفا" .

لماذا توصي التوراة باحضار " غمر" من الشعير يوم الفصح ؟ لأن الفصح هو موسم حصاد الحبوب . . . يقول يهوه " قدموا لي رزمة من الشعير يوم الفصح لكي ابارك الغلال في الحقل .

لماذا تقول التوراة احضروا رغيفين من القمح الجديد يوم عيد العنصرة (عيد الاسابيع) لأن الثمار في عيد العنصرة تكون قد نضجت ومن اجل ان يبارك الاله الثمار على الاشجار .

لماذا كانت الوصايا بتقديم تقدمات مشروبات من الماء في الهيكل في عيد "العرش" ؟

لأن ذلك سيكون موسم الشتاء ويقول الرب . . احضروا مشاريب الماء لي لكي ابارك مطر السنة لماذا يصنعون البوق من " قرن الكبش " ؟ لكي يتذكر الاله الكبش الذي قدمه اضحية بدل اسحق .

في السنة الجديدة يقرأون عن ربط اسحق لذات الغرض بينما يكون الاله رحوما بخلقه ويعطيهم فرصة للتوبة لكي لا يهلكوا وهم اشرار . . وخلال السنة يختار الانسان ان يكون قاسيا وصلبا فيما يتعلق بآثامه ، لذلك فان البوق ينفخ فيه لايقاظ ضمير الانسان وتذكيره بأن الوقت يمر سريعا "أنهض من نومك فساعات الزيارة تقترب " ثلاثة اصناف من الناس يستدعون للحساب : الصالح والشرير واللامبالي . . . اما الصالح فيكافأه الرب بحياة سعيدة . . والشرير يدينه . . واللامبالي يمنحه مهلة من اول السنة الحبي يوم الغفران ويعلق حسابه . . اما اذا تاب بصدق فيصنف مع الصالحين لحياة سعيدة . . وإن لم يتب فسوف يستمر مع الشريرين .

عيد يوم الغفران (יום חג כיפור)

قلوب جميع الذين يخشون الاله وانعكاس المخلوق للخالق الذي هو يحاسب على الاعمال ان كان خيرا او شرا . . والاله دائما مستعد ليستمع لمن يعترف بالتوبة الصادقة والتوبة حسب التوراة والتلمود تأتي على سبع درجات :

الدرجة الاولى : _ الانسان التقي هو الذي يستغفر لعمله السيء وسوء سلوكه فور معرفته بالخطيئة التي ارتكبها وهذا هو افضل التوابين .

الدرجة الثانية : الانسان الذي عاش حياته في الخطيئة وحتى حين كان في ايام عنفوانه يتنازل عن الطرق المسلكية السيئة في حياته ويتغلب على رغباته الذاتية التي تقوده الى الخطيئة . .كما قال الملك سليمان " تذكر خالقك في ايام شبابك وعنفوانك واترك طرقك الشيطانية حين تكون في مقتبل عمرك " .

الدرجة الثالثة : الانسان الذي منعته الظروف لاي سبب من الاسباب في التفكير بالخطيئة ويستغفر عن نواياه الشريرة " سعيد هو الذي يخشى الاله " كما جاء في المزامير الكلمة استعملت لتعبر عن قوة ارادة اولئك الذين يتوبون وهم ما زالوا في ريعان الشباب .

الدرجة الرابعة : الذي يتوب عندما يشيرون الى خطيئته ويبلغونه بها ويوبخ من اجلها ، كما كان حال من سكنوا " نينوى " لم يتوبوا ويستغفروا االى ان قال لهم نبيهم جونا " يا رجال نينوى آمنوا برحمة الخالق ولكن الامر كان قد صدر يحقهم برغم انهم طلبوا المغفرة لكنهم تأخروا فيها . . اذ رأى الاله انهم عادوا عن طرقهم الشريرة والاله لم يلزم نفسه بالشر الذي قال فيه انه سوف ينزله بهم ولكنه لم يفعل . . لهذا يقول الربانيون اخواننا الذين لا يعيشون في "الخيش " والذين يصومون سوف يكسبون المغفرة من ذنوب تيه القلوب وبالاعمال الصالحة . . فقد رأي الله صيامهم ورأي عملهم بعودتهم عن طرقهم الشيطانية .

الدرجة الخامسة : اولئك الذين يتوبون عندما تداهمهم المشاكل والاضطرابات ، فعندما يكون الانسان في محنة شديدة تكون هذه الامور قد غشيته وفي هذه الحالة ليس امامه الا الرجوع الى خالقه . وقد بُني على هذا مثل القائل " التوبة والاعمال الصالحة تشكل درعا ضد العقاب " .

الدرجة السادسة : التوبة عند الكبر – وحتى حين يصل الانسان الى سن الكبر سن الشيخوخة والوهن فإن تاب بصدق فأن المغفرة سوف تحل عليه كما جاء في المزامير " عودوا انتم يا ابناء الرجال " وتعني ان الانسان ممكن ان يتوب في اي زمان وفي اي عمر . الربّانيون يقولون على الرغم من كون الانسان تقيا صالحا في ايام شبابه وعنفوانه ، لكن إن هو تمرد على ارادة ربه في كبره فأنه يخسر حتى استحقاقاته السابقة التي سجلت له عندما كان صالحا . . ولكن الانسان الذي يكون شريرا ايام صباه ويشعر بالاسف الشديد ويطلب التوبة في كبره يجب ان لا يسمى شريرا بعد ذلك .

الدرجة السابعة : " وهي الدرجة الاخيرة في التوبة . . وهي للذي يكون متمردا على خالقه على طول ايام حياته ويعود الى الله فقد عندما يكون الموت قد خيم عليه . . يقول الربانيون إن كان الشخص مريضا وساعات وفاته تقترب فان من واجب الذين حول فراشه ساعات الموت ان يقولوا له " إعترف بذنوبك لخالقك " .

هؤلاء الذين يقتربون من نقطة الموت ، عليهم ان يعترفوا بتقصيرهم ، فالانسان الذي يمثل امام محكمة العدل يستطيع ان يحضر محامين للدفاع عنه وعن قضيته ولكن من يدافع عمن يقفون امام الله . . لا يجدوا من يدافع عنهم سوى التوبة وطلب المغفرة .

هكذا تكون سبع درجات مختلفة للتوبة ومن يهمل هذه الدرجات سوف يعاني في الحياة . . لهذا على اليهودي ان يوفي بالواجبات الملقاة عليه ويتوب طالما كان قادرا على التصحيح كما يقول الربانيون " تب عن ذنبك كأنك في غرفة موصلة للأخرى حيث تدخل غرفة الدولة " عد انت . . . عد انت عن الطريق الشريرة ، كأنك ستموت . . يا بيت اسرائيل صاح النبي "حزقيال" فماذا يعني هذا التحذير بدون التوبة فانكم ميتون . وهكذا تصور الرواية المجازية التاليه التوبة " ذات مرّة كانت سفينة كبيرة تبحر لعدة ايام في مياه المحيط وقبل ان تصل الى مكان وجهتها ثارت رياح عاصفة وعاتية فحولتها عن مسارها الى ان هدأت الرياح اخيرا فوجدت نفسها بقرب جزيرة جميلة المنظر بازهارها ورياحينها وفاكهتها اللذيذة بوفرة وفيض كاملين . . . اشجار باسقة تعطي الظلال وتنعش المكان بنسيم عليل . . وكما بدا لركاب تلك السفينة . . فقسموا انفسهم الى خمس مجموعات . . . المجموعة الاولى اصرت على ان لا تترك السفينة وقالوا : ربما تأتي رياح قوية فترفع المرساة وتبحر السفينة مرة اخرى وتتركنا خلفها . . وعلينا ان لا نخاطر بفقدان المكان الذي تتجه اليه من اجل سعادة مؤقته تتوفر لنا في هذه الجزيرة" .

المجموعة الاولى : نزلت الى الشاطيء لفترة قصيرة واستمتعت بعطر الزهور وتذوقت الثمار وعادت الى السفينة سعيدة ومجددة نشاطها فوجد افرادها اماكنهم في المواقع التي تركوها فيها ولم يخسروا شيئًا بل اكتسبوا صحة وروحا جديدة من الفسحة وزيارتهم للشاطيء .

المجموعة الثانية : ايضا قام افرادها بزيارة الجزيرة ولكنهم بقوا فيها مدة طويلة الى ان هبت رياح قوية فاسرعوا عودة ولما وصلوا السفينة كان البحارة يرفعون المراسي وبعجلة وارتباك شديد فقدوا اماكنهم عليها ولم يكونوا مرتاحين خلال ما تبقى لهم من الطريق الى المكان الذي يقصدونه . عموما هؤلاء كانوا اكثر حكمة من افراد المجموعة الرابعة الذين بقوا في الجزيرة وتذوقوا بعمق السعادة فيها والسرور لدرجة انهم لم يسمعوا صوت اجراس السفينة تقرع منذرة بالابحار . . دون ان يستمعوا لها وقالوا : لا زال امامنا متسع من الوقت لتوجيه الاشرعة فدعونا نستمتع ونتمع انفسنا وقتا اطول . . . مرة اخرى قرعت الاجراس ولكن لا زالوا غير سامعين وقالوا : قبطان السفينة لن يبحر بدوننا . . وهكذا بقوا على الشاطيء الى ان رأوا السفينة تتحرك فسارعوا سباحة وتسلقوا جوانبها

ولكنهم ايصيبوا بكدمات واصابات لم تشف طوال فترة رحلتهم المتبقية . . . اما بالنسبة للمجوعة الخامسة فقد اكلوا وشربوا بشهية ونهم ولم يسمعوا صوت الاجراس وما اجرت السفينة كانوا هم المتروكين خلفها . . الى ان جاءت وحوش الجزيرة فافترستهم . . اولئك الذين فروا من هذا الشر هلكوا من سموم التخمة والانتفاخ الذي اصابهم بسبب عدم الاتزان فيما اكلوا .

السفينة هي اعمال اليهودي الصالحة التي تنقله الى متواه الاخير في السماء . . . الجزيرة تمثل السرور في الحياة الدنيا التي رفضت المجموعة الاولى ان تتذوقه او حتى تنظر اليه ولكن الذين استمتعوا مؤقتا مثل المجموعة الثانية جعل حياة اليهودي كلها سعادة وسرور دون اهمال واجباته . . . . حقيقة ممكن ان تعود مثل المجموعة الثالثة بينما يكون هناك وقت بمؤثرات سيئة قليلة ولا حتى كالمجموعة الرابعة في الساعة الحادية عشرة سلموا ولكن بكدمات واصابات لا تشفى تماما ولكن اليهودي قد يتعرض للخطر كما حدث مع المجموعة الاخيرة قد يقضي بقية حياته في اتباع الباطل ناسيا المستقبل ويهلك بسبب السموم المخبئة في الحلويات التي تجلبه لها . . فمهما جمع الانسان من مال وخزن من الذهب سوف يترك كل شيء على بوابة النصر الكبيرة الازلية ولا يمكن لذهبه او فضته ان تتبع روحه فقط الاعمال الصالحة والثقة بالله تكون الهادية للارواح .

عيد العُرُش أو عيد الظلال - סוכות (سوخوت)

يبدا هذا العيد في اليوم الخامس عشر من شهر تشري /اكتوبر ويستمر سبعة ايام وعلى بني اسرائيل يترتب ان يسكنوا في خيام او عُرُش او عشوائيات من البوص لكي تظل ذاكرتهم حيّة تذكرهم هذه الخيام انها كانت بيوتهم اثناء تيههم في الصحراء بعد خروجهم من مصر ورموز احتفالهم بهذ العيد هي فروع النخيل المربوطة باغصان الريحان الشامي وفروع الصفصاف .

قال الاله " هذا لا يكون لكم صياما مثل يوم الغفران . . كلوا واشربوا واستمتعوا وضحّوا بتقدمات سليمة فيه . . " وتقول التوراة سبعة ايام للرب يهوه . . لذلك على اليهودي ومن خلال استمتاعه ان يفرد افكارا مهمة للرب امرنا الاله القدير ان نغادر مساكننا الدائمة وان نعيش السبعة ايام في "العشوائيات " . هذا المبدأ يعلمنا بأن الانسان يجب ان لا يضع ثقته بالمباني الفخمة التي زينها بقيمة الزينة حتى الحكام في هذه الارض عليهم الاعتماد على العلي القدير الذي قال للكون كن فكان . . الله وحده القوة والملك وهو الذي لا يتغير الى اي شيء غير الذي اعلنه عن

نفسه كما هو مكتوب . . الله ليس رجلا يمكن ان يكذب فهو وحده الذي يؤكد على حماية بني اسرائيل من كل الشرور .

عيد العُرُش هذا يقام في فصل الخريف بعد ان تكون ثمار الحقول قد تم تخزينها في المستودعات حسب ما جاء في التوراة " عيد العُرُش عليهم ان يقيموه لانفسهم سبعة ايام بعد جمع المحصول وتخزينه في المخازن " في الوقت عندما يرى الانسان الكثير حوله ربما يتعجرف ويشعر بأنه يثري بيته بالفخامة ولهذا السبب فرض عليه ان يتركه وان يسكن العشوائيات لتذكر بأن كل ما يملكه يرجع الى الله وانه لم يملكه بذكائه او قوته .

هذه المساكن في العشوائيات ايضا تعيد ذاكرة بني اسرائيل الى الاربعين يوما التي عاشها اجدادهم في الصحراء بعد خرجهم من مصر اذ ك ان كما يعتقدون ان يهوه يرافقهم في اجيالهم وقد حماهم من الشرور ولا زال يقف الى جانبهم حيث انه شعبه الذي اختاره لنفسه كما تقول الروايات التوارتية والتلمودية .

حسب اراء بعض الربانيين فأن بني اسرائيل لم يسكنوا في الحقيقة في عشوائيات صحراوية بالمعنى الصحيح حيث كانوا محاطين بالغمام (سبع غيوم) واحدة على كل جانب والخامسة كانت ظلال لحمايتهم من حر خيوط الشمس الحارقة والسادسة كان عمودا من نار يضيء عليهم في الليل والسابعة تتقدمهم في رحلتهم وتنير طريقهم .

ترك بنو اسرائيل مصر في شهر نيسان/ابريل وحصلوا فورا على تلك العشوائيات والتي استفادوا بالاقامة فيها لمدة اربعين عاما . . وهكذا كانوا سكان العشوائيات خلال دورة السنة الكاملة ولهذا يمكن احياء ذكرى هذه الحقيقة في الربيع كما في الخريف وفي الصيف كما في الشتاء . . .

لماذا جعل الله الخريف لاحياء الاحتفال ولم يجعله في الربيع او الصيف ؟ لأنه كما تقول اساطير بني اسرائيل لو عشنا في العشوائيات في الصيف يكون هناك السؤال فيما اذا كنا في ذلك نطيع الله او من اجل امتنانا الخاص لأن الكثير من الناس يبحثون عن التراجع خلال هذه الفصل ويكون في الخريف عندما تتساقط اوراق الشجر ويبرد الهواء ويأتي الوقت الذي تهتم فيه بيوتنا وبعدها لاستقبال الشتاء ، اذن بالاقامة في هذه المساكن المؤقته فاننا نؤدي عبادة ونعمل بما امرنا به الخالق .

عيد العُرُش ايضا هو عيد الحصاد . . لنشكر الله على الرحمة التي وهبنا اياها والكنز الذي باركنا به موسى بن ميمون في ادبياته وقد سبق وان ذكرنا تعريفا ببعض اعماله في صدر هذا الباب . .) ى التي يسميها المرشد من الحيرة ويوضح بان الله امر بني اسرائيل ليأخذوا هذه الاربعة شعارات خلال الاحتفال ليذكرهم بأنهم اخرجوا من

الصحراء التي لا تتوفر فيها الثمار ولا يعيش فيها بشر وينقلهم الى الارض التي تفيض لبنا وعسلا والمياه العذبة (فلسطين) من اجل هذا امرهم يمسكوا بايادهم ثمار الارض الثمينة وهم يتغنوا تسبيحا بحمد الواحد الذي قدم المعجزات بالنيابة عنهم والذي يطعمهم مما تنتجه الارض الطيبة ارض كنعان . الشعارات الاربعة تختلف في المذاق والمظهر واللون تماما مثل ابناء الرجال يكونون مختلفين في السلوك وفي العادات .

اشجار الكباد هي اشجار مثمرة بفواكه ذات قيمة . . انها جيدة للعام ولها لون يسر الناظرين تقارب بالرجل الذكي الصالح في سلوكه نحو الاله ، ونحو اخوانه ابناء ملته . . رائحة ثمارها هي من اعمال الاله الطيبة ، لذلك تذكر في المقدمة وتأخذ بنفسها بيد واحدة .

فروع النخيل تنتج فاكهة ولكن بدون رائحة . . انها تقارن باولئك الناس الطيبين الذين يتصرفون بشكل سليم تجاه الاله وتجاه الناس ولكنهم غير متعلمين . صفصاف الغدير ليس لها ثمار ولا رائحة . . وتقارن باولئك الناس الذين تنقصهم المعرفة ولا يقومون باعمال جيدة .

اذا جمعوا الجميع سويا وقدموا التضرعات الى العلي فإنه سوف يستمع الى تضرعاتهم ولهذا السبب قالم موسى لبني اسرائيل " وانتم سوف تأخذون على انفسكم " بمعنى لفائدتكم . . ولتسبحوا لله خلال السبعة ايام من ايام الاحتفال مع هذه الشعارات وترددوا (خلقنا الان) وتشكروا الله على رحمته وتحمله الابدي .

يقول الربانيون ان من يفشل بالمشاركة في الاحتفال بعيد العرش في القدس قد فشل في تذوق المتعة الحقيقية في الحياة . . اليوم الاول من ايام الاحتفال يمر بعبوس كبير وفي ايام السوط بفرح وسرور بالطرق المختلفة والتسلية العامة .

الهيكل في القدس الحق به مقصورة خاصة بالنساء والتي اطلق عليها اسم " شقة النساء" الرجال يجلسون تحتها كما هي العادة في المعابد . . الرهبان الصغار يملأون " الثريات " بالزيت ويشعلونها جميعها ليكون الضوء منعكسا منها على شوارع المدينة . . التراتيل والتسابيح يرددها الاتقياء واللاويون يسبحون لله بالقيثارات والابواق والطبول والناي وآلات اخرى من آلات النفخ الموسيقية . . يقفون على خمس عشرة درجة خشبية لتوصل من الطابق الارضي الى مقصورة النساء ويغنون خمس عشرة اغنية من اغاني المزامير اثناء صعودهم . . تبدأ بأغنية الدرجات وتصدح اصوات الكورس معهم . . وكان الربّاني " هليل " اعتاد ان يخطب في المجتمعين بهذه المناسبة ويقول :

" اذا كان الله يسكن هنا اذن هل انتم هنا . . كل واحد منكم واذا كان الله يغيب من وسطكم فأن ذلك بعصيانكم ، ومن يكون هنا ويضيف : ايها الرب اذا رغبت بأن تحضر الى بيتي اذن انا احضر الى بيتك ولكن ان رفضت ان تزور سكني فانا ايضا سوف اهمل دخول سكناك . . فيقول الرب كما جاء في سفر الخروج " في كل مكان اسمح فيه بذكر اسمي انا احضر اليك وسوف اباركك " ثم يجيب بعض الناس " سعيد فكرنا لأننا نتوب من ذنوب ايام شبابنا " هذا الاحتفال ايضا يسمى " احتفال زعب الماء " حيث كان ايام ودود الاخير يجرى احتفال خاص في اليوم الثاني من الاجتماع في الخيام ويسمون ذلك الاحتفال " احتفال زعب او سحب الماء من الآبار " وكان هذا يقام على اساس كلمات النبي " وانتم يجب ان تسحبوا الماء بسرور وفرح من نوافير الخلاص من العبودية " .

عيد الحنوكا – أو عيد الإهداءات

هذا العيد يقام لمدة ثمانية ايام خلال شهر ديسمبر في ذكرى الاهداءات للهيكل بعد ان تم تنجيسه من قبل " انطوخيوس والهشمونيين " كان الله دائما يرسل المعجزات والعجائب نيابة عن ابنائه في ساعات حاجتهم لها . . لذلك عرض قوته التي لا تضاهى لامم العالم وكان ذلك لمنع الانسان من ان يصبح خائنا مرتابا وينسب كل السعادة لدورة الطبيعة . . الله الذي خلق الكون من العدم لقادر على ان يبدل الطبيعة التي صنعها . . فعندما حقق الشمانيون بعون الله نصرهم واقاموا بسلام وانسجام في ارضهم وكان عملهم الاول تطهير الهيكل الذي كان قد دنس وابتداوا من اليوم الخامس والعشرين من شهر " كيسيليف " ديسمبر في اطاعة تعاليم الربانيين احتفال الاهداء باشعال المصابيح والشموع التي كانت قد اعدت لهذه المناسبة . وفي اليوم الاول يشعلون واحدة ثم واحدة اخرى اضافية كل ليلة تالية على استمرار ايام هذا العيد الثمانية . . كما يحتفلون به بترانيم الشكر والحمد لله .

هذا العيد قد ورد ذكره في نصوص سفر العدد عندما لاحظ هارون قراين امراء القبائل وحريتهم العظيمة . . وكان ضميره يشعره بالاسف لأن قبيلته لم يكونوا قادرين على الانضمام اليهم . . . لكن هذه الكلمات قيلت كتهدئة له " يا هارون استحقاقك اكثر من استحقاقاتهم لأنك اشعلت واحضرت المصابيح المقدسة " وقال الله لموسى : هكذا تقول لهارون في الاجيال القادمة سوف يكون هناك اهداء آخر واشعال المصابيح ومن خلال الخَلَف تقوم العبادة . . . المعجزات والخوارق سوف تتبع ذلك الاهداء . . لا تخش عظمة الامراء في قبيلتك ، اثناء وجود الهيكل انت سوف تضحي ولكن اشعال المصابيح تبقى ايضا الى الابد . فأن القرابين سوف تزول لكن اشعال

مصابيح اهداءات الهشمونيين لن تتوقف . الربانيون طلبوا هذا الاحتفال باشعال المصابيح ليجعلوا معجزات الله معروفة لكل الاجيال القادمة وانه من واجبنا ان نشعل نفس المصابيح في معابدنا وفي بيوتنا ايضا .

عيد البوريم (הפורים)

هذا العيد يحل في اليوم الرابع عشر من شهر ادار/مارس في ذكرى خلاص العبرانيين من مكيدة " هامان " من خلال عون الله لمردخاي واستير . . كما ان الله يهدد بني اسرائيل لكي يتوبوا عن آثامهم وقد اغراهم في زيادة مكافأتهم . على سبيل المثال . . . الاب الذي يحب ابنه ويرغب في ان يرى سلوكه حسنا فأنه يعاقبه على سوء اعماله ولكنه عقاب مشفوع بالمحبة التي وهبها له . . وفي هذا قال مرتد عن الدين قال للرباني "سافرا " انه مكتوب . . . من اجل اعرفكم اكثر من جميع امم الارض ، لذلك فأني ازوركم ويكون استفساركم . . كيف ذلك ؟ اذا كان شخص يملك حصانا شرسا من المحتمل ان يضع على ظهره اعز اصدقائه لربما يلقي به ارضا ويؤذيه ؟

اجاب الرباني " سافرا " انفرض ان انسانا اعطى قرضا من المال لشخصين . . واحد منهما هو صديق له . . . والآخر عدو . . سوف يسمح لصديقه بتسديد المبلغ المقترض على دفعات اي على اقساط . . لكي لا يكون القرض عبئا شاقا على صديقة . .ولكن من عدوه يطلب المبلغ كاملا . . فما قلته ينطبق عليهما . . . انا احبك فانا ازورك وازور مظلمتك بمعنى انا سوف اعاقبك على القرض كما يحدث قليلا قليلا وذلك يعني ربما يكون لديك مخالصة وسعادة في العالم القادم .

" هامان " الذي كان زوير الامبراطور " احشيورش الاخميني " امبراطور بلاد فارس ، كان له تأثير على اليهود اكثر من المباديء والتحذيرات من الانبياء الثمانية والاربعين الذين حاضروا بهم مبكرا ومتأخرا . . البسوا انفسهم قماش الخيش واندموا واستغفروا بجد بالدموع والصيام وقد اشفق الله عليهم ودمر هامان .

المزاعم اليهودية

درج بنو اسرائيل منذ اقدم العصور على إلصاق انفسهم بالعظماء احياء كانوا ام امواتا . . . وقد سلكوا هذا المسلك بهدف تحقيق اطماع لهم في الحصول على الاعتراف بهم وقبولهم بين شعوب الارض التي ينتمي اولئك العظماء اليها او بين الشعوب التي تتعاطف معهم . . وفيما يتعلق باطماعهم في بلاد كنعان (فلسطين) نظروا فوجدوا ان ابراهيم الخليل عليه السلام وابنه اسحق وحفيده يعقوب وابناء يعقوب (الاسباط) عاشوا ودفنوا في تلك البلاد . . فكان لا بد ان ينسبوا انفسهم الى ابراهيم الخليل وابنائه عليهم السلام ليكونوا مقبولين لدي الكنعانيين للاقامة في وسطهم . . ولكن الادعاء الاكبر كان قد جاء بأدعائهم بوجود إله لهم فقط دون غيرهم من خلق الله اسمه " يهوه " وان هذا الاله البدعة كان يعيش بينهم ويظهر لهم بمناسبة وغير مناسبة وانه كان يتقدمهم في حروبهم ضد الشعوب غير اليهودية وكللوا هذا الادعاء بوعد من ذلك الاله الاسطوري – الذي لم يكونوا اتفقوا على تسميته بعد – بأن خصص لهم ارض الكنعانيين ملكا خالصا لهم . . وجاءت الرواية التوراتية الملفقة حول هذا الوعد تقول :

" إن اسحق بن ابراهيم انجب توأمين الاول وهو الذي تقدم اخيه ولادة واسمه " عيساو " واسم الثاني يعقوب لانه ولد متعقبا اخيه فكان البكر هو "عيساو " وحسب التقاليد التي كانت قائمة في بلاد كنعان ايامها ان يكون البكر هو الوريث الطبيعي لمكانة والده في تراس القبيلة بعد وفاة الاب . . وحيث ان اسحق عليه السلام كان نبيا من انبياء الله الصالحين كان لا بد ان يبارك الابن الذي سوف يليه من بعده في قيادة القوم وكان من الطبيعي ان يبارك "عيساو " باعتباره الابن البكر له اي الأكبر من اخيه ولو بدقائق معدودة . وكان اسحق عليه السلام متزوجا من ا مرأة عراقية الاصل تدعى " رفقه " وكانت رفقة تحب يعقوب اكثر من عيساو لان يعقوب كان ضعيف البنية نحيل الجسم وكان يخاف من هبة ريح اي انه كان لين العريكة ، هادئا غير مشاكس بعكس اخيه عيساو الذي كان صيادا يعتمد في حياته على صيد البر وكان دائما يتجول في البراري بين الادغال في عمليات الصيد فكان قوي الارادة صلب العريكه . . . وحين كان اسحق في نهاية ايامه ، استدعى ابنه عيساو واغلق عليهما باب الغرفة وقال له " لقد منحنى الرب بركة وعليّ ان احول هذه البركة لأحد ابنائي قبل وفاتي وانت ترى يا ولدي ان اجلي يقترب جدا ولهذا اريد ان امنحك تلك البركة لكي تتولى الامر من بعدي لأني اعرف انك أهل لهذه المهمة المقدسة . . ولكن يشترط ان تذهب الى الحقل وتصطاد صيدا سمينا تقدمه طعاما لي وبعد ان اتناول الطعام امنحك

بركتي تلك . . وكانت رفقه زوجته في هذه الاثناء تقف وراء الباب تسترق السمع لما يدور بين الاب وابنه البكر . . . وذهب عيساو الى البراري ليحصل على صيد سمين يقدمه لوالده حسب شروط البركة كما اتفقا عليه ، . . وكانت رفقه تريد تلك البركة لابنها يعقوب دون عيساو ، فاسرعت ونادت يعقوب وقالت له استمع الي جيدا . . . ان والدك يريد منح بركته الربانية الى اخيك عيساو باعتباره الابن البكر له ولكني اريد هذه البركه ان تؤول اليك انت لتحل مكان والدك بعد وفاته . . وشرحت له ما دار بين الاثنين داخل الغرفة المغلقة . . واضافت سوف اعمل لك اكلا دسما تدخل به على والدك وتقول له انك " عيساو " وانك نفذت طلبه واحضرت له الصيد السمين ليأكله . . قال يعقوب : اخي عيساو شعور الجسم وانا جرودي اي ليس بجسمي شعر كأخي عيساو . . . قالت لا تهتم بذلك فسوف اكسو يديك بشعر ماعز وعندما يمد والدك يده اليك ليتأكد انك عيساو تمد له ذراعك المكسوة بجلد الماعز وبهذا يعرف والدك انك عيساو فيباركك . . وهنا لا بد من الاشارة الى ان اسحق عليه السلام كان كفيف النظر لا يرى مما جعل رفقه تستغل الموقف وتزيف ابنها من اجل الحصول على البركة . . . وفعلا اعدت له جديا صغيرا بالطريقة التي تعرف ان اسحق يحبها وارسلت ابنها يعقوب الى ابيه بالصيد المزور ولما دخل عليه الغرفة قال اسحق " من انت ؟ " قال انا عيساو ولدك . . جئت لك بما طلبت من صيد لتمنحني البركة كما اتفقنا " . . . قال له اقبل علي ولما وصله مد اسحق يدة ليتحسس جسد ابنه عيساو فمد يعقوب له يده المكسوة بشعر الماعز . . فقال اسحق : الجسم جسم عيساو والصوت صوت يعقوب . . ولكنه اضطر لمنحه البركة لأنه اعتقد بان لا احد يعرف بهذه المسألة غيرهما هو وعيساو . . . . . خرج يعقوب من غرفة ابيه بعد ان نجح التزوير الذي ابتدعته امه رفقة . . ولكنه فر من المنزل بعيدا في الحقل خوفا من انتقام اخيه عيساو منه على فعلته القذرة . . وبعد يومين جاء عيساو الى ابيه بالصيد السمين وقال له لقد جئتك بالصيد الذي طلبته . . قال اسحق من انت ؟ قال انا عيساو قال اسحق : من ذلك الذي جائني بصيد سمين قبل يومين وانتزع مني البركة التي كانت معي ؟ وتأكد الاثنان ان الذي قام بهذا التزوير هو يعقوب . . فذهب عيساو الى يعقوب فلم يجده وكان يخاف عليه من الوحوش باعتبار انه ضعيف البنية ولا يستطيع ان يقاوم الاخطار التي قد يتعرض لها ولما استدل على مكانه وجده نائما في ظل شجرة من اشجار الحقل . . فجلس عند رأسه ولم يوقظه لأنه لم يكن يريد ان يزعجه . . ولما فتح يعقوب عينيه رأي اخيه عيساو يجلس امامه فقال في نفسه " عدوي جاء يقتلني هنا في الحقل " قال له عيساو " انهض لقد خفت عليك من الاذى فجئت لانقذك ! ! قال سامحني يا اخي على ما فعلته بك . قال

عيسا و لا تخف لا فرق بيني وبينك فانت اخي ابن امي وابي . . ولكن لو اخبرتني بذلك قبل ان تقوم بهذه الفعلة ، لتنازلت لك طوعا عن تلك البركة . فليتصور الانسان ان يعقوب النبي الذي اصطفاه الله وآله على العالمين تجعله توراة بني اسرائيل يزور ويكذب . . أليس هذا افتراء على يعقوب وعلى الله تعالى ؟

بعد وفاة اسحق التقى يعقوب وعيسا و ليتقاسما تركة ابيهما فقال يعقوب " ترك لنا والدنا تركة من نوعين : النوع الاول يتمثل في قطيع المواشي والنوع الثاني هو ارض كنعان . . . وعليك يا اخي ان تختار واحدة من هذه التركة ، إما قطيع الماشية وإما الارض . . . فطلب عيسا و من اخيه ان يمهله يومين ليفكر في الامر . . وذهب عيسا و الى عمه اسماعيل عليه السلام وعرض الامر عليه وطلب الاستئناس برأيه في هذه المسألة . فقال اسماعيل : يا ابن اخي ان ارض كنعان لها اصحاب وهم اقوياء ومن المحتمل ان لا يتنازلوا عليها مطلقا ثم لو حصل ذلك فأنه يحتاج الى مئات السنين . . فارى انك تأخذ قطعان المواشي من التركه وتترك الارض ليعقوب ليحلم بها كما يشاء . . . . فاخذ عيسا و بمشورة عمه اسماعيل وذهب الى يعقوب وابلغه بقراره . . فقال له يعقوب دعنا نوقع صكا بيننا وجاء بجلد غزال (رق) وكتبا عليه الموافقة بتقسيم التركة على ان تكون الارض ليعقوب والمواشي لعيسا و واودع يعقوب ذلك الرق " الاتفاقية " في احد الكهوف المجاورة لمدينة الخليل . . وسوف نعود في موضع آخر في هذا الكتاب للحديث عن الادعاء الذي اقامه بنو اسرائيل حول ارض كنعان واعتبروها ميراثا ازليا لهم باعتبارهم ابناء يعقوب

كان بنو اسرائيل يحلمون دائما بارض كنعان التي تصفها التوراة بأنها ارض تفيض لبنا وعسلا فنسبوا انفسهم الى ابراهيم الخليل عليه السلام . . ولا ندري كيف صدق العالم رواية انتسابهم لابراهم الذي سبقهم باكثر من الف سنة . . . وكيف اصبحوا احفادة وانه الجد الاعلى لهم . . رواية ملفقة من اساسها ولكن لا بأس بأن نطرقها للتعرف على مدى التزوير الذي برع به بنو اسرائيل على مرّ العصور . . . تقول التوراة اليهودية في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين : بأن ابراهيم اشترى من الحثيين العرب كهف الماكفيلة والحقل الذي يحيط به في مدينة الخليل لدفن زوجته سارة عندما انتقلت الى الرفيق الاعلى . وذلك حسب النص التالي :

" وكانت حياة سارة مائة وسبعا وعشرين سني حياة سارة . وماتت ساره في قرية اربع التي هي في حبرون (الخليل) ارض كنعان . فأتى ابراهيم لندب سارة ويبكي عليها . وقام ابراهيم من امام ميته وكلم بني حثّ قائلا " انا غريب ونزيل عندكم . اعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي من امامي " فاجاب بنو حثّ ابراهيم قائلين له : اسمعنا

يا سيدي انت رئيس من الله بيننا . في افضل قبورنا ادفن ميتك . لا يمنع احد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك . . . فقام ابراهيم وسجد لشعب الارض لبني حثّ وكلمهم قائلا " إن كان في نفوسكم أن ادفن ميتي امامي فاسمعوا لي والتمسوا لي من " عفرون بن صوحر " ان يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله بثمن كامل يعطيني اياها في وسطكم ملك قبر . وكان عفرون جالسا بين بني حثّ . فاجاب عفرون الحثّي ابراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا : . . لا يا سيدي اسمعني الحقل وهبتك اياه والمغارة التي فيه لك وهبتها . لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها . ادفن ميتك . . فسجد ابراهيم امام شعب الارض وكلم عفرون في مسامع شعب الارض قائلا . بل إن كنت انت اياه فليتك تسمعني . اعطيك ثمن الحقل . خذ مني فأدفن ميتي هناك . فاجاب عفرون إبراهيم قائلا له : يا سيدي اسمعني . ارض بأربعمائة شاقل فضة ما هي بيني وبينك . . فادفن ميتك . . فسمع ابراهيم لعفرون ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث . . اربع مائة شاقل فضة جائزة عند التجار .

فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي امام ممرا . الحقل والمغارة التي فيه وجمع الشجر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه . لابراهيم ملكا لدى عيون بني حث بين جميع الداخلين باب مدينته وبعد ذلك دفن ابراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة اما ممرا التي هي حبرون في ارض كنعان فوجب الحقل والمغارة التي فيه لأبراهيم قبرا عند بني حثّ " هذا ما كتبه اليهود في التوراة التي نسبوها لموسى عليه السلام . . فمكان القبر اصبح بلاد كنعان كاملة من وجهة النظر اليهودية طبعا . . ونحن نعرف حسب العادات والتقاليد العربية القديمة والحديثة ان " الهبة " التي يهبها انسان الى انسان آخر لا يتقاضى لها ثمنا والا لا تصبح هبة . . وهنا يقول عوفر لابراهيم "الحقل وهبتك اياه والمغارة التي فيه لك وهبتها " فكيف يتقاضي ثمنها اربع مائة شيقل كما تقول التوراة . . ؟ غير ان هذا الامر لا يعنينا كثيرا بقدر ما يعنينا ورود ذكر " الشيقل " في هذه الرواية وهذا يعني ان العملة التي كانت متداولة في زمن ابراهيم عند القبائل الكنعانية هي " الشيقل " وهذا يدل دلالة واضحة على ان "الشيقل " هو عمله كنعانية عربية اعاد اليهود استعمالها بعد اقامة اسرائيل على ارض فلسطين مدعيين بأن الشيقل هو عملتهم القديمة . . وهذا ايضا يأتي في قائمة التزويرات العديدة وادعاءاتهم الكاذبة .

لهذا وجد اليهود بانتسابهم زورا الى ابراهيم الخليل واحفاده فرصة للادعاء باحقيتهم في مدينة قريات اربع (الخليل الفلسطينية) وتمكنوا ابان فترة الحكم العثماني الاخيرة في فلسطين ان يقيموا مستوطنة داخل حدود مدينة

الخليل اطلقوا عليها اسم (قريات اربع) وهوة اسم مدينة الخليل القديم . . حيث سميت باسم ملك الفلستينوس " ابو اربع العناقي " غير انهم نسبوا هذا الاسم لانفسهم ودونوه في التوراة التي لفقوها عن قصد لاسباب سياسية وليست دينية على الاطلاق .

نعود هنا الى رواية تقاسم التركة بين يعقوب وعيساو . . فبعد ان تمت التسوية وعقد الاتفاق بين الاخوين قال يعقوب لاخيه عيساو : باعتبار انك اخذت نصيبك من التركة وهو قطيع الماشية فأنه لا يحق لك ان تبقى هذا القطيع على ارضي عليك ان ترحل الى مكان آخر خارج ارض كنعان . . فارتحل عيساو شرقا الى ان وصل مع عشيرته وماشيته الى شرق شبه جزيرة العرب واقام هناك على ساحل عمان من مسقط الى حضرموت . . . وتكاثرت قبائله هناك الى ان تذوبت في بيئة اهل البلاد الاصليين . . . اليهود حولوا اسم يعقوب الى اسرائيل بموجب التوراة اليهودية كما تقدم ذكره في الباب الاول من هذا الكتاب . .واستمروا بعد كتابة التوراة وتلفيق ما جاء فيها يحلمون بالعودة الى ارض كنعان لما فيها من خيرات لا تحصى وكانت عيونهم ترنوا اليها دائما ويأملون بالوصول الى تلك الارض يوما من الايام . . .وقد تحقق لهم ذلك عدة مرات في الماضي بسبب غزواتهم لفلسطين اكثر من مرة الا انهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بتلك الارض لسبب بسيط وهي انها ليست ملكا لهم . . فتشتتوا في ارجاء الارض والشتات الاخير كان لهم لحوالي الفي عام بدأ سنة ٧٠ بعد مولد السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم بفلسطين . . . وكان ذلك التيه والتشرد قد تم على ايادي الحاكم الروماني لمدينة القدس "تيطوس " يتساءل المؤرخون الغربيون من هو ابراهيم الخليل ومن اين جاء الى بلاد كنعان باعتباره لاجئا بينهم . . لا يوجد اثبات على جذوره غير ما جاء في سفر التكوين من التوراة اليهودية والتي جمعت في شكل كتاب بعد وفاة ابراهيم باكثر من الف سنة . . يقول المؤرخون ايضا ان التوارة كسجل تاريخي كانت موضع جدل كبير لأكثر من مائتي عام . . . بالتحديد لغاية عام ١٨٠٠ ميلادي وكانت وجهات النظر السائدة ان روايات الكتاب المقدس كانت نوعا من الايحاء السماوي الا ان العديد من المؤرخين من يهود وغير يهود ولعدة قرون ، يعتقدون ان اسفار التوراة القديمة تحتوي على نصوص ينبغي فهمها على انها رمزية او مستعارة اكثر من كونها حقائق .

خلال القرن العشرين الميلادي ظهرت انتقادات كثيرة للتوراة تقول بأن العهد القديم (التوراة) كسجل تاريخي ينظم الاساطير الدينية الهيودية وان ما جاء في الاسفار الخمسة الاولى فيه (البنتاتوخ) اي اسفار موسى هي اساطير منقولة عن القبائل اليهودية المختلفة والتي جاءوا بها بعد المنفى خلال النصف الثاني من الالفية الاولى قبل الميلاد

. . . ويستمر الجدل بهذا الموضوع على ان اساطير الاسفار الخمسة الاولى حررت بدقة وعناية فائقة وتم كتابتها لتكون مبررا تاريخيا واجازة سماوية للمعتقدات والممارسات والشعائر اليهودية بعد المنفى . . .فالافراد المذكورون في الاسفار القديمة لم يكونوا اناسا حقيقيين ولكن ابطالا اسطوريين يمثلون كل قبائل بني اسرائيل .

ولنأخذ على سبيل المثال بان الكلدانيين الذين ورد ذكر ابراهيم الخليل انه ينحدر منهم ، لم يتدفقوا الى جنوب العراق الا في اواخر الالفية الثانية قبل الميلاد وان عصر ابراهيم الخليل كان قبل ذلك بكثير . . والكلدنيون ذكروا في التوراة لتعريف قرائها بمدينة " اور " وذلك في بداية الالفية الاولى قبل الميلاد مما يؤكد ان ابراهيم الخليل لم يكن كلدانيا ، وهذا يعيدنا لتذكر ما ورد في كتابات العموريين عن ابراهيم الخليل وعن ابنائه اسحق ويعقوب والاسباط بشكل لا يختلف كثيرا عما جاء في توارة بني اسرائيل وان تلك الكتابات العمورية كانت قد سبقت كتابة التوراة بما لا يقل عن ١٤٠٠ عام الامر الذي دعا بعض المؤرخين الغربيين الى الاستنتاج بأن ابراهيم الخليل كان عموريا خلافا لرواية التوراة بأنه كان كلدانيا وانه الجد الاعلى لبني اسرئيل . . . كما ان الادعاء بأن ابراهيم الخليل عليه السلام ينحدر من قوم نوح ، فقد اثبتت الحفريات الحديثة التي اجراها اركيولوجيون بريطانيون بعد ان احتلت بريطانيا العراق في بداية العشرينات من القرن الماضي في اعقاب الحرب العالمية الاولى اذ تمكنوا من كشف خوذة عظيمة صنعت على شكل باروكة شعر من الذهب الخالص مزينة بصدفات اللازوردي كما وجدوا ايضا " زقورة " عملاقة والبرج الذي يقوم على نصفين مزدوجين يوحي بقصة برج بابل . . وكان هذا من اعمال " اورنامو " من العائلة الملكية الثالثة التي حكمت بابل بين الفترة الواقعة بين ٢٠٦٠ – ١٩٥٠ قبل الميلاد .

يقول المؤرخون ان هناك احتمالا بأن ابراهيم الخليل ترك مدينة " اور " الكلدانية بعد الطوفان في عهد " اورنامو " حاملا معه الى بلاد كنعان قصص "الزقورة " ورواية الطوفان التي كانت قبل ذلك بكثير . . ومن اهم الروايات المتناقلة عن ابراهيم الخليل بأن الله اختاره وسلالته لدور خاص في مملكة الله وفي مقدمة ذلك الدور الذي هو هبة الارض التي كان فيها ابراهيم وذريته لاجئين وجواله . . . وهي ارض كنعان كما تقول تلك الروايات التي جاءت مع ابراهيم الى بلاد كنعان .

فاذا كانت الروايات التي جاءت في التوراة ومنها ذكر الكلدانيين وان ذكرهم انما جاء في التوراة لتعريف قرائها بمدينة " اور " فأن هذا يدل على ان هناك روايات عديدة جاءت في توارة اليهود ليس لها اصول حقيقية بل جاءت على صورة (مجازية) فكيف لنا ان نؤمن بان الله اختار ابراهيم وسلالاته لدور خاص في مملكة الله وان ذلك الدور

يتلخص في هبة ارض كنعان لسلالاته من بعده بينما هو جاء لاجئًا في وسط الكنعانيين سكان البلاد الاصليين . .

والسؤال الذي يطرح في هذا الموضوع هو لماذا لم يهبه الله ارضا في بلاد الرافدين التي هي ارض مولده كما تقول التوراة؟ . . . او في بلاد حران التي ذهب اليها في تجواله ورحيله عن العراق ؟ هل كانت ارادة الله سبحانه – وهو المنزه عن ذلك – ان يزرع الفتنة بين الناس بهذه الطريقة التي اقل ما يقال عنها بمفهومنا الحالي انها فتنة استعمارية . . . والتي جعلت ارض كنعان مسرحا للحروب وسفك الدماء على مدار الاف السنين . . . وسوف تستمر كذلك الى يوم القيامة بسبب هذه الهبة المزعومة من إله مزعوم ايضا .

فاذا كانت الروايات التي جاءت في التوراة ومنها ذكر الكلدانيين وان ذكرهم انما جاء في التوراة لتعريف قرائها بمدينة " اور " فأن هذا يدل على ان هناك روايات عديدة جاءت في توارة اليهود ليس لها اصول حقيقية بل جاءت على صورة (مجازية) فكيف لنا ان نؤمن بان الله اختار ابراهيم وسلالاته لدور خاص في مملكة الله وان ذلك الدور

يتلخص في هبة ارض كنعان لسلالاته من بعده بينما هو جاء لاجئًا في وسط الكنعانيين سكان البلاد الاصليين . .

والسؤال الذي يطرح في هذا الموضوع هو لماذا لم يهبه الله ارضا في بلاد الرافدين التي هي ارض مولده كما تقول التوراة؟ . . . او في بلاد حران التي ذهب اليها في تجواله ورحيله عن العراق ؟ هل كانت ارادة الله سبحانه – وهو المنزه عن ذلك – ان يزرع الفتنة بين الناس بهذه الطريقة التي اقل ما يقال عنها بمفهومنا الحالي انها فتنة استعمارية . . . والتي جعلت ارض كنعان مسرحا للحروب وسفك الدماء على مدار الاف السنين . . . وسوف تستمر كذلك الى يوم القيامة بسبب هذه الهبة المزعومة من إله مزعوم ايضا .

الباب الثاني

تمهيد

بعد انتهاء الحرب العامية الثانية بهزيمة المانيا النازية وانتصار الحلفاء على دول المحور بدأ الصراع بين الحلفاء المنتصرين على بسط النفوذ والهيمنة على المنطقة العربية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا لما تمثله هذه المنطقة من استراتيجية وثروات طبيعية في مقدمتها النفط والغاز والكبريت والامونيا واحتمال وجود اليورانيوم في المنطقة العربية لم يتم اكتشافه بعد .

عملت الولايات المتحدة الامريكية مع الاتحاد السوفياتي يدا واحدة لدحر النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة العربية كي تتمكنا من تقاسم النفوذ فيها على غرار ما طبقته كل من بريطانيا وفرنسا ابان الحرب العالمية الاولى وما مثلته معاهدة سايكس بيكو السرية . . . كان هذا الصراع الخفي يحتدم بينهم جميعا وبين المانيا الهتلرية اذ كانت المانيا قبل واثناء الحرب العالمية الثانية تحرض الجماعات المتطرفة العربية والاسلامية على التمرد ضد انظمتها التي استشرى فيها الفساد من اجل بسط نفوذها فيما لو انتصرت على الحلفاء .

في اعقاب تلك الحرب اقيم كيان صهيوني لليهود على ارض فلسطين بدعم ومساعدة من بريطانيا انطلاقا من وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ والذي نص على مساعدة اليهود في اقامة وطن قومي لهم على ارض فلسطين لقاء ما قدمه اليهود من مساعدات تجسسية لبريطانيا ضد الامبراطورية العثمانية وظل اليهود يطالبون بريطانيا بتنفيذ وعدها . . . فساعدت بريطانيا اليهود بتدفق هجرة يهودية غير مشروعة الى فلسطين كما كانت المانيا النازية ايضا تساعد اليهود على الهجرة الى فلسطين عن طريق اضطهاد صوري ومفتعل لهم في المانيا تتوج فيما عرف لاحقا بالمحرقة النازية (الهولوكوست) الذي تمت بالاتفاق بين كبار رجال الحركة الصهيونية وبين ادولف هتلر بهدف ترويع يهود اوروبا والعالم ودفعهم للهجرة الى فلسطين للتعجيل في اقامة كيان صهيوني هناك ، الهجرة التي كان يهود العالم يرفضونها . . اما بعد المحرقة النازية وسبب الذعر والخوف الذي اصابهم من المحرقة والتي بالغت الصهيونية فيها كثيرا ، تسارعت هجرة اليهود الى فلسطين وسهلت بريطانيا التي كانت فلسطين في ذلك الوقت تحت انتدابها ، هجرة اليهود بعد ان ضمنت سكوت وموافقة الانظمة العربية آنذاك ، بل من الحكام العرب من وصف اليهود بالمساكين وقال انه لا يمانع في اقامة وطن لأولئك المساكين على ارض فلسطين العربية .

في اعقاب الحرب ايضا اصبحت امريكا امبراطورية عظمى وانتقل ميزان القوى الاستعمارية اليها واصبحت الشمس لا تغيب عن نفوذها كما كان حال بريطانيا قبل الحرب . . . هكذا اصبحت امريكا بحاجة للكيان الصهيوني من أجل توسيع نفوذها في المنطقة العربية فكان لا بد من تقوية الكيان الصهيوني بكل الوسائل الممكنة والتحالف معه وضمان استقلاله وحمايته من العرب المحيطين به . . . واستمر الصراع بين امريكا وروسيا من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى الى ان نصبت امريكا واسرائيل بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتي فخا لبريطانيا وفرنسا بجرهما الى حرب ضد مصر الناصرية تحت ذريعة تأميم قناة السويس . . ولا شك ان تأميم قناة السويس قبل موعد انتهاء مدتها بستة اشهر قد ساعد على دخول بريطانيا وفرنسا في الفخ الذي نصب لهما ووقعا فيه بانجرارهما لمهاجمة مصر عسكريا لاستعادة السيطرة على القناة . . . وهذا ما كانت تسعى اليه امريكا والاتحاد السوفياتي من اجل تشويه صورة بريطانيا وفرنسا عند الشعوب العربية مما يؤدي بالتالي الى تقويض نفوذهما في المنطقة العربية . . . لهذا هبت امريكا في الوقت المناسب لادانة العدوان الفرنسي البريطاني الاسرائيلي على مصر وطالبت بوقف العمليات العسكرية ضد مصر على الفور وطالبت اسرائيل بالانسحاب الفوري من برية سيناء التي كانت قد فتحت امام الاحتلال الاسرائيلي دون ان يصتدم جيشها مع الجيش المصري في سيناء اصطداما حقيقيا حيث كانت الامور منسقة مسبقا تنسيقا دقيقا لتوريط بريطانيا وفرنسا والتخلي عنهما في الوقت المناسب وفعلا بدأ نفوذ الدولتين على اثر ذلك العدوان يخبو ووصل الى نهايته تقريبا بعزل الحبيب بورقيبة عن رئاسة تونس واستبداله بعميل امريكي صهيوني هو زين العابدين بن علي المخلوع ، وكانت تونس المعقل الهام للنفوذ الفرنسي في الشمال الافريقي .

بعد ان نجحت امريكا واسرائيل والاتحاد السوفياتي في بسط نفوذهم في الشرق العربي تقاسمت امريكا مع الاتحاد السوفياتي النفوذ وطبعا كان لامريكا نصيب الاسد في القسمة وهذا يعني ان اسرائيل حظيت بدعم ومساندة وحماية اكبر دولة في العالم . . . . كما عملت امريكا على تنصيب اتباعها من حكام الانظمة العربية على كراسي الحكم في بلادهم وكان ذلك التنصيب مشروطا بخدمة اسرائيل والمصالح الامريكية في المنطقة بمعنى ان امريكا عينت "نواطير" لمصالحها باسماء رؤساء وملوك وسلاطين وعبيدا لاسرائيل في المنطقة العربية .

فلسطين بين الماضي والحاضر

تبلغ مساحة فلسطين الكلية حوالي ١٦٠٠٠ كيلومتر مربع وتقع على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط . . ولها تاريخ طويل من حيث المساحة والسكان وملكية الارض . . . احتلتها اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وطردت اصحابها الاصليين العرب من اراضيهم وبيوتهم وما لبثت ان صادرت كل ممتلكات الفلسطينيين الذين حولتهم الى لاجئين سكان مخيمات يعيشون على صدقات هيئة الامم المتحدة . وفي عام ١٩٦٧ اكملت احتلالها للاراضي المتبقية من فلسطين التاريخية ولكنها لم تتمكن من تفريغها من سكانها كما حدث عام ١٩٤٨ نظرا لتمسك السكان بارضهم وبوجودهم وعدم الرضوخ للتهديدات والاجراءات القمعية والمعاملة التعسفيه لهم من قبل القوات المحتلة . . . ولا زالت اسرائيل تحتل كامل فلسطين التاريخية رغم كل القرارات الدولية الصادرة عن هيئة الامم المتحدة التي تدعوها فيها بالانسحاب من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . . يحد فلسطين من الشرق نهر الاردن والمملكة الاردنية الهاشمية ومن الغرب البحر الابيض المتوسط ومن الجنوب برية سيناء المصرية ومن الشمال لبنان وسوريا . . فلسطين واسمها التاريخي "كنعان" عامرة بأهلها المتحدرين من الاصول الكنعانية العربية على نحو غير منقطع منذ عشرات الالاف من السنين ولا زالت الحفريات في فلسطين والمكتشفات الآثارية فيها تدل دلالة واضحة على وجود الكنعانيين العرب فيها منذ اقدم عصور التاريخ . . . فمدينة اريحا مثلا تحكي الكتابات التي تم اكتشفاها مؤخرا بأن تلك المدينة الكنعانية يرجع تاريخها الى ثمانية الاف سنة قبل مولد السيد المسيح عليه السلام . . وهذا يؤكد ان عمر المدينة المعروف حتى الان يصل الى عشرة الاف سنة ونيف . . . كما تشير المكتشفات الى ان اريحا اقدم موضع للزراعة التي مارسها الكنعانيون فجعلوا منها اغنى مدن العالم القديم .

تشير السجلات الآثارية الى ان اصل اليهود يعود الى القبائل الغازية لفلسطين وهناك اعتقاد بأن قبائل تدعى القبائل العبرانية هجرت بلاد ما بين النهرين واستقرت في وقت لاحق في بلاد كنعان ما بين ١٨٠٠ – ١٥٠٠ قبل الميلاد وكانت البلاد آنذاك تضم الى جانب اهلها الاصليين "الكنعانيين" قبائل مختلفة منها : الحثيون والفلسطينيون او "الفلستينوس" من ذوي العروق اليونانية . . اذ انهم قدموا اليها فيما بعد وهم من الشعوب التي هاجرت من الجزر اليونانية والشعوب اليونانية القديمة واستقرت في سيناء ثم انتقلت من هناك الى المناطق الجنوبية من فلسطين والتي تعرف اليوم بمنطقة غزة ومدينة "حبرون الزاهرة" او مدينة الخليل الحالية .

الكتاب المقدس " التوراة " يشير الى ان موسى عليه السلام قاد القبائل الاسرائيلية او قسما منها من مصر وغزا فلسطين بقيادة يشوع بن نون ، واعتمادا على رواية الكتاب المقدس فأنه يمكن التخمين بأن الملك داود ايضا كان قد غزا القدس حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد واقام مملكة يهودية على معظم الاراضي الكنعانية واجزاء من الضفة الشرقية لنهر الاردن . . بعد وفاة سليمان بن داود تم تقسيم مملكة يهودا الى يهود الجنوب ويهود الشمال وظلت القدس مركز السيادة والعبادة عند اليهود في جميع الاوقات التي كان لهم فيها سيادة على البلاد .

الآشوريون العراقيون قاموا باحتلال بلاد كنعان في عام ٧٢٠ قبل الميلاد . . . كما غزا البابليون البلاد الكنعانية نحو عام ٥٨٦ قبل الميلاد . . . وقد ترتب على الاحتلال الآشوري السيطرة على شمال بلاد كنعان حيث ساق الاشوريون بني اسرائيل سبايا الى بلاد ما بين النهرين (العراق) فكان السبي الاول لبني اسرائيل . . . اما السبي الثاني فكان على ايادي البابليين الذين احتلوا منطقة القدس وسبوا اليهود الى بابل ايضا فكان السبي البابلي الثاني بعد حوالي سبعين عاما على الغزو البابلي لفلسطين غزا ملك بلاد فارس "قورش الاخميني "مملكة بابل وواصل احتلاله غربا الى البحر الابيض المتوسط وسمح لعدد من اليهود في بابل بالعودة الى القدس للاستيطان فيها وبقي عدد كبير من اليهود في بابل ليشكلوا اول تجمع يهودي وقاموا بانشاء محمية يهودية هناك .

في المنفى البابلي الثاني حافظ اليهود على صلاتهم مع السلطات الفارسية الحاكمة والتي دام حكمها لبلاد ما بين النهرين وفلسطين من عام ٥٣٠ – ٣٣١ قبل الميلاد اي حوالي مائتي عام الى ان قام الاسكندر المقدوني الاغريقي باحتلال الامبراطورية الفارسية . وفي عام ٣٢٣ قبل الميلاد وبعد وفاة الاسكندر المقدوني اقتسم قادة جيشه الامبراطورية الاغريقية وتمكن احد هؤلاء القادة وهو سلوقي ، من تأسيس حكم لاسرته في جزء كبير من فلسطين عام ٢٠٠ قبل الميلاد وفي البداية سمح الحكام السلوقيون لليهود في بلاد كنعان بممارسة شعائرهم الدينية واستمروا كذلك حتى عهد الملك السلوقي " انتيوخوس الرابع " الذي منعهم من ذلك في وقت لاحق . . وفي عام ١٦٧ قبل الميلاد ثار اليهود بقيادة المكابيين ضد السلوقيين بهدف اخراجهم من فلسطين او لاحراز قدر كبير من الاستقلال الذاتي وتشكيل مملكة يهودية تكون عاصمتها القدس ، وتم لهم ذلك بدعم من الامبراطورية الرومانية . . واكد الرومان عام ١٦٤ قبل الميلاد دعمهم لليهود وحسب المؤرخين الرومان قالوا " ان يهوذا المكابي صديق للشعب الروماني ومجلس الشيوخ " اليهود بطبيعتهم يستجيرون بالدول الكبيرة والقوية عسكريا لحمايتهم باستدرار عطفهم

بعد التمسكن واذلال انفسهم وقد تمسكنوا لروما في تلك العصور كما يفعلون اليوم بتمسكنهم لامريكا ودول العالم القوية من اجل الحصول على الدعم والتأييد . .

من الحكم الروماني الى الحكم العثماني

في العام ٦١ قبل الميلاد قام الرومان بغزو منطقة الشرق الادنى وتغلغل الرومان في فلسطين وحاصروا القدس ، فاصبحت بذلك مملكة يهودا تابعة لروما . . . وقد حكمتها بداية اسرة " هيدوريان " اليهودية الموالية لروما وجرى تقسيم الارض الى مناطق يهودا والجليل وبؤر صغيرة في شرقي الاردن وكانت هذه المناطق اليهودية تخضع للسيطرة الرومانية المباشرة وكانت تشمل القدس بأسم يهودا .

ولد السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم اي في يهودا خلال السنوات الاولى لوجود الرومان في فلسطين وفي عام ٧٠ ميلادي اخمد الحكام الرومان تمرد اليهود ضدهم وقاموا بطرد اليهود من القدس على اثر تمرد الزعيم اليهودي "كوشيا" ضد روما . . بعدها اطلق الرومان اسم " فلسطين " على تلك المنطقة . . لهذا فان الاسم فلسطين اصبح فيما بعد " فلسطين سورية " في اشارة الى كامل الجزء الجنوبي من سورية الحالية . . . واليهود الذين يريدون مواصلة شعائرهم الدينية فروا من فلسطين او تم نفيهم بالقوة على ايادي الرومان وايامها تشكل الشتات اليهودي الثاني ، غير ان بعض الجماعات اليهودية بقيت في الجليل في شمال فلسطين بصورة اساسية وهنا يلاحظ المرء ان هذه القبائل اليهودية تتميز بالتمرد ضد من يحسنون اليها وان العصيان صفة تلازمهم في كل زمان ومكان وعلى هذا الاساس فان احتمال تمردهم على الولايات المتحدة والدول التي تساندهم حاليا ، امر وارد عند اليهود من واقع طبيعتهم الخبيثة ، ولا نستغرب حدوث ذلك ان شعروا بالامان والسلام في اسرائيل الحالية ولم يعودوا بحاجة لدول اجنبية في دعم مشاريعهم العدوانية . . حكمت الامبراطورية الرومانية في فلسطين حتى القرن الرابع الميلادي تلتها الامبراطورية البيزنطية وفي عهد البيزنطيين انتشرت المسيحية آنذاك في معظم المناطق الفلسطينية . وفي اوائل القرن السابع الميلادي وبعد ظهور الاسلام في جنوب الجزيرة العربية تحركت الجيوش العربية الاسلامية لفتح مناطق عديدة في الشرق الادنى وتمكنت من التغلب على معظم بلاد الشرق الاوسط بما فيها فلسطين . . . وتم فتح القدس عام ٦٣٨ ميلادية في عهد الخليفة المسلم " عمر بن الخطاب " الذي اعطى الامن والامان لسكانها وسمح الحكام المسلمون منذ ذلك الوقت للمسيحيين واليهود بالبقاء على دياناتهم وقبل معظم المسيحيين الاسلام

واعتنقوه كما اعتنقوا الثقافة العربية الاسلامية تدريجيا . . واصبحت القدس موقعا مقدسا عند المسلمين حيث اسري بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم اليها ومنها عرج الى السماء وتم بناء المسجد الاقصى فيها في عهد الدولة الاموية الاسلامية وكذلك قبة الصخرة المشرفة . . السلاجقة الاتراك احتلوا القدس عام ١٠٧١ ميلادية غير ان حكمهم لم يدم طويلا فقد انتهى بعد ٣٠ عاما حيث حل مكانهم الفاطميون ، بعد ان تحالف الفاطميون مع الصليبيين سنة ١٠٩٨ واستولوا على القدس ويافا ومناطق اخرى من فلسطين غير ان الصليبيين نقضوا التحالف مع الفاطميين وغزوا فلسطين بعد حوالي عام واحد فاحتلوا يافا والقدس في عام ١٠٩٩ ميلادية وذبحوا الكثيرين من اليهود والمسلمين وحرموا على اليهود العيش في القدس . . وظل الصليبيون في القدس الى سنة ١١٨٧ ميلادية . . . وفي تلك السنة هاجم صلاح الدين الايوبي الفاطمي مدينة القدس وحررها من ايادي الصليبيين ومن هناك بدأ النفوذ الصليبي يتقلص تدريجيا على الساحل الفلسطيني بموجب معاهدة مع صلاح الدين ، الا ان الصليبيين نقضوا عهدهم كما كانوا ينقضون العهود السابقة وسعت الحملات الصليبية المتتالية للاستيلاء على القدس ولم تتمكن من ذلك .

شل نفوذ الصليبيين بشكل نهائي عندما احتل المسلمون مدينة عكا الساحلية المحصنة باسوار منيعة الا ان الصليبيين استمروا في غارات كثيفة وكبيرة على فلسطين مما اجبر المسلمين على سحب مواطنيهم بعيدا عن السواحل فدمروا المدن الساحلية والمزارع لمنع الصليبيين من الاستفادة منها بالحصول على الغذاء وهذا ما افقر بالتالي شواطيء فلسطين وحرمها من سكانها لعدة قرون .

في اواسط القرن الثالث عشر الميلادي انشأ المماليك – وهم جنود ارقاء للعرب – في مصر امبراطورية منطقة فلسطين وكان المسلمون الناطقون بالعربية يشكلون معظم سكان المنطقة التي حملت اسم فلسطين ، وفي القرن الرابع عشر الميلادي جاء الى القدس واجزاء اخرى من الارض الفلسطينية يهود من اسبانيا وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط .

في سنة ١٥١٧ هزمت الامبراطورية العثمانية المماليك وصارت فلسطين جزء من الامبراطورية العثمانية . . . ودعا السلطان التركي اليهود الهاربين من محاكم التفتيش الكاثوليكية الاسبانية الى الاستقرار في الامبراطورية التركية بما في ذلك العديد من المدن الفلسطينية .

غزا نابليون بنوبارت الفرنسي ارض فلسطين في العام ١٧٩٨ وادت الحرب مع نابليون وما تلاها ضعف سيطرة الحكام المصريين والعثمانيين في فلسطين وهرب العرب واليهود الى مناطق اكثر امنا وازدهارا ولعل تورات لعرب ضد الحكم العثماني في مصر كانت آنذاك عاملا مساعدا على تحفيز المشاعر الوطنية الفلسطينية . . . تلا ذلك اعادة تنظيم الامبراطورية العثمانية في انفتاحها على الاجانب من اجل الحفاظ على ما امكن من النظام . . . لهذا سمح العثمانيون ببدايات الاستيطان اليهودي تحت قيادة حركات صهيونية عديدة ، فازداد عدد العرب واليهود في عام ١٨٨٠ ميلادية حيث اصبح يعيش في فلسطين زهاء ٢٤٠٠٠ يهودي من اصل مجموع السكان البالغ نحو ٤٠٠،٠٠٠ نسمة . في ذلك الوقت فرضت الحكومة العثمانية قيودا صارمة على الهجرة اليهودية وعلى شراء الاراضي وبدأت بدعوة نشطة للمسلمين من مناطق متعددة في الامبراطورية العثمانية للاستقرار في فلسطين وشملت الدعوة الشركس والبوسنيين . . . الخ وتملص اليهود من القيود المفروضة عليهم عن طريق دفع الرشاوي لضعاف النفوس من الحكام المحليين .

دور الصهيونية

لم يتوقف تدفق اليهود باعداد صغيرة من جميع انحاء المنافي اليهودية ، الى فلسطين اذ ظلت فلسطين بالنسبة لهم مركز عبادتهم الاول ، وجزءا من الثقافة اليهودية وبرغم هذا الارتباط الروحي بفلسطين والقدس ، فقد كان في مجمله ارتباطا نظريا في انتظارهم الخلاص على يد " المسياخ" اليهودي المنتظر . في القرن التاسع عشر الميلادي نشط اليهود في اوروبا خصوصا بعد الثورة الفرنسية التي اخرجت اليهود من معازلهم الى العالم الحديث ووضعتهم امام افكار جديدة فاختلطت مفاهيمهم الليبرالية الحديثة مع افكارهم التقليدية فيما يخص اسرائيل وصهيون ، فقد ظهر الارتباط الوثيق بين (محبة صهيون) وبين المفاهيم القومية الحديثة خصوصا بين اليهود الشرقيين في اوربا المعروفين بـ " السفراديم " وبعدها اصبحت فكرة العيش فيما يسمى ارض اسرائيل ثابتة في عقولهم وجعلوا صهيون هدفا عمليا اكثر من انتظار المسياخ المخلص .

خلال الاربعينات من القرن التاسع عشر الميلادي شاعت بين عدد قليل من يهود اوروبا اللغة العبرية واستثار تحرر اليهود ، حركة سياسية واجتماعية معادية لليهود في اوروبا سيما في المانيا واوربا الشرقية ففي المانيا قام اليهود بتسميم آبار مياة الشرب في منطقة "شفارتس فالطن " مصدر مياة الشرب في المانيا ، وعاصمتها المحلية مدينة "

فورتس بيرغ " الامر الذي اثار غضب الالمان واثار اضطهاد اليهود وكذلك في اوروبا الشرقية وكان ذلك حافزا دفعهم للهجرة الى فلسطين . . . . اوانه عجل في هجرتهم الى بلاد كنعان .

الحركة الصهيونية نشأت كمنظمة رسمية لقيادة اليهود في العالم عام ١٨٩٢ بانعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل السوسرية ، بزعامة الصحافي المجري تيودور هرتسل . . غير ان تيودور هرتسل والاشخاص الذين دعاهم الا الاجتماع في سويسرا ما هو الا امتداد لحركة يهودية اقدم واعلى مكانة من الحركة الصهيونية وهي حركة لا زالت حتى يومنا هذا تعد من الاسرار اليهودية وغير معلن عنها ر سميا كما هو حال الحركة الصهيونية التي كشفتها البروتوكلات التي عرفت ببروتكولات حكماء صهيون على اثر تسربها الى روسيا وقيام صحفي بريطاني في موسكو بترجمتها الى الانكليزية ونشرها في روسيا عام ١٩٠٥ ولم تكن الحركة معروفة قبل ذلك التاريخ .

أما الحركة الأم تعرف بحركة " الليموناتي " بمعني " حركة النورانيين " اسست باديء ذي بدء في مدينة فرانكفورت الالمانية . . . بعد ان قامت عائلة انشولم الالمانية عام ١٧٧٦ باستدعاء الكاردينال اليهودي المتنصر(آدمز فايسهاوت) وطلبت منه ترك النصرانية والعودة الى دينه اليهودي . . . وقامت العائلة المذكورة بارساله لدراسة القانون في جامعة " إند ستوب البريطانية " وبعد انهائه دراسة القانون عاد الى المانيا وبدأ بتكليف من عائلة انشولم العائلة الالمانية اليهودية ، بدأ بالعمل على تحديث المخططات اليهودية القديمة الرامية الى العودة الى ما سمي " ارض الميعاد " في فلسطين والى تمكين حركة الليموناتي من حكم العالم واقامة دولة العالم الواحدة . وقام آدمز فايسهاوت . . بتحديث المخططات القديمة خاصة تلك المخططات التي اتخذها مؤتمر المكعابيين اليهود في مدينة الاسكندرية المصرية عام ٩٤٠ ميلادية والتي كان من اهم قراراته دعوة اليهود في العالم لاعتناق ديانات الشعوب التي يعيشون بينها . . . ونتج عن ذلك ان اعتنقت طائفتان يهوديتان " الاسلام " في مصر في ذات العام اي قبل " الف ومائة وسبعين سنة من يومنا هذا "كما اعتنق العديد من اليهود في العالم الغربي المسيحية وكان يهدف هذا القرار الدخول الى الديانات الاخرى لنخرها من الداخل خصوصا الدين الاسلامي الذي استعصى عليهم كثيرا . . . فجاءت الفكرة بأنه اذا اراد الانسان ان يفسد عقيدة معينة عليه ان ينتمي اليها او يعتنقها صوريا ليتمكن من العمل على افسادها من داخلها ويكون مقبولا لعامة الناس . . ولقد رأينا في عالمنا الاسلامي بكل اسف الكثير من التفسيرات الاسلامية لديننا الحنيف دست علينا من قبل اناس لا نعرف اصولهم ولا جذورهم ادعوا انهم مسلمون بعد ان تتلمذوا على ايادي اهم المراكز الدينية الاسلامية واصبحوا موضع ثقة الامة . . . ولا يتسع المجال

للدخول في تفاصيل عن هذه العمليات الصهيونية ضد الامم ويكفي ان نشير الى ان الذين خططوا ونفذوا زرع الشيوعية في روسيا على سبيل المثال كانوا من اليهود المتنصرين صوريا بموجب قرارات مؤتمر المكاعبيين اليهود في اسكندرية . . .حيث جرى تحديث تلك المقررات من قبل آدمز فايسهاوت ووضعت موضع التنفيذ مرة اخرى بعد ان تداعت سابقا . . . ونذكر منهم على سبيل المثال : كارل ماركس (موردخاي) ولينين وتروتسكي وجوزيف ستالين . . . . الخ وجميعهم عملوا لخدمة حركة الليمواتي أم الحركة الصهيونية الحالية . واليوم نرى حركة الليموناتي هذه تحكم قبضتها على العالم بل وتحكمه بشكل خفي وسوف تعلن قريبا عن بدأ خلق دولة العالم الواحدة يحكمها ملك من نسل داود اي ملك يهودي من بني اسرائيل . . حتى لو تداعى الكيان الصهيوني القائم حاليا في فلسطين . . لأن دولة اسرائيل لا تعني اكثر من اقامة تجمع يهودي مؤقت للحركة الام " الليموناتي " فان اهداف الليموناتي ابعد بكثير من اقامة كيان صغير في الشرق الاوسط بل لابعد من هذا بكثير وهو السيطرة المطلقة على شعوب الكرة الارضية بشكل علني وان لا تظل سيطرتها خفية كما هو الحال في هذا الزمان . . . وما دولة اسرائيل الا لذر الرماد في العيون وابعاد انظار العالم عن المخططات الليموناتية الخفية .

عموما كانت الحركة الصهيونية التي بعثها تيودو هرتسل عام ١٨٩٢ تهدف الى اقامة وطن لليهود في فلسطين في ظل سيادة تركية او المانية ، . . . بداية لم يكن وجود السكان العرب في فلسطين يشغل بالهم اذ تجاهلوا ذلك الوجود واعتقدوا بأن العرب الفلسطينيين لا يمانعون الانتقال طوعا الى بلدان عربية مجاورة . . . فأنشأ الصهاينة مزارع تعاونية في مناطق متعددة من فلسطين مثل مستوطنات : بتاح تكفا (مفتاح الامل) الى الشرق من تل ابيب الحالية و " زخرون ليكوف " بمعنى ذكرى ليعقوب و" ريشون لتسيون " بمعنى الاولى لصهيون . وغير هذه المستوطنات الزراعية ثم بعد ذلك اقاموا مدينة تل ابيب الساحلة قرب مدينة يافا الفلسطينية العربية . . وبدأوا في بنائها عام ١٩٠٩ وكانت في بدايتها ضاحية من ضواحي مدينة يافا العربية . . وبعد عام ١٩٤٨ انعكست الصورة واصبحت يافا او ما تبقى من يافا ضاحية من ضواحي تل ابيب .

الحرب العالمية الأولى

انضمت الامبراطورية العثمانية الى المانيا في الحرب العالمية الاولى التي نشبت عام ١٩١٦ وانتهت عام ١٩١٨ وواجهت تركيا معسكر الحلفاء وكانت في فلسطين آنذاك حكومة عسكرية عثمانية وكانت الحرب قاسية على كل من السكان العرب واليهود بسبب تفشي وباء الكوليرا ولكن كان ذلك اكثر صعوبة على اليهود . . وقد امر الحاكم العسكري التركي بترحيل جميع الرعايا الاجانب عن البلاد حيث كان في فلسطين اذ ذاك عدد كبير من اليهود الروس الذين تمكنوا من دخول فلسطين بموجب الامتيازات التي منحتها تركيا للروس . . . وقد استغل اليهود هذه الامتيازات للتغلب على القيود المفروضة على الهجرة واحتفظوا بالجنسية الروسية لتجنب تجنيدهم في الجيش التركي . . وهكذا فان عددا كبيرا من الهيود اجبروا على الفرار من فلسطين بسبب الحرب وخلال فترة الحرب اسست مجموعة يهودية صغيرة في فلسطين تنظيما باسم (نيلي) وهو اختصار للعبارة العبرية " ينتسح يسرائيل لو يشقر " (ינצח ישראל לא ישקר) وتعني هذه العبارة " لن تسقط اسرائيل حتى الازل " وكان هذا التنظيم يعمل سرا بتقديم خدمات استخباراتية للبريطانيين من اجل تحرير الارض من الحكم التركي . . . وتمكن الاتراك في نهاية المطاف من القبض على اعضاء هذا التنظيم ، غير ان المساعدات التي كانوا يقدمونها للبريطانيين ساعدت كثيرا في نجاح الغزو البريطاني في اعقاب الحرب العالمية الاولى واحتلال البريطانيين والفرنسيين لبلدان الشرق العربي تقاسموا ممتلكات الامبراطورية العثمانية فيما بينهم ودعا اتفاق سايكس بيكو عام ١٩١٦ الى إخضاع جزء من فلسطين للحكم البريطاني وإخضاع جزء آخر منها للحلفاء على ان تكون سورية ولبنان لفرنسا . . . غير ان بريطانيا عرضت بعد الحرب دعم المطالب العربية في الاستقلال عن العثمانيين . . . وذلك مقابل الدعم العربي للحلفاء . . في عام ١٩١٦ ثار العرب ضد العثمانيين بقيادة البريطاني " ت . ي . لورانس " والذي عرف بلورانس العرب فيما بعد . . . لورانس العرب بالغ كثيرا في الاعمال البطولية ضد تركيا كما بالغ في ذلك الخبير البريطاني " لويل توماس " علما بأن لورانس كان مصابا بالشذوذ الجنسي وقد نال منه رجال القبائل الصحراوية العربية ما نالوا من هذه الناحية . . . . .من الطبيعي ان تأتي النتيجة بتنكر بريطانيا لوعودها مع العرب واصرت على تنفيذ وعد بلفور لليهود الذي ينص على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

الاستعدادات والمداولات السياسية التي سبقت الحرب العالمية الأولى

خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى كانت الاستعدادات والمداولات السياسية الرامية الى رسم خارطة جديدة لبلدان الشرق الادنى التي تنوي الدول الغربية احتلالها والى مساعدة الحركة الصهيونية في اقامة وطن يهودي في فلسطين . . كانت المناقشات تقوم على قدم وساق سرّية احيانا وعلنية احيانا اخرى . . وكانت تدور هذه المناقشات والاتجاهات والمداولات على مستوى الدول والوزراء مع زعماء الحركة الصهيونية العالمية التي تولى امورها " الدكتور حاييم وايزمان " الذي اصبح اول رئيس للكياني الصهيوني في فلسطين بعد اعلان قيام دولة اسرائيل في فلسطين عام ١٩٤٨ وفيما يلي سوف اوجز تلك الاستعدادات والمناقشات التي سبقت الحرب العالمية الاولى فيما يتعلق بدور الصهيونية في تلك الحرب .

في التاسع من شهر نوفمبر، تشرين الثاني لعام ١٩١٤ كان رئيس وزراء بريطانيا السير " أسكويت " القى خطابا في قاعة " غيلدهول " في العاصمة البريطانية لندن . . اعلن فيه صراحة بأن تركيا اقدمت على الانتحار بسبب تحالفها مع المانيا ودفعت قيصر المانيا لوقف دعمه للحركة الصهيونية وتمكن ذلك التحالف التركي – الالماني ان ينجح في وقف ذلك الدعم .

مقابل هذا الزم السلطان العثماني نفسه لنصرة المانيا فيما لو وقعت حرب ضدها وكان على وشك اعلان الجهاد الاسلامي . . وفي الجانب الآخر من المشهد الدرامي للحرب فقد كان " اسكويت " يرغب في منع مائة مليون مسلم من رعايا الامبراطورية البريطانية من الانضمام الى تركيا . . وكان في خطاباته قد الزم بريطانيا بتحقيق هزيمة للامبراطورية العثمانية وتحرير شعبها من الاستعباد التركي حسب وصفه . . تماما كما فعل الامريكيون في احتلال العراق حيث زعموا واشاعوا عن طريق الاعلام المأجور ان القصد من احتلال العراق هو تخليص العراقيين من حكم حزب البعث برئاسة صدام حسين الذي اطلقوا عليه لقب " جزار بغداد " وكان ذلك للتغطية على حقيقة اطماع الامريكيين باحتلال منابع النفط العراقي التي كان صدام حسين قد اعلن تأميمها .

رئيس وزراء بريطانيا " السير اسكويت " كان بذلك يضيف دون ان يشعر ، على الاقل وضعا صعبا الى " بانوراما " الدولة الصهيونية وكان يعتقد انه بزوال الحكم التركي عن فلسطين فلن تكون عوائق امام اقامة وطن قومي لليهود هناك . بمعنى ان التخطيط لاقامة دولة يهودية واغتصاب الارض الفلسطينية كان يداعب الفكر البريطاني . .

وقد عملت بريطانيا منذ بداية القرن العشرين على تنفيذ الاحلام اليهودية بوطن يهودي في فلسطين بشكل عملي وتعاوني بين الحركة الصهيونية العالمية وبين الدول الغربية على رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا ايضا . . وكان رئيس وزراء بريطانيا يأمل من اليهود التطوع في صفوف الجيش البريطاني لقتال الالمان والاتراك ان يساندوا القوات البريطانية والفرنسية والروسية في الحرب المخطط لها . . الا ان ظاهرة غامضة برزت للوجود اذ ان اليهود لم يكونوا راغبين في التطوع لمقاتلة الالمان حيث كان العدو المميت لهم هو قيصر روسيا . . وكان الجيش الالماني ينتظر ان يهزم القوات الروسية . . فقام اليهود الذين يتكلمون اللغة الالمانية والذين قادهم " ماكس كيثرمان " بالتوقيع على عريضة بدعم المانيا في حربها ما عدا العالم اليهودي " اينشتاين " وكان الوحيد من طبقة المثقفين اليهود الذي رفض التوقيع على تلك العريضة . . . وهكذا تواصلت الاسترضاءات والتهديدات احيانا لليهود للانضمام الى هذا المعسكر او ذاك . . غير ان اليهود بطبيعتهم الماكرة ظلوا ينتظرون ليروا كفة الميزان الى اين تميل ليميلوا معها .

ولما بدأت الحرب عام ١٩١٦ تمكنت القوات الالمانية من دحر الجيش الروسي في معركة " تانينبرغ " واندفع الالمان الى قلب بولندا الروسية واستقبلهم يهود بولندا باعتبارهم منقذين ومخلصين ، والذي تزعم حركة الاستقبال هذه كان " زئيف دون بيغن " والد " مناحيم بيغن " الذي كان رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي بعد قيام دولة اسرائيل ثم رئيسا للوزراء في اسرائيل وبقي كذلك الى ان جرى اغتياله على يد يهودي سفرادي متطرف . . كان والده زئيف يتحدث الى جانب الالمانية والعبرية عدة لغات منها "اليديش "التي كان يتداولها اليهود الاشكنازيون وكان زئيف يفضل التحدث بالالمانية برغم ان اليديش هي رطانة المانية قديمة وكان يسمي هذه اللغة " لغة معاداة السامية "

مناحيم بيغن

زئيف لعب دورا مهما في توجيه ابنه " مناحيم" وقال له يوما " انظر يا بني . . الالمان سوف يجيئون . . . انها ثقافة مختلفة فهي غير روسية . . . والجيش الروسي اثناء انسحابه ضرب نطاقا حول اليهود واقتادهم تحت السياط الى سيبيريا وذلك من ضمن النوايا الشريرة لسياسة " جوزيف ستالين " الخاصة بالاقليات . . . لقد شاهدنا الكوزاك وهم يحرقون القرى اليهودية ولكن عندما جاء الالمان عاملوا اليهود بشكل رائع . . .

كانت في فلسطين في ذلك الوقت عدة مستوطنات المانية واغلبها كانت مستوطنات زراعية . . كما ان الكثيرين من السمتوطنين اليهود في فلسطين كانوا يفضلون اللغة الالمانية على العبرانية وطالبوا بأن تكون الالمانية هي لغة

التدريس في المدارس اليهودية اما الحركة الصهيونية فقد قبلت بدون نقاش ان تكون لغة المؤتمر الصهيوني الالمانية وان تكون برلين المقر الدائم للحركة الصهيونية العالمية . . وكان اعضاء هذه الحركة يفضلون ان تكون المانيا هي الحامية لهم او ان يكون اليهود تحت الحماية الالمانية في فلسطين وكذلك العرب المسلمين في حالة تغلب الالمان على بريطانيا وفرنسا . . الكثير يعتقدون ان الجالية اليهودية الكبيرة في " سالونيكا " هي التي ساعدت تركيا لتدخل الحرب الى جانب المانيا في الحرب العالمية الاولى .

كان حاييم وايزمان المحرض الاول لبريطانيا على تقويض الامبراطورية العثمانية وكان وايزمان قد خلف تيودور هرتسل في زعامة الحركة الصهيونية واصبح اهم شخصية صهيونية مؤثرة في سياسة بريطانيا ودول العرب عموما . وقد كتبوايزمان بعد خطاب السير " اسكويت " " (علينا ان نبلغ العالم بوضع يهود فلسطين المأساوي) .

كان وايزمان الذي اصبح اول رئيس لدولة اسرائيل بعد اعلانها عام ١٩٤٨ من الشخصيات الهامة جدا في تاريخ اليهود المعاصر . . وكزعيم صهيوني كان ماهرا ونشطا مثل " هيرتسل " في التعامل مع الزعماء السياسيين في العالم اضافة الى انه كان يجيد مخاطبة يهود الشرق .

من حيث اصوله كان والده يعمل في قطع الاشجار في الغابات وينقلها عبر النهر الى بحر البلطيق ومن هناك يتم تصنيع الاخشاب من جذوع الاشجار . . حفظ قوانين "كارو" عن ظهر قلب وكان كتابه المفضل هو " مرشد الحيارى" لمؤلفه اليهودي القديم "موسى بن ميمون " هناك من يؤكدون ان وايزمان كان يعاني كثيرا من اجل اكتساب المعرفة عن طريق التعليم الحديث ، ولم تكن في بيته صحف وكان مدير مدرسته يهرب كتبا عبرية تبحث في علوم الطبيعة تحت غطاء التعليم الديني ودراسة سيير الانبياء السابقين .

كانت حكومة القيصر قد وفرت عشر مدارس يهودية ابتدائية في المدن التي كان ٥٠% من سكانها من اليهود وكان كل شيء قد ابتدع ليحول بين اليهود وبين الوصول الى الجامعات . . فقد كتب وايزمان في وقت لاحق . . كلما يقرأ الانسان سنة بعد سنة الامور المعقدة التي تدفقت من " بيترزبيرغ " يتكون عنده الانطباع بأن جميع الآليات المرهقة للامبراطورية الروسية الشاسعة قد صنعت خصيصا لغرض وحيد وهو اختراع تضخيم القواعد والانظمة التي تحيط بمعيشة الرعايا اليهود . . . لذلك فقد شمل التعليم مغالطات لا تنقطع من الخداع والاهانات . . اكتسب وايزمان صبرا ومواظبة الى ان وصل الى ادارة معهد برلين للفنون المتعددة وهو واحد من افضل المؤسسات التعليمية في اوروبا ولاحقا انتقل الى سويسرا وحصل هناك على درجة الدتوراة في الكيمياء من جامعة " وايبورغ "

عام ١٨٩٩ . . بعد حصوله الى الدكتوراه من سويسرا غادر الى بريطانيا واصبح هناك مدرسا للكيمياء في جامعة مانشستر ، ووجد نفسه في مهمة استغلال وجود الامبراطورية البريطانية المتعاطفة مع الطموحات الصهيونية ووجد خيرة طبقاتها الحاكمة وتعرف على الكثير من الشخصيات الهامة في الدولة ليحيي من خلال هذه المعارف والنفوذ قضية الوطن اليهودي . . وحصل وايزمان على الجنسية البريطانية عام ١٩١٠ . . . وفي انجلترا اقام علاقات مع " ارثر بلفور " زعيم المحافظين ومع " ونستون تشرتشل "كما قدمه " اسكويت " ايضا لاعز اصدقائه السياسيين " السير لويد جورج " . جميع هؤلاء كانوا من الداعمين للحركة الصهيونية . . والتقى وايزمان عضو البرلمان البريطاني "هربرت صموئيل " الذي كان عضوا في المؤسسة اليهودية . . كان صموئيل برغم معارضته للحركة الصهيونية قد استمر في ايمانه باليهودية وارتباطه بالمعبد ودفع مستحقاته وكان يفخر بأنه " يهودي " ولما اصبح وزير عام ١٩٠٩ كان اول يهودي يحصل على منصب وزير في بريطانيا .

كان صموئيل هادئا ، صامتا ومحافظا . . احتفظ بآرائه لنفسه حتى ان صديقة الحميم "حاييم وايزمان " لم يكن يعرف انه " صهيوني " وصموئيل برغم هذا كله ابتدع خطة ليستغل التدخل التركي مع الالمان وفي اليوم الذي القى فيه "اسكويت " خطابة اتصل صموئيل بالسير " ادوارد غريه " وزير الخارجية البريطاني واجرى معه محادثة خطيرة وحساسه . .سأل " غريه " ما رأيك في وطن لليهود في الشرق الادنى ؟ كانت الفكرة تقابل على الدوام بعاطفة قوية . . وكان " غريه " مستعدا لتحقيق ذلك ان جاءت مناسبة مواتية . . تناقش مع صموئيل في التفاصيل غير ان صموئيل حذر وزير الخارجية من ان منطقة الوطن اليهودي ينبغي ان لا تشمل بيروت ودمشق ، على اعتبار ان في المدينتين اغلبية عربية كبيرة ويخشى على اليهود هناك من التذوب في البيئة العربية . . واضاف " انها فكرة جيدة ان تكون سوريا من نصيب فرنسا وهذا افضل للسوريين ان يجاوروا قوة اوروبية افضل لهم من مجاورة الامبراطورية العثمانية . . . وكانت هذه الفكرة اساسا قد وردت في معاهدة سايكس – بيكو السرية في " فرساي " بين بريطانيا وفرنسا حول تقاسم المنطقة بعد احتلالها من العثمانيين ، فتكون سوريا ولبنان من نصيب فرنسا وفلسطين وشرق الاردن والعراق من نصيب بريطانيا . .

عمل صموئيل على مساعدة السير " لويد جورج " الذي كان وزيرا للمالية في بريطانيا واخبره بأنه مهتم جدا برؤية دولة يهودية تقوم هناك في فلسطين . . ومن هنا اطلق "حاييم وازمان " و " هربرت صموئيل " الحملة الرامية الى هزيمة تركيا تمهيدا لاقامة الوطن القومي اليهودي على ارض فلسطين . . واخذت آمال الحركة الصهيونية بزعامة

"وايزمان " تتطور وتتحول من المثاليات النظرية الى سياسات الواقع العملي وكان هناك امام الحركة طريق طويل عليها اجتيازه حسب التخطيط الصهيوني .

في شهر يناير عام ١٩١٥ كتب صموئيل رسالة الى عشيقته اليهودية " فانيتا ستانلي : قال فيها : " ربما نزرع في منطقة الشرق الادنى ما بين ثلاثة الى اربعة ملايين من اليهود ، وسوف يكون لهذا العمل تأثير جيد على اولئك الذين تركوا خلفا . . انا اعترف اني لست منجذبا الى اقتراح اضافة المزيد الى مسؤولياتنا لكن اصبح ذلك ضروري وهام . مرة ثانية بتاريخ ١٣ مارس عام ١٩١٥ اكد صموئيل عوطفة الجياشة بشأن اليهود المشتتين وقال ان بامكانهم ان يتجمعوا من كل زوايا الارض ليحصلوا في الوقت المناسب على وطن يهودي او على حكم ذاتي على الاقل .

على كل حال سارت الامور بثبات لصالح الحركة الصهيونية ، غير ان رئيس وزراء بريطانيا كان قد فوجيء بخلافات حادة بين الزملاء اليهود ويقول انه اذهل من الوضع وما اذهله اكثر هو ما ادلى به وزير الدفاع اللورد " كيتشنر " بقوله :" فلسطين لن تكون باي شكل ذات فائدة لنا " لكن " لويد جورج " وزير المالية تمكن من الجمع بين وزير الدفاع وزعيم الحركة الصهيونية " حاييم وايزمان " بشكل رسمي . . غر ان كيتشنر كان في مهمة طويلة في روسيا تولى خلالها " لويد جورج " مهام وزير الدفاع وكان هذا مؤشر حسن لبدء تحويل المصادر الى شرق البحر المتوسط مما جعل فلسطين اكثر احتمالا . . ووجد وايزمان سهولة في رؤية الاعضاء الكبار في الحكومة . . وقال في مكتب وزارة الخارجية في ١٩١٦/٨/١٨ " بصدق كبير انه حتى في هذه البلاد يترتب على اليهودي دائما ان يعطي تفصيلا عن وجوده وفيما اذا كان انجليزيا او يهوديا . . . وان ذلك الشيء كانت النتيجة اكثر خطورة من بلاد اخرى . . . انا لست رومانسيا فيما عدا ان اليهود يجب ان يكونوا دائما رومانسيين حيث انه بالنسبة لهم تكون الحقيقة دائما رهيبة جدا " من بعد " اسكويت " تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا " لويد جورج " الذي كان يشغل منصب وزير المالية في حكومة " اسكويت " . . . لويد جورج عين فور استلامه رئاسة الوزراء " بلفور " وزيرا للخارجية . . وكان هذا امر قاطع وكان " اسكويت " مخطئا فيما يتعلق بلويد جورج ، اذ استنكر روتشيلد في الماضي ولكنه كان مأخوذا باللورد روتشيلد الاول ، الذي استدعاه مع عدد من الممولين الى وزارة المالية مع بداية الحرب العالمية الاولى وخاطبه " لورد روتشيلد ! لقد كان لدينا بعض الاوضاع غير المريحة سياسيا " اجابه روتشيلد : هذا ليس وقت استعادة تلك الاشياء . . بماذا استطيع المساعدة ؟

ويزمان وجد ان لويد جورج كان متعاطفا مع مبدأ الوطن اليهودي . . رئيس الوزاء الجديد كان عاطفيا ، فعندما دفع بخطته كانه دائما يشير الى فلسطين باعتبارها بلاد بحجم مقاطعة " ويلز " وكان لويد جورج متدينا وهذه نقطة اخرى جيدة لصالح الصهاينة . . عندما كان وايزمان يتحدث عن فلسطين ، دأب جورج على ذكر اسماء الاماكن المألوفة له توراتيا في فلسطين . . كان بلفور حليفا مهما لأن خلف الطرق المختلفة تتأصل ارادة فولاذية لازمته للتغلب على تردد الزملاء الرسميين في وزارة الخارجية . . وحال اقتناع بلفور بقضية يكون رجلا صعبا في الانحراف وكان رجل وايزمان المتحول المهم . . . كان الرجلان يتحدثان اولا بشكل مطول خلال انتخابات عام ١٩٠٦ عندما وبخ وايزمان لرفضه اوغندا كوطن قومي لليهود بديلا عن فلسطين . . قال يومها بلفور " كان يجب ان اقدم لك لندن او باريس بدلا من اوغندا . . . هل ستحب ذلك ؟ لكن يا كدتور وايزمان لندن لنا وهذه حقيقة لكن لدينا ايضا القدس عندما تدخلها القوات البريطانية " دار بينهما نقاش حاسم في ١٢ ديسمبر عام ١٩١٤ يستحق اعادة التذكير به لأنه يصور مهارات وايزمان كأنسان مقنع في اسلوبه . . فبعد ان وضع وايزمان قضية الصهاينة في مجال العمل ، اخبره بلفور بأن المسألة اليهودية سوف تظل بدون حل الى ان تصبح طائفة في فلسطين او يصبح اليهود متذوبين في البيئة التي يعيشون فيها . . واضاف بقصد الاغاظة – انه تناقش في هذا الامر مع سيئة السمعة من تعادي السامية وهي " كوسيما واجنر " عام ١٩٤٢ ووافقت . . نعم اجاب وايزمان : دعني اخبرك بالضبط ماذا قالت ! ان اليهود يأخذون ثقافتنا وعلومنا وصناعاتنا وهي النقطة الاساسية التي بغفلها اليهود والتي تشكل صلب جوهر المأساة اليهودية " . . ان اولئك اليهود الذين يعطون طاقاتهم وادمغتهم للالمان يفعلونها بوصفهم المان وانهم يثرون المانيا وليس اليهودية التي يهجرونها . . عليهم ان ينكروا يهوديتهم لكي يضعوا ادمغتهم وقدراتهم تحت تصرف الالمان . . فهم الى حد ليس قليل مسؤولون عن عظمة الالمان وهكذا نحن نقف هناك كأناس مستغلين وغير مفهومين " قام بلفور بمصافحة وايزمان وعينه تذرف الدموع وقال : ان الاسلوب الذي يتبعه بمعاناة امة عظيمة قد انار طريقه . . لهذا اصبح بلفور حليفا صهيونيا شديدا في وزارة الخارجية البريطانية متحركا باتجاه التزام بريطاني معين نحو اليهود . ففي يناير عام ١٩١٧ بدأت القوات البريطانية بغزو فلسطين من الجنوب عبر برية سيناء حيث كان البريطانيون قد سيطروا على مصر . . وفي نفس الشهر انهارت حكومة القيصر ، مزيلة بذلك اكبر عقبة في دعم اليهود عالميا . الوزير الانتقالي "كيرنسكي " انهى معاداة السامية في روسيا . . وفي نهاية الشهر بدأت المانيا معارك غير مقيدة بالزوارق جعلت التدخل الامريكي الى جانب الحلفاء امر حتميا

. . . واصبحت الحكومة الامريكية اقوى الداعمين لمبدأ الوطن القومي لليهود في فلسطين . . كانت هناك بعض العقبات . . فالفرنسيون يبغضون افكار اليهود وهكذا كان البريطانيون البروتستانت بدلا من الكاثوليك (والكفرة) الفرنسيون في القدس وحسب مارك سايكس الذي كان يناقش سرا معاهدة الحماية ومعارضه " جورج بيكو " تحدث عن مذابح باريس في ذكرى قصة الكابتن " درايفوس " التي كانت ما تزال حيّة في عقول الحركة الصهيونية ولكي اوضح للقاريء ما هي تلك القصة في باريس اوجزها فيما يلي :

ثيودور هرتسل وحاييم وايزمن
الحركة الصهونية العالمية

" تيودور هرتسل " الصحفي المجري الاصل انتقل مع والديه الى النمسا وكان قد تخرج من جامعة فينا في الصحافة . . كان والده يهوديا ثريا وكان ثيودور مدللا غير مبالي . . همه الاول كان السكر والعربدة وملاحقة النساء الجميلات وممارسة المجون بكش اشكاله لاشباع رغباته التي ما وقفت عند حدود . . بعد تخرجه من جامعة فينا بالصحافة عرضت عليه احدى المجلات النمساوية العمل معها بوظيفة مراسل لها في باريس . . فقبل العرض على الفور حيث وجد فيه فرصة للابتعاد عن عيون والديه ورقابتهم لممارساته المجون في بلد السحر والجمال باريس . . . اقام في باريس واعجبته الحياة هناك كثيرا . . .مما زاده انغماسا في ملذاته ومجونه . . وحدث ان مرّ يوما امام المحكمة فسمع اصواتا عالية تأتي من داخل قاعة المحكمة الباريسية وكانت الاصوات تطالب باعدام المتهم الماثل امام القضاء . . فدخل الى المحكمة لعله يجد خبرا او قصة للمجلة التي يعمل لحسابها . عندما دخل الى القاعة في المحكمة ذهل لما رأى المتهم قائدا يهوديا في سلاح البحرية الفرنسية برتبه اميرال وهو " الكابتن درايفوس " الذي اقتيد الى المحكمة بتهمة الخيانة العظمى وذلك بافشاء اسرار البحرية الفرنسية للبريطانيين الامر الذي ادى الى هزيمة الاسطول الفرنسي في معركة " ووترلوو " الشهيرة .

واخذ يتردد على المحكمة كل يوم لمتابعة قضية " درايفوس " وكان يسمع هتافات الجمهور الفرنسي في المحكمة منددة باليهود والمطالبة بتوقيع عقوبة الاعدام بحق الخائن " درايفوس " . . وظل كذلك الى حكمت المحكمة على درايفوس بالاعدام . . . عاد الى بيته وهو يفكر بأنه لو كان لهذا الرجل دولة او كيان يحميه لما استطاع الفرنسيون محاكمته بهذه الصورة المهينة . . وفكر بأنه يجب ان يكون لليهود دولة لئلا يستمر اضطهادهم بهذه الصورة البشعة

دون ان يجدوا من يدافع عنهم وعن حقوقهم . واخذ ورقة وقلم رصاص . . وكان ثملا كتب فيها احد عشر بندا لنظام دولة لليهود في فلسطين باعتبارها ارض الميعاد . . وبعد فراغه من كتابة الورقة وبعد ان وضع الاسس لاقامة دولة لليهود ، نظر اليها وسخر من نفسه ثم قال " ان من يقرأ هذه السطور يعتقد ان الذي كتبها رجل معتوه او به خلل في عقلة . . ولكن سوف تصبح دولة لليهود حقيقية وليست على الورق فقط بعد خمسين عاما من اليوم بعدها استقال من عمله وتفرغ لزيارة البلدان التي يكثر فيها اليهود لاجراء محادثات معهم ومناقشتهم في مسألة اقامة دولة لليهود في فلسطين . . . وكان اسلوبه في الحديث معهم مقنعا . . الامر الذي جعلهم يعقدون مؤتمرا لهم كان الاول تحت اسم الحركة الصهيونية الدولية في مدينة " بال " السويسرية عام ١٨٩٢ وصدر عن المؤتمر ما صدر من بروتوكولات نسبت الى " حكماء صهيون " توفي هرتسل في عام ١٩٠٤ عن عمر يناهز الثانية والاربعين عاما على اثر نوبة قلبية حادة اصابته بسبب رفض السلطان التركي استقباله في اسطنبول ورفضه السماح بهجرة يهودية الى فلسطين . . تولى من بعده ادارة الحركة الصهيونية الدكتور حاييم وايزمن . . ويذكر ان قضية محاكمة الكابتن درايفوس كانت الدافع الاساسي والمحرك لانطلاق الحركة الصهيونية على يد مؤسسها " ثيودور هرتسل "

كان هناك ايضا تحركات معارضة من قبل المصالح العربية او تلك الدوائر الحكومية التي تمثلهم لكن العرب انفسهم كانوا بطيئين في تحركاتهم ولم يقدموا اي شيء له قيمة الى الجهد الحربي باستثناء تمرد متواضع واكثر من ذلك الذي قاد التمرد العربي ضد الاتراك كان الكولونيل البريطاني " ن . ي . لورانس " والذي عرف بلورانس العرب . . كان يفضل فرض الحماية البريطانية على فلسطين وتنفيذ خطة الوطن القومي لليهود . . اغلب المعارضة الشديدة جاءت من اليهود المعارضين للحركة الصهيونية خصوصا "مونتاغو" الذي كان وقتها وزيرا لشؤون الهند في الحكومة البريطانية وكان لهذا نتائج هامة .

الالتزام البريطاني تمثل في رسالة من بلفور وزير الخارجية البريطاني آنذاك الى اللورد "روتشيلد "كرئيس للجالية البريطانية اليهودية . . وكان ذلك بالاتفاق بينه وبين بلفور على نص صيغة الرسالة . والتر روتشيلد لم يكن عظيما كوالده الذي توفي عام ١٩١٥ كان خياره ان يشارك في الاحداث الهامة في التاريخ اليهودي . . ولكن ليس كوالده . . فقد كان صهيونيا بمعنى الكلمة لكن كانت لديه عقبة في الخطابة وموانع اخرى . لكن حيويته لم تكن على شؤون جاليته فحسب بل على التكديس الصامت لما تمكن من جمعه من المخلوقات الاخرى فقد جمع مليونان وربع المليون فراشة و ثلاثين الف جلد طيور والف ومائتي صحيفة علمية وكتب واكتشف خمسة الاف من المخلوقات

الجديدة منها مائتين وخمسين تم تسميتها بعده وتشمل (الفيل والنيص وطائر الجنة والسواديه وهي دبابة بعيون على سيقان ودودة امعاء) كان هذا غير معروف لاحد حتى لاقرب المقربين اليه ومحبيه واصدقائه وكان قد جرد من ثروته من عديمي الضمير الذين استغلوه لمدة اربعين عاما . عموما كان وايزمان المستشار لروتشيلد والآخرين ومسودة وعد بلفور كانت قد سلمت لبلفور باليد بتاريخ ١٨ تموز/ايلول ١٩١٧ وكانت تحتوي على ثلاثة عناصر هامة .

١- اعادة تشكيل فلسطين ككل وكوطن لليهود

٢- حق اليهود في الهجرة غير مقيدة الى فلسطين

الحكم الذاتي اليهودي

وهذه العناصر الثلاثة اعطت الحركة الصهيونية كل شيء تمنته . . وايزمان اعتقد حتى الى يوم وفاته انه بدون معارضة " منتياغو " ما كانوا قد حصلوا على هذه العناصر الثلاثة . . وكانت المسودة تمت الموافقة عليها من قبل الحكومة البريطانية في ٣١ اكتوبر وصدرت بتاريخ ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩١٧ وعرفت فيما بعد بوعد بلفور . وقد جاء فيها " ان حكومة صاحب الجلالة نظرت بعطف لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وسوف تبذل ما وفي وسعها لتسهيل تحقيق هذا الوعد ويجب ان يفهم جيدا وبوضوح ان لا يحدث شيء يسبب تحيزا للحقوق المدنية والدينية للجاليات غير الهيودية في فلسطين او للحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في اي بلد آخر " . وكان اعلان بلفور المفتاح لبانوراما جديده ما كان لدولة اليهود ان ترى النور بدونه . . والفضل في ذلك يرجع الى كل من " ثيودور هرتسل والى حاييم وايزمان .

كانت ظاهرة القوميات والمطامع تأخذ مكانها في العالم في ذلك الوقت ، وكان الحلفاء محاطون بالشعوب التي تطالب بأن يكون النصر قادما وان السلام بعد ذلك يضمن لهم حقوقا اقليمية على اساس التعداد السكاني فيما اذا كان تعدادا عرقيا او لغويا او عنصريا . . اليهود لديهم ادعاء تاريخي رومانسي في فلسطين ولكنه كان ادعاء قديم والمعايير التي طبقت في " فرساي " لم تكن ايا من تلك المعايير القديمة فعندما تم اعلان بلفور كان هناك ما بين خمسة وثمانون الفا الى مائة الف يهودي يعيشون في فلسطين مما جعل جميع سكان البلاد يصل الى ستمائة الف نسمة وغالبا كانت الاكثرية من ا لعرب . . لو كان عرب فلسطين منظمين جيدا لما كان هناك ادنى شك بأن الاعلان يكون قد

صدر . . وحتى بعد سنة من صدوره لم يكن تنفيذه ممكنا . فقد دفع وايزمان الصهاينة عبر نافذة مختصرة من الحظ خبئت ثم استوثقت بغرائز رومانسية للطبقة الحاكمة في بريطانيا .

في لندن فكر " لويد جورج وبلفور " انهما استغلا حربا بغيضة في التاريخ البشري ليحققوا بعض المنافع واعطاء اليهود وطنا يهوديا في فلسطين على حساب الشعب العربي الفلسطيني . . فعندما التقى الاثنان على مأدبة غذاء بمناسبة يوم الهدنة رأي وايزمان ان رئيس الوزراء " لويد جورج " يقرأ المزامير في الكتاب المقدس ودموعه على وجنتيه . . وقد اعتاد ان يقول بعد ذلك " ان فلسطين بالنسبة لي هي جزء من اهتمامي بالحرب ولكنها كانت الشيء الوحيد لتنوير الطغاة في لندن لاعطاء الوعود " وايضا هناك نقطة اخرى وهي ان فلسطين تحميهم . . الجنرال " اللنبي " قد احتل مدينة القدس بعد شهر واحد من اعلان بلفور ودخل المدينة المقدسة بتواضع نبيل سيرا على الاقدام . . . وعندما ذهب وايزمان ليراه عام ١٩١٨ وجد الجنرال متواضعا سمحا وصديقا لكنه كان مغمورا بمشاكل الادارة العسكرية فقال " لا نستطيع عمل اي شيء الان ولكن علينا ان نكون حريصين للغاية بأن لا نسبب الاذى للمنشآت الخاصة بالسكان " .

معظم الضباط البريطانيين الذين كانوا في فلسطين لا يعلمون شيئا عن وعد بلفور بعضهم كانوا من اليهود والبعض كانوا ممن يعادون السامية والبعض الآخر كانوا يفضلون العرب وكانوا يتوقعون ان يقوم العرب بذبح اليهود اذ اعتبروا اليهود حثالة المجتمعات الذين جاءوا الى الارض المقدسة من روسيا وكانوا من البلشفيك . . الجنرال العسكري " وندهام " اعطى وايزمان باليد صفحات مطبوعة على الآلة الكاتبة وقال له " ينبغي ان تقرأ هذه الصفحات بعناية ومن الافضل ان تقرأها جيدا . . انها سوف تسبب لك ازعاجا كبيرا في المستقبل " وكانت تلك الصفحات هي نسخة من " بروتوكولات حكماء صهيون " الوثيقة التي كانت استرجعت من قبل البعثة العسكرية البريطانية التي كانت تخدم القيصر " نيقولا " الكبير في القوقاز . . جميع الضباط البريطانيين في فلسطين يبدو انها كانت لديهم .

اما بريطانيا فقد ذهبت بعيدا لتضمن الانتداب على فلسطين عبر مفاوضات سلمية وتقدم ذلك مشروع اقامة وطن قومي لليهود وكان الوضع عندما تسلمت بريطانيا فلسطين كالتالي :

كان اليهود في فلسطين يتكونون من نوعين رئيسيين : فكانت هناك الجاليات المتدينة من المثقفين والحكماء والذين كانوا يتكاثرون في فلسطين خلال القرن التاسع عشر الميلادي . . وفي القدس اقاموا في الحي اليهودي وكانوا يعيشون على اموال الصناديق الخيرية التي تجبى اموالها من اليهود في كل انحاء العالم . . وعالمهم لم يكن له علم بوعد بلفور

وكانوا دائما يكشون من احولهم ولهممطالب كثيرة . . وعندما ذهب وايزمان الرؤيتهم طلبوا منه ان يقنع الجنرال "اللنبي "كي يرسل سفينة الى " تريستا " حيث يوجد هناك افضل انواع من الخيش لاقامة عُرُشهم في عيد المظلات كي يتمكنوا من اقامة ذلك العيد بشكل صحيح . . . وكان وايزمن قد غضب من هذا المطلب حيث شعر ان الوطن القومي لا يهمهم بقدر ما يهمهم الاحتفال باعياد التوراة الدينية القديمة . ثم كان هناك مستوطنون زراعيون اسسوا بمساعدة الصدقات خصوصا بتمويل روتشيلد .

كان اسباب ما يسمى مذابح اليهود في روسيا عام ١٨٨١ دفعت الى هجرة يهودية من روسيا الى فلسطين وحينها اخذ روتشيلد المهاجرين اليهود تحت جناحيه . . فزودهم بالمدارس والاطباء ومستوطنات جديدة وقرى عرفت بالموشافوت وشملت اليركون والخضيرة وريشون لتسيون وزخرون ليكوف وبيتح تكفا وزيخرون لتسيون ويسود هماعلاه وفي عام ١٨٩٦ اضاف روتشيلد المطلة وبيرتوفيا الروسية ورصد مليون وسبعمائة الف جنيه استرليني لتمويل المستوطنات اليهودية وكان مائة الف استرليني من جيب روتشيلد الخاص . لم يكن لدى روتشيلد وقت لهرتسل الذي كان يعتبره محرضا سياسيا او للروس مثل وايزمان الذي كان بالنسبة له من البسطاء وقد اخبر وفدا من الصهاينة ومنهم " نورداو " " هذه مستعمراتي وسوف افعل بها ما اشاء " غير انه اعطى مجموعة من تلك المستوطنات للاتحاد اليهودي الاستعماري عام ١٩٠٠ واستمر في التمويل . من عام ١٨٩٠ سنة تأسيس رخبوت والخضيرة وحتى بعد دخول القرن الجديد لم تكن تلك مجمعات زراعين فقط بل كانت هناك مصانع اقيمت احياء يهودية جديدة اضيفت الى يافا وحيفا والقدس .

عام ١٩٠٤ في اعقاب ادعاء اليهود بمذبحة جديدة في روسيا بدأت هجرة يهودية جديدة من روسيا الى فلسطين وكانت اكبر من سابقتها . . فقد كان عدد المهاجرين الجدد قد جاوز الاربعين الفا بعضهم اقام في ضاحية قرب يافا العربية عام ١٩٠٩ والتي اصبحت فيما بعد تعرف بمدينة " تل ابيب " وفي نفس السنة اسست مجموعة من الشباب اليهود مجمعا زراعيا في دجانيا .

الانتداب البريطاني على فلسطين ووعد بلفور

في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧ قدمت بريطانيا وعد بلفور لليهود . . قبل ان تحتل القدس والمنطقة المعروفة باسم فلسطين ، وتمثل هذا الوعد برسالة وجهت الى اللورد روتشيلد بناء على طلب من المنظمة الصهيونية في بريطانيا العظمى (وهنا اود ان اذكر بأن عائلة " انشولم الالمانية " التي تزعمت حركة الليموناتي ام الحركات الصهيونية الاخرى والحركات التي استقطبتها مثل الماسونية والبهائية والقضيانية وغيرها من الحركات المختلفة وصهرتها في بوتقتها ، هي نفس عائلة روتشيلد التي تعيش في بريطانيا وامريكا الان بعد انتقالها من المانيا الى بريطانيا والى العالم الجديد واستعملت اسم روتشيلد بدلا من انشولم) اكد ذلك الوعد البريطاني على إنشاء وطن لليهود في فلسطين دون انتهاك الحقوق المدنية والدينية القائمة لغير اليهود الموجودين فيها . . وقد جاء هذا الوعد نتيجة ضغط كبير من جانب حركة صهيونية بريطانية وخاصة من جانب الدكتور حاييم وايزمان الذي هاجر الى بريطانيا من روسيا والدافع الرئيسي لهذا الوعد كان الاعتبارات الاستراتيجية البريطانية . . وتحت وعود كاذبة من الصهيونية بأن يهود العالم من شأنهم ان يهبوا لمساعدة البريطانيين في حالة دخول بريطانيا مع دول اخرى بالحروب . . فاسرع البريطانيون لاعطاء هذا الوعد اذ خافوا ان يسبقهم الالمان الى اصدار الوعد .

وفي مؤتمر عقد في باريس عام ١٩١٩ دافع ممثلوا العرب والصهاينة كل عن قضيته وتجدر الاشارة هنا الى ان د . وايزمان والأمير فيصل بن الحسين ، توصلا الى اتفاق بشأن دعم العرب لاقامة وطن قومي يهودي على ارض فلسطين ووقعا على هذا الاتفاق كما اكد فيصل لممثل الصهاينة الامريكيين القاضي فرانكفورتر تأييده للقضية الصهيونية لكن فيصل اشترط لهذا التأييد تلبية التطلعات العربية في سورية جرى توزيع الشطر الاكبر من الدولة العثمانية في مؤتمر باريس من خلال عصبة الامم وذلك الى مناطق انتداب وزعت على المنتصرين في الحرب . . رأى البريطانيون والفرنسيون في الانتداب وسيلة لتحقيق طموحات استعمارية . . ابدى البريطانيون حرصهم على إبقاء فلسطين بعيدة عن الفرنسيين واصروا على المطالبة باقامة انتدابهم على الزاوية التي من شأنها ان تقيم الوطن القومي لليهود عليها كما نص عليه وعد بلفور . عارض العرب فكرة انشاء " وطن لليهود " بالنظر الى المناطق التي تسمى الان فلسطين اذ شعر العرب بأنهم مهددون بخطر الطرد من قبل الصهاينة وبأنهم لا يرغبون في العيش تحت حكم اليهود .

شكل العرب في فلسطين حركة وطنية لمقاومة شرور الانتداب البريطاني وتحيزه الى جانب اليهود . . وطالبوا تدخلا امريكيا لحل المشكلة وعلى الاثر بادر الرئيس الامريكي ويلسون بارسال لجنة عرفت بـ (لجنة كنغ كرين) للاستماع الى آراء الفلسطنيين واعرب عارف الدجاني امام لجنة الاستماع عن افكاره بشأن اليهود فقال " يثبت ماضيهم وتاريخهم ان التعايش معهم مستحيل ، فهم غير مرغوب فيهم في جميع البلدان التي يتواجدون فيها في الوقت الحاضر . . لأنهم دائما يأتون لامتصاص دماء الجميع . . " في ذلك الحين كان الصهاينة قد ادركوا حتمية الصراع مع الفلسطينيين والعرب الآخرين . . وكان ديفيد بن غوريون زعيم " اليشوف " وتعني " المستوطنة وهي كلمة عبرية تستعمل للإشارة الى السكان اليهود في فلسطين في دولة اسرائيل الحالية . . استخدمت الكلمة في ثمانينات القرن التاسع عشر عندما كان اليهود في فلسطين خمسة وعشرين الفا تقريبا واستمر استخدامها حتى عام ١٩٤٨ حيث بلغ عددهم سبعمائة ألف وتستعمل اليوم للأشارة الي اليهود الذين سكنوا في دولة اسرائيل بعد تأسيسها في عام ١٩٤٨ واستمر ذلك حتى اصبح دافيد بن غوريون اول رئيس وزراء لاسرائيل والذي ذكر امام اجتماع في عام ١٩١٩ ميلادية " لا يرى الجميع انه لا يوجد حل لهذه المسألة . . . فنحن كأمة نريد لهذا البلد ان يكون لنا ، والعرب كأمه يريدون لهذا البلد ان يكون لهم" وعرض الصهاينة قضيتهم على مؤتمر باريس للسلام وتم في المؤتمر اعتماد الخطة البريطانية وكانت القضية الرئيسية التي تم اخذها بالاعتبار هي تقسيم الحقوق بين بريطانيا وفرنسا لا الاهتمام بوجهات نظر السكان . . في عام ١٩٢٠ كان لبريطانيا انتداب مؤقت على فلسطين شمل غرب وشرق نهر الاردن وقد ساعد الانتداب على إنشاء وكالة عرفت فيما بعد بأسم الوكالة اليهودية لفلسطين كممثل للمصالح اليهودية امام بريطانيا وتعمل ايضا على تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين . . وقد تأخر انشاء الوكالة اليهودية حتى عام ١٩٢٩ غير انها اصبحت فيما بعد الحكومة الفعلية لمجتمع يهودي في العديد من الجوانب .

كانت المنطقة الممنوحة للانتداب اكبر بكثير من المنطقة التي طلبها الصهاينة ومن الممكن كما افترض ونستون تشرتشل عام ١٩٢٢ بأن البريطانيين لم تكن لديهم النية مطلقا في ان تصبح كل هذه المساحة وطنا لليهود . . وفي المقابل ثمة من يرى انه لم يكن لبريطانيا خطط خاصة تتعلق بشرقي الاردن في البداية . . . كتب ممثل بريطانيا في عمان السير " أليك كيركرايد " في مذكراته ما من رغبة في هذه المرحلة (١٩٢٠) في تشكيل إقليم الى الشرق من نهر الاردن وتحويله الى دولة عربية مستقلة .

في عام ١٩٢٢ اعلنت بريطانيا ان حدود فلسطين ستقتصر على المنطقة الواقعة الى الغرب من النهر وسميت المنطقة الشرقية من النهر "عبر الاردن" وكانت منطقة مستقلة ما لبث ان منحت الاستقلال مما جعل جزء من الحركة الصهيونية تشعر بالخيانة لفقدان مساحة واسعة مما اسموه فلسطين التاريخية وهي الضفة الشرقية لنهر الاردن . وانشقت مجموعة لتشكيل حركة " المراجعة " برئاسة بنيامين فلادمير جابوتسكي .

في ربيع عام ١٩٢١ وصيف ١٩٢٩ واجه القوميون العرب وعد بلفور والانتداب والوطن القومي اليهودي وحرضوا على اعمال العنف ضد اليهود في القدس والخليل ويافا وحيفا مما ادى في المقابل اليهودي تكوين منظمة الهاغانا اليهودية للدفاع عن يهود فلسطين . . . في عام ١٩٣٦ اندلعت اعمال عنف في فلسطين واسعة النطاق ضد اليهود وضد البريطانيين وفي تلك الاعمال قتلت القوات البريطانية عز الدين القسام في اشتباك مسلح . . وكان القسام داعية من سوريا هاجر الى فلسطين وعمل على استثارة المشاعر العامة ضد البريطانيين واليهود ودعمت اسرة الحسيني اعمال العنف تلك كما دعمها ايضا فوزي القاوقجي الضابط السابق في الجيش التركي . . . ولعل ذلك حظي بتمويل جزئي من المانيا وايطاليا كما يعتقد اليهود والبريطانيون . . . وقد قتل في الاشتباكات التي جرت الاف العرب ومئات من اليهود وقد توسع نطاق العنف بسبب الاستعداد الاولي للسلطات البريطانية . . واضطر نصف القاطنين اليهود في الحي اليهودي بالقدس القديمة البالغ تعدادهم حوالي خمسة الاف يهودي الى الفرار من منازلهم وتم نقل من تبقى منهم في الخليل ايضا . رد اليهود بارهاب عشوائي وتفجيرات استهدفت المدنيين من العرب . . وقد قامت بتنفيذ هذه الاعمال الارهابية منظمات " ارغون وتسفاي ليئومي وايتسل "وكانت ايتسل منظمة عسكرية سرية للجناح اليميني المنشق عن مجموعة " المراجعين" اول من قادها " فلادمير زئيف جابوتسكي " الذي انفصل عن الحركة الصهيونية ثم تزعمها مناحيم بيغن في وقت لاحق . . لجنة بيل عام ١٩٣٧ اوصت بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية صغيرة واخرى عربية كبيرة . . وشملت توصيات اللجنة اجراء نقل ملكية طوعي يقوم به اليهود والعرب للفصل بين السكان . . وافقت القيادة اليهودية على الخطة ولكن القيادة الفلسطينية والعربية – بمن فيهم الملك عبد العزيز آل سعود في المملكة العربية السعودية رفضت التقسيم وطالبت بريطانيا بتقليص الهجرة اليهودية . . وقال الملك عبد العزيز إذا اخفق البريطانيون في تحقيق مطالب العرب في فلسطين فأن العرب سوف ينقلبون عليهم ويسطفون الى جانب اعدائهم . . واضاف بأن العرب لا يفهمون الموقف الغريب لحكومتكم البريطانية والظاهر انهم – اي اليهود – يتحكمون بكم وبالشعب الانجليزي عامة .

اوهمت بريطانيا العرب بانها استجابت للمطالب العربية بالحد من الهجرة اليهودية وقضى الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ بالسماح لـ ١٥٠٠٠ من اليهود بدخول فلسطين كل سنة ، وذلك لمدة خمس سنوات . . بعد ذلك ستكون الهجرة خاضعة لموافقة العرب . . وفي ذات الوقت اتخذ البريطانيون خطوات قاسية ضد العرب الفلسطينيين في كثير من الاحيان تحت ذريعة الحد من اعمال العنف .

الهجرة غير المشروعة

ردا على كتاب بريطانيا الابيض او اتخاذه ذريعة بتنظيم هجرة غير مشروعة من اوروبا الى فلسطين من خلال مؤسسة الهجرة غير المشروعة التي نظمتها الوكالة اليهودية بين عامي ١٩٣٩ – ١٩٤٢ وتغاضت بريطانيا عن تلك الهجرة غير المشروعة بل ساعدتها بشكل خفي ومهدت الطريق امام المهاجرين اليهود الى فلسطين . . .

اغتيال اللورد موين

قام عضوان في منظمة " ليهي " اليهودية السرية بتاريخ ٦ تشرين الثاني باغتيال اللورد موين في القاهرة . . وقد كان موين البريطاني معروفا بمناهضة الصهيونية وكان وقتها وزير الدولة لشؤون الشرق الاوسط والمسؤول عن تنفيذ الاحكام الواردة في الكتاب الابيض لعام ١٩٣٦ اي منع الهجرة اليهودية الى فلسطين باستخدام القوة . . . كما كان ايضا صديقا شخصيا لونستون تشرتسل . . . الا ان هذا الاغتيال لم يغير كثيرا في السياسة البريطانية لكنه حوّل ونستون تشرتشل الى باغض للصهاينة وتمكنت بريطانيا من القاء القبض على القاتلين إلياهو حكيم وإلياهو بتزوري وجرى اعدامهما شنقا عام ١٩٤٥وهنا لا بد لنا من استعراض الحادثة كما رواها الكاتب المصري الاستاذ يوسف حجازي عام ٢٠٠١ وهي كالتالي :

" كان " اللورد والترموين " وزيرا مقيما في الشرق الأوسط بالقاهرة في منطقة من اخطر المناطق في العالم وفي فترة من اخطر فترات الحرب العالمية الثانية ، وقد أوكلت إليه الحكومة البريطانية التصرف المطلق دون الرجوع إليها في مجموعة من أصعب واعقد المشكلات ، وعندما وجدت المنظمات الصهيونية أن اللورد موين شخص يتصف بالصدق والميل إلى الحق ، ولما لم تستطع أن تتخذه مطية لأهوائها وخاصة فيما يتعلق بموضوع فلسطين الذي كان يرى إنها لا يمكن أن تمثل الحل لمشكلة اليهود المشردين ، وأن عليهم أن يبحثوا لهم عن أرض جديدة أو القبول

بتوطينهم في بروسيا الشرقية بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية لأن ألمانيا هي المسؤولة عن تشردهم ولذلك هي التي يجب أن تدفع ثمن تشردهم ، قرروا إعدامه واستغلال هذه الجريمة لإثارة عطف بريطانيا والرأي العام العالمي ضد مصر من جهة ، خاصة وأن مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر وزعيم حزب الوفد في ذلك الوقت كان قد رفض الاعتراف " باتحاد المنظمات الصهيونية " كممثل للشعب اليهود في مصر وقرر وقف نشاط هذا الاتحاد ، خاصة وان طلب " اتحاد المنظمات الصهيونية " للاعتراف به كممثل للشعب اليهودي في مصر " جاء في فترة كان فيها النحاس مشغولا في عملية إنشاء جامعة الدول العربية والدعوة إلى عقد اجتماع لرؤوساء الحكومات العربية في قصر " انطونيادس " في الإسكندرية لوضع نصوص ميثاق الجامعة ، وكسب عطف بريطانيا والرأي العام العالمي إلى جانب القضية اليهودية من جهة أخرى ، والانتقام من بريطانيا التي قتلت الإرهابي " أبراهام شتيرن " في شباط ١٩٤٢ ، وكان " أبراهام شتيرن احد قادة منظمة الأرغون الإرهابية " الذين درسوا في ايطاليا وكان معجبا " بالدوتشي موسوليني " ولذلك رفض دعم بريطانيا ضد ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وقال أن البريطانيين هم العدو الأساسي لليهود ، وأنه لا فرق بين الدول النازية الفاشية والديمقراطيات الغربية ، أو بين الشيوعيين والديمقراطيين الاجتماعيين ، أو بين " أدولف هتلر وجوزيف تشمبرلين " وعندما فشل في إقناع قيادة " منظمة الأرغون " في مساعدته في خطته هذه انفصل عن " منظمة الأرغون " وشكل مجموعة شتيرن وحاول تجنيد ٤٠٠٠٠ شاب يهودي ليحاربوا مع ألمانيا والمحور ضد بريطانيا والحلفاء ، ولذلك كلفوا عصابة " شتيرن الإرهابية " المتخصصة في مثل الجرائم الإرهابية بتنفيذ قرار إعدام اللورد والتر موين " ونسف قصر " انطونيالس في الإسكندرية على رؤوس رؤوساء الحكومات العربية في يوم الاحتفال على التوقيع على ميثاق الجامعة ، لأن فلسفة الصهيونية في الإرهاب تقوم على أن العالم لن يحترم اليهود إلا إذا اثبتوا أنهم بالإرهاب وسفك الدماء يدافعون عن أنفسهم وكيانهم ، وأن الإنسان الذي يذهب إلى قتل إنسان آخر لا يعرفه عليه أن يؤمن فقط بشيء واحد وهو انه بهذا القتل سوف يغير التاريخ ، وقد كلفت " منظمة شتيرن " في تنفيذ هذه المهمة المستشرق " كراوس ، وهو تشيكي صهيوني وأستاذ اللغات السامية في جامعة القاهرة في الفترة من ١٩٣٦ – ١٩٤٤ ، وكان عضوا في " منظمة شتيرن الإرهابية " ولكنه انتحر في شقته بالزمالك بالقاهرة بعد تكليفه في تنفيذ مهمة قتل " اللورد والتر موين " وقد أكد ذلك صديقه ومساعده في بعض أبحاثه " الدكتور عبد الرحمن بدوي " الذي قال أن السبب في انتحار " كراوس " هو أن القرعة قد وقعت عليه لتكليفه بقتل " اللورد موين " ، كما كلفت " منظمة شتيرن " لتنفيذ هذه

المهمة أيضا الإرهابيان " الياهو حكيم والياهو بيت تسوري " اللذان كانا يعملان في الجيش البريطاني وفتاة كانت تعمل سكرتيرة في أحد المكاتب البريطانية ، ونفذ الإرهابيان الجريمة بقتل " اللورد والترموين " وسائقه البريطاني " آرثر فوللر " أمام منزل اللورد في شارع حسن صبري في الزمالك في الساعة الواحدة والربع من ظهر يوم ١٩٤٤/١١/٦ ، وألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على الإرهابيان وقدمتهم إلى المحكمة العسكرية في دار القضاء العالي وحكم عليهما بالإعدام شنقا في ١٩٤٥/١/٢٢ .

ولكن ومن سخرية القدر أو من سخرية إسرائيل أو من سخرية القدر وإسرائيل أن يرسل رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين إلى رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي برقية يستنكر فيها عملية الاغتيال ويعتبر القاتلين خائنين لقضية شعبهما ويطلب نشر البرقية في الصحف المصرية وللأسف تنشر فعلا في ١٩٤٤/١١/١٣ ، وهنا لا بد من الإشارة إلى الهدف من هذه الرسالة ، وهل كان النقراشي باشا يدرك الهدف أم لا يدرك ، فإذا كان يدرك فهذه مصيبة وإذا كان لا يدرك فالمصيبة أعظم ، لأن مجرد إرسال رسالة من رئيس ما يسمى "الوكالة اليهودية في فلسطين " واستقبال هذه الرسالة من رئيس وزراء اكبر دولة عربية جريمة لا تغتفر ، خاصة وان هذه الرسالة تعطي مشروعية عربية رسمية لوكالة غير شرعية ، كما أنها تعطي صفة شعب لمهاجرين غير شرعيين وهم في الحقيقة خليط من أجناس وثقافات وحضارات وأعراق مختلفة ، وتصورهم بأنهم وادعون مسالمون يستنكرون الأعمال الإرهابية كما تصورهم أصحاب قضية وهم في الأصل والنهاية غزاة أجانب ، ومصيبة المصائب أن يوافق رئيس الحكومة المصرية على نشر هذه الرسالة في الصحافة الوطنية المصرية وذلك في محاولة صهيونية في أن تظهر الوكالة اليهودية والمهاجرون اليهود كجزء من المنظر العام في المنطقة وهذه كانت خطوة أخرى في اتجاه التطبيع بعد الخطوة الذي قام بها أستاذ الجيل ورئيس جامعة فؤاد الأول سابقا " القاهرة حاليا " احمد لطفي السيد في حضور افتتاح الجامعة العبرية في جبل الزيتون في القدس إلى جانب " جيمس آرثر بلفور صاحب التصريح المشئوم الذي تمر هذه الأيام الذكرى التسعون على صدوره وحاييم وايزمن رئيس الوكالة اليهودية ورئيس أول دولة للكيان الصهيوني بعد تأسيسه في عام ١٩٤٨ ، والخطوة الذي قام بها الشاعر العراقي معروف الرصافي في زيارته إلى مدينة لقدس وإلقاء قصيدة يمدح فيها المندوب السامي اليهودي الصهيوني البريطاني هربرت صموئيل الذي يستعمر أرضا عربية ويجد خطيبا يهوديا غازيا لأرض عربية اسمه يهوذا ، ومن سخرية القدر انه توجد في مدينة غزة مدرسة ثانوية تحمل اسم معروف الرصافي " .

اعتقدت الوكالة اليهودية والادارة الصهيونية ان رد فعل بريطانيا والعالم على اغتيال اللورد موين يمكن ان يعرض التعاون بينهم للخطر بعد الحرب – وكان البريطانيون قد المحوا الى ذلك – كما ان هذا الاغتيال ربما ينعكس سلبا على الجالية اليهودية في فلسطين وقد يعتبرها البريطانيون اعداء لبريطانيا . . لذلك قامت المنظمتان في حملة استهدفت منظمتي ليهي وإرغون . .واطلق على الحملة اسم " موسم " اذ كان لا مفر من التخلص من الاعضاء المصريين . . فالقت منظمة الهاجناة القبض على القادة واستجوبتهم كما تم تسليم حوالى الف منهم الى البريطانيين .

وهذا لا بد انه يذكرنا في قضية الرئيس رفيق الحريري في لبنان مؤخرا حيث قامت اسرائيل بكل تأكيد باغتياله لتتهم سوريا من اجل اخراجها من لبنان وبعد ان خرجت سوريا بقى امام اسرائيل اتهام حزب الله لتبعد الشبهات عن نفسها لكن يبدو ان السحر بدأ يرتد على الساحر . . . نفس الاساليب لم تتبدل عند بني اسرائيل منذ الازل . . القتل وسفك الدماء واتهام الغير وهم المجرمون .

المقاومة اليهودية

عام ١٩٤٥ تولى حزب العمال السلطة في بريطانيا وكان قد وعد بالغاء الكتاب الابيض وبدعم وجود دول يهودية في فلسطين . . . الا انه كما يقول اليهود نكث بوعده هذا وواصل الجهود الرامية الى وقف الهجرة . . . واثناء ذلك حاولت عصابة الهاجناه جلب المهاجرين الى فلسطين بصورة غير قانونية وتوحدت الجماعات الصهيونية المتنافسة خصوصا الجماعات الارهابية المنشقة عن ارغون وليهي " عصابة شتيرن " واستخدمت القوة في محاولة طرد البريطانين من فلسطين وشمل ذلك تفجير القطارات ومحطاتها ومقر نادي الضباط البريطانيين ومقر القيادة البريطانية في فندق الملك داود في القدس وكذلك خطف الموظفين البريطانيين وقتلهم وتعليقهم على الاشجار . . وبهذا بدأ السياسيون والصحف في بريطانيا يطالبون الحكومة بتسوية النزاع ووقف تعريض حياة الجنود للخطر .

الصراع الاسرائيلي الفلسطيني

منذ ساعات الفجر يتدفق اليهود المتدينون الى اقدس حائط حسب العقيدة الدينية اليهودية وهو ما تبقى من أثر المعبد الكبير الثاني في القدس ، حائط المبكى . . . الصغير والكبير ، الملتحي والحليق . .جميعهم يشقوا طريقهم

الى الشوارع الضيقة او من خارج اسوار مدينة القدس المثقفون منهم وغير المثقفين يسيرون على طول مع الرعاة من التلال خلف القدس . . ، الشباب البالغون سن الرشد يسيرون جنبا الى جنب مع الرجال الذين هم في خريف اعمارهم . . المدرسون من المرافق الدينية في المدينة كتفا لكتف مع اصحاب الحوانيت الذين يأمون القدس من مسافات بعيدة ، من حيفا ، وتل ابيب ومن قرى بحر الجليل . يرتدون بزاتهم الموحدة السوداء وكل واحد يحمل كتاب صلاة (سيدور) ويقف امام الحائط المرتفع ليقرأ جزءا من التوراة .

على مدى سنوات طويلة ماضية فعل اليهود هذا ولكن ذلك السبت في شهر سبتمبر ايلول عام ١٩٢٩ كان مختلفا الربانيون حثوا الرجال بأن يكونوا بقدر الامكان متحدين في صلاة جماعية ليبينوا تصميمهم على حقهم المزعوم . . ولم يكن ذلك يقصد منه فقط التعبير عن عقيدتهم لكن ايضا كان رمزا واضحا لصيهونيتهم – وتذكيرا للشعب العربي ، الذي يفوقهم عددا بشكل كبير انهم لن يخافوهم في تحد سافر للمشاعر العربية .

كانت هناك اشاعات متواصلة تقول بأن المسلمين يزدادون غضبا مما يشاهدونه من التوسع الصهيوني . . بدأت هذه المخاوف مع صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ والتزام بريطانيا باقامة وطن قومي لليهود على ارض فلسطين . . كان هذا مثيرا لغضب العرب الذين عاشوا هناك والذين ترجع جذورهم الى الاف السنين . . الارض التي زرعوها لعدة قرون تصبح مهددة وربما تؤخذ منهم من الصهيونية وحماتهم البريطانيين الذين جاءوا بنهاية الحرب العالمية الاولى ليضعوا فلسطين تحت انتدابهم . . البريطانيون حكموا كما فعلوا في المناطق الاخرى من الامبراطورية محاولين ارضاء الطرفين . . وكانت تلك صيغة لاعداد كارثة . . ازدادت وتيرة التوتر بين العرب واليهود وحصلت هناك مناوشات واراقة دماء حول محاولات اليهود بناء معابد لهم واماكن للصلاة . . وكان اليهود قد صمموا بعناد على ان يمارسوا صلواتهم على حائط المبكى في القدس باعتبار ان ذلك جوهر طقوسهم الدينية وقت صلاة الظهر والتي تعرف عند اليهود بصلاة السمع كان هناك اكثر من الف شخص يقرأون بصوت مرتفع الكلمات القدمية جدا في الكتاب المقدس (التوراة) امام حائط المبكى وكان ارتفاع اصواتهم وانخفاضها له ايقاع متناغم . . . ثم وبسرعة مذهلة انهالت عليهم حجارة وزجاجات مكسورة وعلب مملوءة باتربة الانقاض . . هجوم قام به العرب من نقاط حول حائط المبكى . . وانطلق اول وابل من الرصاص من بنادق المسلمين القديمة سقط يهود وتم جرهم بعيدا في تلك الليلة اجتمع زعماء اليشوف (زعماء الجالية اليهودية في فلسطين) وبسرعة ادركوا ان مظاهرتهم لم يكن قد خطط لها جيدا وكان ينقصها نقطة رئيسية واحدة وهي عدم المعرفة المسبقة بالهجوم العربي . . وذكروا في ذلك

الاجتماع ان عليهم ان يتذكروا بأنهم في عهد الملك داود اعتمدوا على الاستخبارات القوية كما جاء في التوراة . . فقرروا الاعتماد على التجسس والمعلومات الاستخباراتية التي يجب جمعها لتجنب اي هجوم مفاجيء من العرب وفي ذلك الاجتماع بذرت البذور التي سوف تصبح يوما من الايام اضخم خدمات استخباراتية في العالم الحديث – الموساد – غير ان خلق الموساد كان لا يزال بعيدا حوالي ربع قرن من ذلك الوقت . . كل ما يستطيع زعماء الجالية اليهودية ان يقترحوه كخطوة عملية اولى في تلك الليلة من شهر سبتمبر هو تجميع كل الاموال التي يتمكنوا من توفيرها ومناشدة جيرانهم ليقوموا بنفس الخطوة . . المال يمكن ان يستعمل في رشوة العرب الذين لا زال اليهود مقبولين لديهم والذين يمكنهم ان يعطوا تحذيرات مبكرة عن اي هجمات اخرى وتجييش اعداد كبيرة من المخبرين والجواسيس لهذه الغاية .

في غضون ذلك قرر اليهود ممارسة صلواتهم على حائط المبكى دون الاعتماد على البريطانيين لحمايتهم اذ تتولى منظمة " الهجناه " حمايتهم . . والهجناه هي المليشيا اليهودية المشكلة حديثا . . وفي الاشهر التي تلت جاء مزيج من التحذيرات المسبقة ووجود المليشيا (الهجناه) مكن مواجهة الهجمات العربية . . وكان الهدوء النسبي بين العرب واليهود قد ساد خلال السنوات الخمس التي تلت تلك الاحداث .

في تلك الفترة واصل اليهود بشكل سريّ في توسيع دائرة تجمعهم الاستخباري ولم يكن لهذا التجمع اسم رسمي محدد وتواصل تجنيد العرب على قاعدة التخصص " الباعة المتجولون الذين يعملون في القدس والاحياء العربية والصبيان من صباغي الاحذية الذين يلمعون احذية ضباط الانتداب كانوا على جداول الرواتب ، . . اي يهودي كان بامكانه تجنيد جاسوس عربي . . والشرط الوحيد ان تكون المعلومات مشتركة . . بالتأكيد ولكن ببطء حصل "اليشوف" على معلومات هامة ليس فقط عن العرب بل وايضا عن النوايا البريطانية .

اعتلاء ادولف هتلر سدة الحكم في المانيا عام ١٩٣٣ كان مؤشرا على بدء الهجرة الجماعية لليهود الالمان الى فلسطين . . . في عام ١٩٣٦ كان اكثر من ثلاثمائة الف يهودي عبروا من اوروبا ووصلوا الى الارض المقدسة . كثيرون منهم كانوا معوزين وحالتهم صعبة الا ان اليشوف قام بتوفير الطعام والمأوى لهم . . . وخلال اشهر شكل اليهود ثلث السكان في البلاد وجاءت ردود الفعل من العرب كما حصل سابقا . . فمن على المآذن في مئات المساجد انطلقت صيحات الائمة لطرد اليهود من الارض الفلسطينية . في كل الاماكن الدينية العربية اجتمع المستشارون العرب وجاءت نفس الاصوات الغاضبة احتجاجا " علينا ان نوقف اليهود من أخذ ارضنا وان

نوقف البريطانيين من اعطائهم السلاح وتدريبهم " واصل البريطانيون في محاولات استرضاء الجانبين . . الا ان تلك المحاولات باءت بالفشل . . في عام ١٩٣٦ اندلع قتال متقطع ادى الى تمرد شامل ضد البريطانيين واليهود . . قمع البريطانيون بلا هوادة تلك الثورة . . غير ان الهيود ادركوا ان المسألة ستكون مسألة وقت فقط فقد يعود العرب بعدها ليضربوا بعنف مجددا . . على طول البلاد اندفع اليهود للانضمام الى منظمة " الهجناه " واصبحوا جوهر الجيش السري الهائل . . قوة بدنية وخبث كخبث تعالب الصحراء في النقب . . وامتدت شبكة المخبرين العرب . . واقيمت دائرة للهجناه لتغذية الخلافات العربية العربية عبر التضليل . . الرجال الذين اصبحوا اسطوريين في مجتمع المخابرات الاسرائيلية تعلموا مهاراتهم خلال فترة التكوين قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية . – الهجناه – الكلمة تعني " الدفاع " بالعبرية – اصبحت افضل القوى المخابراتية في الاراضي المقدسة .

الحرب العالمية الثانية جلبت سلاما مجددا غير مستقر الى فلسطين . . . شعر اليهود والعرب بالمستقبل القاتم الذي سوف يحل بكليهما اذا ربح النازيون الحرب . . . اول تفصيل لما كان يحصل في معسكرات الموت الاوروبية قد وصل الى " اليشوف " دافيد بن غوريون واسحق رابين كانا من بين اولئك الذين حضروا اجتماعا في حيفا عام ١٩٤٢ . . كان هناك اجماع بأن الناجين من المحرقة (الهولوكوست) النازية ينبغي احضارهم الى فلسطين . . .لا احد يستطيع ان يقدر كم كان عددهم ولكن كل واحد من ا ليهود كان يدرك ان وصول اللاجئين من اوروبا سوف يعيد اشعال فتيل المواجهة مع العرب – وفي هذا الوقت كانت بريطانيا تقول باستمرار انها سوف ترفض السماح للناجين من المحرقة النازية من الدخول الى فلسطين بعد ان يكون هتلر قد هزم ، على اساس ان ذلك سوف يخلق اختلالا في التوازن الديمغرافي في فلسطين .

حث بن غوريون على رفع مستوى طاقة مخابرات الهجناه . . ولاقى ذلك التأييد الكامل من المجتمعين . . اذ قال " يجب تجنيد مخبرين اكثر وان تشكل وحدة مكافحة التجسس لتشمل اليهود الذين كانوا يتعاونون مع البريطانيين واقتلاع الشيوعيين اليهود والمنشقين من وسطنا " الوحدة الجديدة كانت قد عرفت بالعبرية بريغول هاجدي (الجاسوس الفتى) وكانت بقيادة الضابط الفرنسي الاجنبي الذي يعمل تحت غطاء رجل تسويق متجول .

فورا كان يحول ما يصل اليه من النساء اللواتي يعاشرن ضباط الانتداب ، واصحاب الحوانيت الذين تاجروا مع البريطانيين واصحاب المقاهي الذين رحبوا بهم . . . .وفي عمق الليل احضر المتسببون امام المحاكم العسكرية التابعة للهجناه . . المذنبون اما يكونوا قد حكم عليه بالضرب او اعدموا على تلال القدس بطلقة واحدة في

مؤخرة الرأس . . في عام ١٩٤٥ ، اضافت الهجناه وحدة مسؤولة عن شراء الاسلحة . . وكانت مخابيء الايطاليين والالمان للاسلحة التي تم الاستيلاء عليها في شمال افريقيا بعد هزيمة رومل ، قد هربت من قبل الجنود اليهود الذين كانوا في خدمة الحلفاء ، عبر صحراء سيناء المصرية الى فلسطين . . . جاءت الاسلحة في شاحنات قديمة وعن طريق قوافل الجمال وخزنت في كهوف في البرية في المكان الذي حاول فيه الشيطان ان يغوي السيد المسيح عليه السلام . . . أحد المخابيء كان قريبا من مكان مخطوطات البحر الميت التي كانت تنتظر الاكتشاف . . بعد هزيمة اليابان في شهر اغسطس عام ١٩٤٥ انتهت الحرب . . اليهود الذين خدموا في وحدات استخبارات الحلفاء العسكرية وصلوا ليعطوا الخبرة للهجناه . . العناصر كانت في مكانها للتعامل مع ما تنبأ به بن غوريون "الحرب من اجل اقامة دولة اسرائيل " والتي سميت حرب الاستقلال نقطة الاثارة انه يعرف انها عملية غير مسبوقة لجلب الناجين من الهولوكوست من اوروبا . . بداية جاءوا بالمئات ثم بالآلاف ثم بعشرات الالاف الكثير منهم كانوا لا زالوا يرتدون الزي الخاص بمعسكرات الاعتقال الالمانية . . كل واحد منهم موشوم برقم تعريف نا زي . . . جاءوا على الطرق البرية وفي السكك الحديدية عبر البلقان ثم عبروا البحر الابيض المتوسط الى شواطيء فلسطين . . . كل سفينة متوفرة قد تم شراؤها او استئجارها من قبل وكالات الاغاثة في الولايات المتحدة وغالبا باسعار مرتفعة جدا وشملت سفن شحن غير نظامية والبواخر والسفن الساحلية وسفن المراسي . .ومن شواطيء النورماندي قوارب نهرية ، اي شيء يمكن ان يعوم على سطح الماء قد ضم الى الخدمة بانتظار الناجين على الشواطيء بين حيفا وتل ابيب كان بعض الجنود البريطانيين الذين سبق وان نقلوا الى انجلترا من دنكرك ، كانوا هناك لينفذوا اوامر حكومتهم بمنع الناجين من المحرقة النازية من الدخول الى فلسطين . . . كانت هناك اشتباكات ولكن يبدو ان الجنود ربما تذكروا انقاذهم الخاص فقد نظروا الى المسألة من زاوية اخرى حيث كان قاربا يحمل لاجئين يصارع الامواج على الشاطيء . .رأى بن غورين ان هذه الشفقة ليست كافية . . . فقد حان الوقت لانهاء الانتداب البريطاني ولا يتم ذلك الا باستعمال القوة . . . عام ١٩٤٦ تمكن بن غوريون من توحيد الحركات السيئة اليهودية المختلفة . . اولا بالروح الجامحة لأولئك المستوطنين الاوائل وثانيا اعطاء الاثارة لحرب عصابات ضد البريطانيين والعرب معا . . كل قائد يهودي كان يعرف انها مقامرة خطيرة ، فالحرب على جبهتين من شأنها ان تؤدي الى نضوب مصادرهم المحدودة . . وان نتائج الفشل سوف تكون وخيمة . . بن غوريون امر بأنه لا يتحمل سياسة ممنوعة . . وفورا بدأ فهرس الفضائع التي كانت مروعة والتي كانت متساوية على الجانبين . . .

اليهود كانوا يقتلون لمجرد الاشتباه بتعاونهم مع الهجناه . . والجنود البريطانيون كانوا يتعرضون لاطلاق النار ويسقطون قتلى وتضرب معسكراتهم بالقنابل . . اما القرى العربية فقد اشعلت فيها النيران وكانت ضراوة تلك الحرب تشبه الضراوة التي سادت في القرون الوسطى .

للهجناه كانت الاستخبارات حرجة وحساسة ، ليس فقط في اشاعة التضليل فحسب بل لاعطاء الانطباع للبريطانيين والعرب بأن لليهود رجالا اكثر مما كان يعرف . . . فوجد البريطانيون انفسهم انهم يطاردون عدوا خفيا . . . وكانت قوات الانتداب قد بدأت معنوياتها تتدهور حاولت الولايات المتحدة التوسط للوصول الى صفقة عام ١٩٤٦ حاثين بريطانيا على ان تسمح لمائة الف يهودي من الناجين من الحرقة الالمانية لدخول فلسطين . بريطانيا رفضت هذا الطلب واستمرا القتال على اشده . . واخيرا في شهر فبراير /شباط ١٩٤٧ قرر البريطنيون ترك فلسطين في الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨ على ا ن تقوم هيئة الامم المتحدة بالتعامل مع المشاكل الفلسطينية التي قد تؤدي الى قيام دولة اسرايل . . ادرك بن غوريون وقادته ان الصراع لا زال صراعا مع العرب وارادوا ان يتأكدوا بأن الامة الوليدة لن تخنق في مولدها . . ورأوا انه يجب عليهم مواصلة الاعتماد على الاستخبارات الفائقة . . فحصلوا على بيانات حيوية عن المعنويات العربية والقوة العسكرية التي لديهم . . وتمركز الجواسيس اليهود في القاهرة وعمان يسرقون خطط الهجوم المرتقب من الجيوش المصرية والاردنية . . . عندما بدأ ما عرف بحرب الاستقلال حقق الاسرائيليون انتصارات عسكرية مذهلة . . ولكن ايضا اصبح واضحا الى بن غوريون بينما تستمر الحرب ان النصر الاخير ينبغي ان يكون متوقعا في ضوء الفصل بين طموحات السياسيين والعسكر . . واخيرا في عام ١٩٤٩ لم يكن ذلك الفصل قد سوي بشكل نهائي مما ادى الى النزاع داخل مجتمع المخابرات الاسرائيلية حول المسؤوليات في اوقات السلم .

بن غوريون اول رئيس وزراء لاسرائيل ،اقام خمس خدمات استخباراتية لتعمل في الداخل والخارج . . الخدمات عبر البحار شكلت نفسها على غرار الخدمات الاستخبارات البريطانية والفرنسية . . كلا هاتين الخدمات وافقتا على العمل مع الاسرائيليين واقيمت اتصالات مع مكتب الخدمات الاستراتيجية الامريكي في واشنطن بوساطة رئيس وكالة الاستخبارات الايطالية " جيمس جيرسي انجلتيون "وارتباطه بالجواسيس الاسرائيليين الجدد ، ربما يلعب دورا صعبا في بناء الجسور بين المخابرتين .

على الرغم من هذه البداية الواعدة فان احلام بن غوريون بعمل المنظمات الاستخباراتية ان تكون بانسجام قد ماتت في مخاض ولادة امة تناضل بنفسها من اجل هوية متماسكة . . . استعراض العضلات بقي الامر اليومي والوزراء في حكومة بن غوريون وكذلك الرسميين قد حاربوا من اجل السلطة والمراكز . . وكانت هناك مصادمات على كافة المستويات . . من يريد تنسيق الاستراتيجية الاستخباراتية ؟ من يريد تقييم البيانات الاولية ؟ من الذي سيقوم بتجنيد الجواسيس ؟ ومن الذي يجب ان يطلع على التقارير اولا ؟ ومن يقوم بترجمة المعلومات للزعماء السياسيين ؟ .

لم يكن هناك المزيد من المناورات التي لا هوادة فيها بين وزارة الخارجية ووزارة الدفاع . .كل جهة منهما ادعت حقها في العمل في الخارج . . " ايسار هاريل" العامل الصغير شعر بأن زملاءه يعتقدون ان الاستخبارات تعمل في ضوء الرومانسية والمغامرة . . فتظاهروا بأن يكونوا خبراء في كل طرق العالم . وحاولوا ان يسلكوا كجواسيس دوليين خياليين يستمتعون بعظمتهم كأنهم يعيشون في ظل الخيط الرفيع بين القانون والاجازة الرسمية .

في غضون ذلك استمر العرب في المقاومة ، وبقنابلهم وشراكهم . . جيوش سوريا ومصر والاردن ولبنان لا زالت تهدد . . خلفهم ملايين من العرب كانوا على استعداد لاعلان الجهاد (الحرب المقدسة) ولا توجد امة في العالم تكون قد ولدت في مثل هذه البيئة المعادية مثل اسرائيل .

بالنسبة الى بن غوريون كان هناك غالبا شعور بشأن الطريقة التي نظر شعبه اليه بها لحمايتهم . . . بالطريقة التي كان زعماء اسرائيل الكبار قد فعلوا دائما . . ولكنه كان يعرف انه ليس نبيا وانه فقط محارب شوارع مقروص بشدة والذي كسب حرب الاستقلال ضد الاعداء العرب الذين هاجموه بقوات تفوق ما لديه بعشرين ضعفا ولم يكن هناك نصر اكبر منذ ايام الصبي الراعي داود الذي قتل جالوت وهزم الفلسطينيين .

لا زال العدو لم يبتعد بل اصبح اذكى وحتى قاسيا لا يرحم وبدأ يضرب مثل اللص في الليل يقتل بدون تأنيب الضمير قبل ان يتلاشى . . . .استمر التنافس والشجار والقنص لمدة اربع سنوات في كل الاجتماعات التي ترأسها بن غوريون في محاولات لحل الامور بين مجتمع الاستخبارات . . خطة واعدة لوزارة الخارجية باستعمال دبلوماسي فرنسي جاسوسا في القاهرة قد احبطت من قبل وزارة الدفاع التي ارادت ان يكون رجلها الخاص لهذه المهمة . . الضابط الشاب بدون خبرة في عمل المخابرات القي عليه القبض خلال اسابيع من ضباط الامن المصريين . . الوكلاء الاسرائيليون في اوروبا تم اكتشافهم بأنهم يعملون في السوق السوداء بغزارة لتمويل عملهم حيث لم تكن هنا

ميزانيات كافية تغطي انشطة التجسس . المحاولات لتجنيد قوات الدروز المعتدلين في لبنان قد انتهت عندما اختلفت الوكالات الاسرائيلية المتنافسة على كيفية استعمالهم . . غالبا المشاريع الضخمة تحطمت بسبب الشكوك المشتركة الرجال الاقوياء في ذلك اليوم كانوا وزير الخارجية الاسرائيلي ورئيس الاركان والسفراء جميعهم ناضلوا لتأسيس التفوق لخدماتهم على الآخرين .

البعض اراد ان يكون تسليط الضوء على جمع المعلومات الاقتصادية والسياسية والبعض فكرو ا بأن الاستخبارات يجب ان تتركز كليا على القوة العسكرية للعدو . . . السفير الاسرائيلي لدى فرنسا اصر على ان تكون الاستخبارات تسير على شاكلة المقاومة الفلرنسية ابان الحرب العالمية الثانية . . بحيث يتحرك كل يهودي في الارض . . السفير في واشنطن اراد ان يكون جواسيسه محميين بغطاء دبلوماسي وان يكونوا جزءا من اعمال السفارة الاعتيادية كي يتسنى ان يكونوا فوق الشبهات . . . الوزير الاسرائيلي لبوخارست اراد ان يعمل جواسيسه على طول خطوط الكي جي بي (المخابرات السوفياتية) ويكونوا قساة . . . الوزير الاسرائيلي في بيونس ايريس طلب ان يعمل الوكلاء على غرار دور الكنيسة الكاثوليكية في مساعدة النازيين في الارجنتين . . بن غوريون اصغى بصبر الى كل اقتراح .

توحيد أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية

بالنهاية وفي الثاني من مارس عام ١٩٥١ استدعى رؤساء خمس وكالات استخبارات الى مكتبه واخبرهم انه سوف ينيط مسألة انشطة جميع الاستخبارات الاسرائيلية في الخارج بمؤسسة جديدة تسمى (هاموساد لي تيوم) بمعنى معهد التنسيق وسوف يكون لها ميزانية ابتدائية قيمتها عشرون الف جنيه استرليني تنفق خمسة الاف منها على المهمات الخاصة ولكن بموافقة مسبقة. الوكالة الجديدة يمكنها اخذ موظفيها من وكالات الاستخبارات القائمة . . . وقرر بن غوريون ان تسمى الوكالة الجديدة (الموساد) فقط . موساد ، لكل الاغراض الادارية والسياسية سوف تكون تحت صلاحيات وزارة الخارجية . . على العموم سوف يكون لها كبار الضباط يمثلون المنظمات الاخرى في مجتمع الاستخبارات الاسرائيلية مثل : الشين بيت ، الامن الداخلي ، امان للاستخبارات العسكرية ، استخبارات القوة الجوية والاستخبارات البحرية . . . .عمل الضباط سوف يكون اطلاع الموساد على الطلبات المعينة لزبائنهم وفي حالة عدم الاتفاق على اي طلب فسوف تحال المسألة الى مكتب رئيس الوزراء

. بمثل هذه الفظاظة الاعتيادية قال بن غوريون " عليكم ان تعطوا الموساد قائمة تسوقكم والموساد بدوره سوف يذهب ويحضر البضائع . . ليس من اختصاصكم ان تعرفوا اين هم يتسوقون او ما يدفعوه ثمنا للبضائع " بن غوريون يقوم بدور لجنة اشراف على الخدمات الجديدة . . في مذكرته للرئيس الاول " رووين شالوح " طلب رئيس الوزراء ان يعمل الموساد تحت امرته وسوف يعمل طبقا لتعليماتي وان ترسل التقارير له باستمرار .

القواعد الاساسية قد وضعت . . . ثمان وعشرون سنة من الاحداث بعد ان جلس اولئك اليهود في ليلة مقدسية في سبتمبر ١٩٢٩ يناقشون الاهمية الحيوية للاستخبارات في منع الهجمات العربية فقد كان لاحفادهم خدمة الاستخبارات التي اصبحت اكبر من اي استخبارات اخرى في العالم .

مولد الموساد مثل اسرائيل كان اي شيء ولكن بهدوء . . . الخدمات قد وضعت حلقة من الجواسيس في العراق وقد عملت تلك الحلقة سنوات عدة تحت ادارة دائرة قوات الدفاع السياسية . . . العمل الرئيسي للحلقة كان ان تخترق المراتب العليا في الحربية العراقية وتجري شبكة هجرة سرية لاخراج اليهود العراقيين من العراق الى اسرائيل .

في شهر مايو/ايار ١٩٥١ فقط تسعة اشهر بعد توقيع بن غوريون على امر بعث الموساد ، انقض وكلاء الامن العراقيين في بغداد على الحلقة ، اثنان من الوكلاء الاسرائيليين تم اعتقالهم الى جانب العراقيين اليهود والعرب الذين اخذوا رشاوى ليسهلوا شبكة الهروب التي امتدت عبر الشرق الاوسط . . ثمانية وعشرون اتهموا بالتجسس . الوكيلان حكم عليهما بالاعدام ، سبعة عشر شخصا حكموا بالسجن المؤبد والآخرون اطلق سراحهم كمثال على عدالة القانون العراقي كلا جاسوسي الموساد ثم اخلاء سبيلهما لاحقا من سجن عراقي كانا فيه يتعرضان الى التعذيب القاسي وذلك مقابل مبلغ من المال دفع في حساب في بنك سويسري باسم وزير الداخلية العراقي . تبع ذلك سريعا كسر للجليد جاسوس الدائرة السياسية في روما " ثيودور جروس " الان يعمل للموساد تحت ترتيب جديد . في يناير /كانون الثاني عام ١٩٥٢ رئيس الشين بيت (خدمات اسرائيل للأمن الداخلي) " ايسد هارتل " تسلم رهانا قاطعا ان "جروس " كان عميلا مزدوجا على قائمة رواتب الخدمات السرية المصرية . . هرتل قرر ان يطير الى روما حيث تمكن هناك من اقناع " جروس " بالعودة معه الى تل ابيب مقنعا الخائن بأنه على وشك ان يعطى مركزا اعلى في الشين بيت . . في تل ابيب حوكم " جروس " سرا وادين وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما ليموت في السجن .

التقسيم

اوصت لجنة الامم المتحدة بشأن فلسطين بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ودعت الى وضع القدس تحت الادارة الدولية للجمعية العامة للامم المتحدة التي اعتمدت هذه الخطة يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ فاصدرت القرار رقم (١٨١) وكان وراء ذلك القرار الدعم الامريكي والسوفياتي وعلى وجه الخصوص الدعم الذي قدمه الرئيس الامريكي " هاري ترومان " وقد ساهمت عوامل كثيرة في قرار ترومان مساندة التقسيم من قبيل السياسة الداخلية والضغط الصهيوني المكثف ، لكن ترومان كتب في مذكراته "ان الشيء المناسب والشيء الذي فعلت ، هو ما اعتقد انه الحق . . وليذهبوا بعدها الى الجحيم جميعا " وكان اول من ذهب الى الجحيم نتيجة ذلك القرار المشؤوم هو الشعب الفلسطيني ولا زال يعاني من جحيم تلك السياسة الغربية والصهيونية .

قبل اليهود بقرار الامم المتحدة ورفضه العرب . . ومن الطبيعي ان الذي ليس له الحق في شيء اذا منحته جهة دولية ذلك الحق فأنه يسارع للقبول لانه يكون حصل على شيء من غير حقه بل جاءه مجانا . . فلماذا يرفض . . . اما اصحاب الحق الشرعي وهم العرب فمن المؤكد انهم سوف يرفضون مثل هذه القرارات التعسفية غير العادلة . . .

قرار تقسيم فلسطين يقضي تقسيم الارض ضمن إطار خطة معقدة الى قسمين متساويين تفصلهما حدود متعرجة . . وكان القصد هو قيام اتحاد اقتصادي وحدود مفتوحة بين البلدين . . حين صدور قرار التقسيم كان العرب يمتلكون ٩٠ بالمائة من الارض الفلسطينية واليهود ما لا يزيد عن ٨ % بالمائة من الاراضي . . .وكان عدد ا ليهود الذين يعيشون في فلسطين آنذاك حوالي ٤٠٠ ٠٠٠ نسمة بينما كان عدد العرب الفلسطينيين ١.٢ مليون ومائتا الف نسمة . . غير انه سرعان ما تبين ان هذه الخطة لن تؤدي الى نتيجة فمن شأن العداء المتبادل ان يجعل قبول الآخر مستحيلا في المجتمعين كليهما وكانت الامم المتحدة ترغب في تدويل القدس بالقوة وما كانت قادرة على ذلك . . وقررت جامعة الدول العربية الحرب مع اليهود لتخليص فلسطين من اليهود ولكن بكل اسف كان واقع الامر غير ذلك حيث ان كل دولة عربية في جامعة الدول العربية كان لها برنامجها الخاص بحيث يكون لكل منها حصة في الذبيحة الدسمة

فلسطين والحروب العربية الإسرائيلية

١-حرب عام ١٩٤٨ : تنقسم حرب عام ١٩٤٨ الى فترة ما قبل اعلان دولة اليهود تحت مسمى "دولة اسرائيل" وفترة ما بعد الاعلان عن قيام الدولة ، بدأت اشتباكات بين القوات السرية الاسرائيلية والجماعات غير النظامية العربية فور صدور قرار التقسيم . . ولم تشارك الدول العربية في القتال آنذاك بيد ان الجيش الاردني ساعد في الهجوم على مستوطنة غوش عتسيون وعلى مستوطنة صغيرة من المستوطنات في الاراضي المخصصة للدولة الفلسطينية جنوب القدس .

٢- مرحلة ما بعد اعلان الدولة - خلال الفترة التي سبقت اعلان الدولة الاسرائيلية تواجد جيشان من المتطوعين وتمركز المقاتلون في البلدات العربية وقاموا بعمليات هجومية على المدن والقرى اليهودية ابان وجود البريطانيين . . وسمحت بريطانيا لفوزي القاوقجي وقواته غير النظامية بدخول فلسطين من سورية بعد الاتفاق معه على انه لن يشارك في العمليات العسكرية . . لكنه سرعان ما خرق الاتفاق وقام بالهجوم عبر الجليل .

اعمال العنف اندلعت في القدس يومي ٣٠ تشرين الثاني و ١ كانون الاول عام ١٩٤٧ وتمكنت القوات الفلسطينية غير النظامية من قطع امدادات الطعام والمياه والوقود عن القدس اليهودية خلال حصار طويل بدأ في اواخر عام ١٩٤٧ . . وقد اندلع القتال والعنف على الفور في جميع انحاء البلاد وتضمن ذلك كمائن للمتنقلين ومحاصرة القدس واثيرت ايضا اعمال عنف في مصفاة البترول في حيفا وضد مستوطنة غوش عتسيون (نفذها الفلسطينيون) وديرياسين (نفذها اليهود) وبدا العرب يتعرضون الى المجازر في كل مكان في فلسطين على ايادي العصابات الصهيونية الامر الذي اجبرهم على الرحيل بسبب المجازر اليهودية وبناء على وعود من الدول العربية التي طلبت من الفلسطينيين الابتعاد عن البؤر المأهولة باليهود لفترة قصيرة او لحين تحرير فلسطين من اليهود والذي لن يستغرق اكثر من اسبوعين ، حتى لا يتعرضوا لقصف مدافع جيوشهم التي سوف تدخل الى فلسطين بعد الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨ موعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . استجاب الفلسطينيون الى هذا النداء العربي وهجروا مدنهم وقراهم القريبة من التجمعات اليهودية . . على امل العودة خلال شهر على ابعد تقدير الى

قراهم ومدنهم حسب الوعد العربي . . . ولا زالوا ينتظرون العودة بعد مضي اكثر من ستين عاما على النكبة التي حلت بهم عام ١٩٤٨ .

٣- **دخول الجيوش العربية الى فلسطين** - كانت حكومات الدول العربية المجاورة اكثر ترددا مما يعتقد عموما للدخول في حرب ضد اسرائيل على الرغم من التصريحات النارية التي يطلقونها ولكن الضغط الشعبي اقترن بالخوف من أن الدول العربية الاخرى قد تتفوق عليهم في القتال في فلسطين . . وقد ساهم ذلك في التأثير على كل من سورية والاردن ومصر في اتخاذ قرار الدخول في حرب مع اسرائيل . . وكانت الدول العربية التي دخلت جيوشها الى فلسطين تقاتل وفق خطة موحدة من الناحية الرسمية لكن التنسيق بينها كان ضعيفا في واقع الامر . .

اعلن اليهود قيام دولة اسرائيل في يوم ١٤ أيار عام ١٩٤٨ وانسحب البريطانيون من فلسطين وخلال الايام والاسابيع التالية هاجمت الدول العربية المجاورة لفلسطين وتواصل القتال لفترات وجيزة تخللتها اتفاقات وقف اطلاق نار واعلنت هدنة من الجانبين في حزيران الى تموز ١٩٤٨ ثم من ١٩ تموز حتى ١٥ تشرين الاول ١٩٤٨

سجل الجيشان المصري والسوري نجاحات ملحوظة في المرحلة الاولى وتمكن المصريون المدعومون بالدبابات والمدفعية والمدرعات والطائرات التي لم تكن اسرائيل تملكها ان يعزلوا النقب كله ويحتلوا اجزاء من الاراضي الفلسطينية التي خصصها قرار التقسيم للدولة اليهودية . . . في كتابه " في ميادين فلسطين " يروي ناشط السلام الاسرائيلي يوري أفنيري كيف ان الجيش المصري حاول حشد المدرعات لضرب تل ابيب . . وكيف منعت مصر والاردن محاولات فلسطينية لاقامة دولة حقيقة والتزم الاردن بعد مهاجمة المناطق المخصصة للدولة اليهودية ولكن سورية ومصر لم تفعلا ذلك . . . تم صد الهجوم بواسطة عدد قليل من طائرات مسرشميت التي وصلت مؤخرا وتم شراؤها من تشيكوسلوفاكيا . احرز السوريون بعض التقدم في الاراضي التي خصصها التقسيم للدولة الفلسطينية . . اما الاردن فلم يهاجم الاراضي اليهودية ومنع الفيلق العربي والقوات العسكرية من محاصرة القدس اليهودية من موقعة المحصن في اللطرون . لم يكن ممكنا التغلب على المواقع الاردنية في اللطرون على الرغم من العديد من الهجمات الدموية وبعد الالتفاف على ذلك انشأ الاسرائيليون في نهاية المطاف "طريق بورما " الذي تم انجازه في حزيران عام ١٩٤٨ فتم كسر الحصار المفروض على القدس

٤- **الوقف الاول لاطلاق النار** - اعطى وقف اطلاق النار في حزيران بموجب الهدنة المعقودة بين الاطراف المتحاربة ، اعطى للجميع وقتا لإعادة تجميع القوات والتنظيمها . . وهذا يمثل مرحلة حرجة في المعارك . .

الجانب العربي ارتكب خطأ حاسما في قبول الهدنة اذ استغل الاسرائيليون وقف اطلاق النار لإعادة تنظيم الجيش وحشده وتدريبه فاصبحوا قادرين على إحضار شحنات كبيرة من الأسلحة ، على الرغم من احكام المعاهدة وعلى تدريب وتنمية قوة مقاتلة حقيقية مكونة من ٦٠٠٠٠ جندي مما اعطاهم تفوقا فعليا في العدد والعتاد لاول مرة . . . لعل الهدنة تمكنت من إنقاذ القدس أن كان اهلها مهددون بالموت جوعا . . . وخلال الهدنة الطويلة اندمجت الجيوش السرية للهاغانا والبالماخ وإرغون وليهي في قوة مقاتلة واحدة هي جيش الدفاع الاسرائيلي .

٥- استئناف القتال – كانت الحرب مع المصريين حرب مواقع لأنهم كانوا معزولين في " الفلوجة " وهي جيب وسط اسرائيل وبعد انتهاء وقف اطلاق النار نقلت اسرائيل الحرب الى داخل الاراضي المصرية اذ دخلت قواتها جزيرة سيناء . . ثم اضطر الجيش الاسرائيلي الى الانسحاب بعد مواجهات مع الطائرات البريطانية . في الوسط اقتطع الجيش الاسرائيلي رقعة من الارض لفتح " ممر " بين القدس وبقية إسرائيل خلال عشرة ايام من القتال بين هدنتين احتل الاسرائيليون مدينتي اللد والرملة العربيتين اللتين كانتا تغلقان الطريق الى القدس وتم طرد معظم الفلسطينيين الذين يعيشون فيهما بعد ان قتل الكثير منهم كما دمروا العديد من القرى الفلسطينية الصغيرة المحيطة بتل ابيب وهكذا لم يبقوا عمليا على فلسطينيين في وسط اسرائيل

٦- الهزيمة العربية الاولى : بالرغم من النكسات الاولية التي حلت باسرائيل في بداية دخول الجيوش العربية الى فلسطين فان تنظيما افضل ونجاحات استخباراتية صهيونية قد تحققت خلال فترة الهدنة الاولى . .حيث كان من الخطأ موافقة العرب على الهدنة ووقف اطلاق النار . . استغلت اسرائيل الهدنة وعملت على استيراد اسلحة حديثة ومتطورة لمواجهة الجيوش العربية التي دخلت الى فلسطين . . فكانت تصل اسرائيل شحنات الاسلحة في الوقت المناسب ، مكنتهم من الوصول الى نصر حاسم على الجيوش العربية . . وفقد العرب والفلسطينيون ميزة التفوق الاولى حيث انهم فشلوا في التنظيم والتوحد . . . ولما وضعت الحرب اوزارها في عام ١٩٤٩ كانت اسرائيل تسيطر على مناطق اوسع من تلك التي حددتها خطة الامم المتحدة بقرار التقسيم ، فكانت تشكل ٧٨% من المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر الاردن ولم تقم الامم المتحدة بخطوة جادة لتدويل مدينة القدس التي اصبحت نتيجة للحروب مقسمة بين اسرائيل والاردن يفصل بين قسميها سياج من الاسلاك الشائكة ومنطقة محرمة . . ظل الاردن ومصر يحتلان المناطق المخصصة للدولة الفلسطينية المتبقية ثم ضمت مصر قطاع غزة

وضم الاردن الضفة الغربية من نهر الاردن . . . وفرّ من فلسطين نتيجة لتلك الحرب حوالي ٧٢٦.٠٠٠ من العرب واصبحوا لاجئين في الدول العربية المجاورة .

في عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ دعا قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ الى وقف القتال وعودة اللاجئين الذي يرغبون بالعودة وطالب قرار مجلس الامن رقم ٦٢ بتوقيع اتفاقات هدنة من شأنها ان تؤدي الى سلام دائم . . . وتم رسم حدود اسرائيل على طول الخط الاخضر تبعا لاتفاقات الهدنة لعام ١٩٤٩ وظلت الدول العربية ترفض الاعتراف بالكيان الصهيوني في تلك الحدود ولم تحل مشكلة اللاجئين على الرغم من توقف العمليات الحربية ، وقد انهارت المفاوضات لأن اسرائيل لم تسمح بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى اراضيها .

٧- حملة سيناء بعد الاطاحة بالملك فاروق في مصر على ايادي الضباط الاحرار برئاسة محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، قامت مصر ببعض التحركات نحو السلام مع اسرائيل ومع ذلك جرى عام ١٩٥٤ ضبط شبكة تحسس اسرائيلية حاولت تفجير وكالة الاعلام الامريكية وغيرها من المؤسسات الاجنبية في مصر بهدف خلق توتر بين الولايات المتحدة ومصر ومنع تقاربهما ، واعلنت اسرائيل تنصل كل من وزير الدفاع " بنحاس لافون " ورئيس الوزراء " دافيد بن غوريون " من المسؤولية عن ذلك الفعل ، والقى كل منهما اللوم على الآخر حتى اصبحت هذه الحادثة تعرف فيما بعد بأسم (قضية لافون) و (العمل المشين) وعلى اثر الحادث ارتابت مصر من النوايا الاسرائيلية وبدأت تتفاوض على شراء كميات كبيرة من الاسلحة ولما رفض الغرب بيعها اسلحة اتجهت الى بلدان الكتلة الشرقية وتوصلت الى اتفاق مع " تشيكوسلوفاكيا " واغلق الرئيس جمال عبد الناصر مضائق تيران وقناة السويس امام الملاحة الاسرائيلية . . وايقن الاستراتيجيون الاسرائيليون ان مصر تعتزم خوض حرب او خوض معركة دبلوماسية بعد ان تكمل تسلحها . . وفي المقابل بدأت اسرائيل بالبحث عن مصادر للاسلحة ايضا وتوصلت الى ابرام صفقة اسلحة مع فرنسا . . . شن الفلسطينيون والمصريون سلسلة من الغارات من قطاع غزة عبر الحدود تبعها غارات انتقامية اسرائيلية متزايدة الشدة . . وكان رأي موشيه ديان وزير الدفاع آنذاك ان على اسرائيل شن حرب وقائية قبل ان تستكمل مصر اسلحتها الجديدة .

عام ١٩٥٦ تآمرت اسرائيل وفرنسا وبريطانيا في خطة لألغاء تأميم قناة السويس على ان تغزو اسرائيل سيناء وتقوم بانزال مظليين بالقرب من ممرات متلا في حين تصدر بريطانيا وفرنسا انذارا لمصر ثم بعد الانذار تزجان بالقوات البرية تحت ذريعة الفصل بين القوات المتحاربة . . بدأ تنفيذ الخطة اعتبارا من يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٦

فاحتلت اسرائيل شبة جزيرة سيناء على وجه السرعة . . . وقد اغضب تصرف اسرائيل وبريطانيا وفرنسا الولايات المتحدة ودعا قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٩٩٧ الى الانسحاب الفوري . . الا ان القوات الاسرائيلية ظلت في سيناء عدة اشهر ثم انسحبت بعد ذلك تحت ضغط الامم المتحدة والولايات التحدة الامريكية خاصة بعد ان حصلت اسرائيل على ضمانات بأن تظل ممرات متلا الدولية مفتوحتة امام الملاحة الاسرائيلية .

٨- **بدايات حركة فتح :** ياسر عرفات ، نشأ كما يقال في قطاع غزة وكان عضوا في حزب الاخوان المسلمين وذلك وفقا لكتاب " بني موريس " (الضحايا الصالحون) الصادر عام ١٩٩٩ . تم تجنيد ياسر عرفات من قبل المخابرات المصرية عندما كان يدرس في القاهرة عام ١٩٥٥ حيث اسس الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين . . وفي عام ١٩٥٧ انتقل الى الكويت وعمل بالاشتراك مع خليل الوزير (ابو جهاد) وفاروق القدومي وخالد الحسن ومحمود عباس وغيرهم على تأسيس لجنة فلسطين سميت لاحقا " حركة التحرير الوطني الفلسطيني "على غرار جبهة التحرير الوطني الجزائرية . . . غير ان جهات فلسطينية ورجال فكر على معرفة جيدة بياسر عرفات ، يقولوان انه لم يكن يوما من الايام فلسطينيا بل كان مغربيا في اصله ويرجع منبته الى منطقة " القدوة " في مراكش وان غالبية سكان تلك المنطقة من اليهود المغاربة . . وان والده هاجر من مراكش الى مصر وحصل على " الباشوية " من الملك فاروق مقابل عشرة الاف جنيه مصرى في بداية العشرينات . . .والمسمى ياسر عرفات ولد في مصر وتخرج من جامعاتها وقد اختاره جمال عبد الناصر ليرأس حركة التحرير الفلسطينية . . . عموما البحث في جذور واصول عرفات لن يوصلنا الى نتيجة ايجابية حيث ان المسألة اعمق بكثير من معرفة الجدور .

في منتصف أيار عام ١٩٦٧ بدأ الرئيس المصري جمال عبد الناصر اطلاق التصريحات غير المدروسة ، وقالت الاذاعة المصرية من القاهرة " لقد استمر وجود اسرائيل اكثر مما ينبغي . . اننا نرحب بالعدوان الاسرائيلي ونرحب بالمعركة التي انتظرناها طويلا ، لقد حانت ساعة الصفر . . . جاءت المعركة التي سندمر فيها اسرائيل " في نفس اليوم طلبت مصر انسحاب قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة من سيناء وقطاع غزة . . . ووافق "يوتانت " الامين العام للامم المتحدة على سحب القوات في ١٨ ايار وتم الاعتقاد بأن عبد الناصر كان يأمل في الحقيقة ان لا يسحب " يوتانت " القوات الدولية وان يتخذ من وجود قوات الامم المتحدة ذريعة لعدم فعل أي شيءْ

في ٢٣ ايار اغلق ناصر مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية وامتنعت الولايات المتحدة عن الوفاء بالتزاماتها وضمان حق اسرائيل في استخدام الممرات المائية . . وتدفق سيل من التصريحات العربية واعلن رئيس منظمة التحرير آنذاك " احمد الشقيري " " انه اذا قامت الحرب فسيكون لدينا امتياز الضربة الاولى ستعيد منظمة التحرير الفلسطينية جميع الصهاينة الذين هاجروا بعد عام ١٩١٧ وسنقضي على دولة اسرائيل " والنتيجة ا لتي تلت اصبحت معروفة للجميع هزيمة وتشرد وضياع للفلسطينيين واهل سيناء والجولان علاوة على الهزائم النفسية التي لحقت بالشعوب العربية كافة .

وعلى الرغم من العبارات النارية يرى المحللون السياسيون الاسرائيليون مثل " آفي شاليم " وغيره ان التنافس بين العرب يقف وراء انزلاقهم بلدا بعد الآخر في الصراع مع انهم ما كانوا يعتزمون الحرب . . . فيقول شاليم " إن عبد الناصر ما كان ينوي مهاجمة اسرائيل ابدا ، لقد جرته الى الصراع المناورات السوفياتية والمخاوف السورية ورغبته في قيادة العالم العربي" كما اوضح المحللون . لم تستطع اسرائيل المحافظة على تعبئة عامة محددة وعندما اصبح واضحا ان مصر لن تلغي حالة الاستعداد للحرب بدأت اسرائيل الهجوم عليها في ٥ حزيران ١٩٦٧ كان رئيس الاستخبارات الاسرائيلية منذ عام ١٩٦٣ " مائير أميت " وفي تلك الفترة كانت المجموعات البشرية الاستخباراتية قد تحولت الى تجمعات استخباراتية انسانية في شكل فني . . ولم تكن توجد وكالة استخبارات اخرى قادرة على مقارنة وكلاء مائير اميت على الارض في عملية جمع المعلومات فقد وضع جواسيس باعداد كبيرة في كل بلد عربي وعبر اوروبا وفي امريكا اللاتينية وافريقيا والولايات المتحدة . . . جواسيس اخترقوا المخابرات الاردنية ، التي تعتبر المخابرات الافضل في خدمات الاستخبارات العربية . . كما تمكن الدواسيس الاسرائيليون من اختراق المخابرات العسكرية السورية الاشد ضراوة وعنفا . . . كانوا رجالا من ذوي الاعصاب الباردة وقرارات فولاذية لايجرؤ اي روائي على اختراعها . . وفور تعيينه مديرا عاما للموساد وزع مائير أميت مذكرة داخل الخدمة كانت قد سرقت من مكتب ياسر عرفات يقول فيها عرفات " الموساد لديه اضبارة عن كل واحد فينا . . . انهم يعرفون اسماءنا وعناويننا . . . نحن نعرف ان في كل ملف من ملفاتنا لديهم صورة واحدة هي نسخة عن كيف نكون بدون كوفية والثانية ونحن نرتدي الكوفية . . لهذا فليس هناك صعوبة امام الموساد الاسرائيلي لمتابعتنا سواء كنا بالكوفية او بدونها " جند مائير أميت عددا غير مسبوق من المخبرين العرب وعمل على اساس المبدأ القائل بأن قانون المعادلات سوف يتمكن من اكتشاف عدد ممن سيكون لهم فائدة . . . العرب المرتشون قد خانوا

مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية وكشفوا عن استلحتهم وبيوتهم الامنة وترتيبات اسفارهم . .عن كل فلسطيني مقاتل قام الموساد باغتياله ، دفع مائير للمخبر علاوة قيمتها دولار امريكي واحد (يا بلاش– ما ارخص الدم العربي) بالعودة الى حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ كان هناك يوجد جاسوس للموساد الاسرائيلي او مخبرا داخل كل قاعدة جوية مصرية وفي المقرات الئيسية للقيادات الحربية العليا في مصر . . لم يكن هناحك اقل من ثلاثة في القيادة العامة العليا في رئاسات القاهرة من الضباط الذين تمكن مائير أميت من اقناعهم بالعمل لدى الموساد . . كيف فعل ذلك ظل سره المحمي بدقة . . . هناك بعض الامور تركت بتلك الطريقة بشكل افضل . . كل مخبر او وكيل موساد في المكان اعطي بعض التعليمات مثل " الصورة الكبيرة " التي ارادها الى جانب التفاصيل الصغيرة مثل : كم بعيدا على الطيار المصري ان يمشي الى عنابره او الى المطعم ليتناول وجباته ؟ لأي مدى يكون الضابط قد توقف بسبب حركة المرور السيئة في القاهرة ؟ الى جانب اسئلة كثيرة ينبغي معرفتها ليمكن استعمالها . . احد الجواسيس تمكن من الحصول على عمل " نادل " جرسون في مطعم الضباط في قاعدة الخط الامامي للمقاتلات الجوية . . . كل اسبوع يقوم بتزويد تفاصيل استعدادات الطائرات الحربية المصرية ونموذج حياة الطيارين والفنيين : عاداتهم في تعاطي المشروبات وملذاتهم الجنسية كانت من بين المعلومات السرية التي ارسلت بالراديو الى تل ابيب .

دائرة الحرب النفسية التابعة للموساد الاسرائيلي عمل فيها علماء النفس على مدار الساعة يحضرون الملفات عن الطيارين المصريين والطواقم الارضية وعن ضباط الصف ومهاراتهم في الطيران وفميا اذا كانوا وصللوا الى رتبهم عن طريق المقدرة او عن طريق النفوذ ومن لديهم مشاكل الشرب والمترددين على بيوت الدعارة والذين لديهم ميول نحو معاشرة الاولاد جنسيا . . . .اثناء الليل راجع مائير أميت الملفات باحثا عن نقاط الضعف لرجال يمكن يبتزهم للعمل لديه ولم تكن مهمة مسرّة ولكن الاستخبارات غالبا ما تكون عملا قذرا كما يقول .

بدأت عائلات العسكريين المصريين تستلم رسائل مجهولة مودعة في البريد من القاهرة تحمل تفاصيل ضمنية عن سلوك احبتهم . . . المخبرون يرسلون الى تل ابيب تفاصيل خطوط العائلة التي يؤدي بالطيارين او طواقم الطيران الى ان يهبوا في اجازات مرضية . . . ضباط الصف يتلقون مكالمات هاتفيه من مجهولين تحمل معلومات عن زملاء في الحياة الخاصة . . . مدرس في المدرسة استدعي من قبل امرأة بصوت حنون ليخبره ان السبب الوحيد بأن الطالبة الابنة كانت سيئة بسبب والدها . . . ضابط كبير لديه عشيق ذكر سري . . . المهاتفة افضت بالضابط

الى اطلاق النار على نفسه . . هذه الحملة المسعورة سببت خلافات معتبرة في الحربية المصرية واثلجت صدر مائير أميت . . كانت اسرائيل منذ عام ١٩٦٤ تعاني من ازمة اقتصادية خانقة وقد ارتفعت فيها نسبة البطالة الى اعلى مستوياتها وكانت تحاول اجتياز ازماتها الاقتصادية بشتى الوسائل غير انها لم تفلح في ذلك فقرر الزعماء الاسرائيليون القيام بحرب توسعية كحل وحيد لازمات الدولة الاقتصادية اذ وجدت ان التوسع على حساب جيرانها العرب هو الحل الامثل لاوضاعها . . كانت اسرائيل تدار من حزب العمل الاسرائيلي وكان رئيس وزرائها آنذاك "ليفي اشكول " الذي قام بزيارة بريطانيا وامريكا عام ١٩٦٤ لحشد التأييد والدعم الغربي لاسرائيل في حربها التوسعية التي كانت تعد لها . . الا ان اشكول واجه ازمة في محادثاته في بريطانيا حيث اخبره السياسيون البريطانيون ان منطقة الشرق الاوسط يحكمها في ذلك الوقت جنرالات عسكريون من العرب وهؤلاء الجنرالات لا يعرفون الكثير في السياسة ومن المتوقع ان يثيروا حربا شاملة في الشرق الاوسط وان اوضاع بريطانيا الاقتصادية ودعمها للدولار الامريكي المتدهور في ذلك نتيجة للحرب الفيتنامية لا يمكن بريطانيا من دعم اسرائيل في حرب جديدة شاملة في الشرق الاوسط و اقترحوا على اشكول تأجيل تلك الحرب الى ان تزول ازمات بريطانيا الاقتصادية ليكون في مقدورها الوقوف الى جانب اسرائيل في حربها مع العرب . . . من لندن واصل اشكول الرحلة الى واشنطن حيث لاقى نفس الجواب من البيت الابيض والاقتراح بتأجيل الحرب لحين تحسن وضع امريكا الاقتصادي وانتهاء الحرب خلال الفترة بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٧ كانت اسرائيل تسعى الى ايجاد مبرر للحرب . . فاستغلت الهجمات التي كانت تقوم بها الفصائل الفلسطينية داخل الكيان الصهيوني وقامت بتتبع اثر المهاجمين الذين كانوا يأتون عبر الاردن ومن سوريا احيانا وحملت سوريا مسؤولية تلك الهجمات من اجل تأزيم الموقف واستفزاز مصر لاثارة حرب بمعنى انها نصبت شركا للعرب ووقعت مصر فيه بكل بساطة باعتبار ان مصر كانت ترتبط مع سوريا باتفاق دفاع مشترك . . وقامت بغزو سوريا جوا واشتبكت مع الطيران السوري بمعركة فقدت سوريا فيها ست طائرات اسقطتها اسرائيل فتأزم الموقف اكثر مما دفع مصر لمؤازرة سوريا سياسيا وجرى تهديد اسرائيل بحرب ابادة . . وطلب الرئيس المصري من الامم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية من ممرات متلا . . .وقد نجحت اسرائيل في استفزاز مصر للدخول في حرب هي تريدها وتخطط لها . . .وفي شهر ايار/مايو عام ١٩٦٧ كان واضحا ان زعيم البلاد الرئيس جمال عبد الناصر كان يحضر للحرب ضد اسرائيل ردا على اعتداءاتها على سوريا الامر الذي كانت تريده اسرائيل .

في الساعات الاولى للحرب دمرت اسرائيل أكثر من ٤٠٠ طائرة مصرية وهي رابضة في مطاراتها الحربية من أجل تحقيق التفوق الجوي العام . . واحتلت القوات الاسرائيلية بسرعة شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة وبدأت المدفعية الاردنية باطلاق القذائف على القدس في اليوم الاول من ايام الحرب على الرغم من تحذير رئيس الوزراء الاسرائيلي ليفي اشكول للاردنيين بالبقاء بعيدا عن الحرب . . ثم تقدم فيلق اردني فاستولى على مقر الامم المتحدة في القدس . . وبعد تحذير اسرائيل مرارا للملك حسين ودعوته الى وقف اطلاق النار والانسحاب ، احتلت اسرائيل الضفة الغربية والقدس . . وقامت المدفعية السورية في مرتفعات الجولان خلال الايام الاولى من الحرب بقصف اهداف في شمال اسرائيل . . قررت اسرائيل بعد فراغها من مصر احتلال مرتفعات الجولان على الرغم من الشكوك التي ساورت القيادة السياسية الاسرائيلية .

في شهر حزيران ١٩٦٧ كان مائير اميت قادرا على اعطاء قادة سلاح الجو الاسرائيلي الوقت المحدد بالضبط لليوم الذي سوف يوجهون فيه ضربة جوية قاضية ضد القواعد الجوية المصرية . . محللوا الموساد انتجوا خرائط عن الحياة في كافة القواعد الجوية المصرية بين الساعة السابعة والنصف والسابعة وخمس واربعين دقيقة صباح يوم الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ كانت وحدات الرادارات في حالاتها الاكثر ضعفا . . في تلك الدقائق الخمس عشرة في تلك الليلة كان الموظفون متعبون بعد ورديتهم الطويلة بينما لم تكن بدائلهم التالية قد استنفرت بالكامل وكانت متأخرة غالبا في الاستلام بسبب الخدمات البطيئة في قاعة المطعم . . . وجبة الافطار بين السابعة والربع والسابعة وخمس واربعين دقيقة صباحا بعدها يسيرون عادة الى عنابرهم ليجمعوا معدات طيرانهم . . . الرحلة تأخذهم عشر دقائق . معظم الطيارين يقضون عدة دقائق اكثر في التواليت قبل الذهاب الى خطوط الطيران . . . وصلوا الساعة الثامنة صباحا بداية اليوم الرسمي وعندها تبدأ الطواقم الارضية بدحرجة الطائرات من العنابر لتتزود بالوقود والسلاح للدقائق الخمس عشرة التالية تكون الطائرات قد احيطت بشاحنات الوقود وشاحنات الذخيرة .

تفاصيل مشابهة لرحلة العودة كانت قد اعدت لحركة ضاط الصف في قيادة القاهرة . . الضابط المصري يحتاج الى ٣٠ دقيقة ليصل الى العمل من بيته في احدى الضواحي . . . المخططون الاستراتيجيون لا يكونون غالبا على مكاتبهم قبل لثامنة والربع صباحا . . عادة يقضون عشر دقائق يجلسون لاحتساء القهوة وفي تبادل الاحاديث مع زملائهم . . . ضابط الصف العادي لا يبدأ بشكل صحيح في دراسة الاشارات الليلية من قواعد المقاتلات حتى

الساعة الثامنة والنصف صباحا . تقريبا مائير اميت مدير عام الموساد اعلم قائد سلاح الجو الاسرائيلي ان الوقت الذي يجب ان تنطلق فيه الطائرات وتكون فوق اهدافها من الساعة الثامنة الى الثامنة والنصف صباحا . . في هذه الدقائق الثلاثين سوف يكون بالامكان طحن قواعد العدو مع العلم بأن قيادة القاهرة العليا سوف تكون بدون موظفيها الرئيسيين لتقوم بتوجيه القتال الدفاعي .

في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ضرب سلاح الجو الاسرائيلي الساعة الثامنة ودقيقة واحدة صباحا بالضبط بأثر قاتل متسللا على انخفاض ليقصف ويعاقب بشكل جيد وخلال لحظات تحولت السماء الى اللون الاسود والاحمر بتصاعد اللهب من شاحنات الوقود وانفجارات الذخائر والطائرات وتم حسم الحرب لصالح اسرائيل خلال الدقائق الثلاثين الاولى .

وتجدر الاشارة هنا الى ان المخابرات العربية كانت تركز اهتمامها على حماية النظام من ابناء الشعب العربي دون الالفتات الى الاختراقات الاسرائيلية لقيادتها فكان جل اهتمام مخابراتنا في البلاد العربية التركيز على حماية النظام بالتركيز على الرئيس او الملك وملاحقة من تحوم حولهم الشبهات بالاعتداء على النظام او العسكريين الذين يمكن ان يخططوا لانقلابات عسكرية ضد النظام . . لهذا تركت الابواب مشرعة امام الاستخبارات الاسرائيلية للعمل بهدوء الامر الذي ادى بالتالي الى اختراق كل المؤسسات العسكرية والمدنية وفي مصر وصل الاختراق الى رئاسة الجمهورية حيث تمكنت اسرائيل من زرع الجاسوس الاسرائيلي الكبير " باروخ نادل " بانتحاله اسما مستعارا كان " انورين التركي ليصل الى وظيفة " المستشار الخاص للرئيس جمال عبد الناصر للشؤون العسكرية في مصر " ويقضي في هذه الوظيفة الحساسة مرافقا للرئيس لمدة احد عشر عاما انتهت صباح يوم الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ وهو الجاسوس الذي اقام حفلا للعسكريين والسياسيين في مصر في تلك الليلة وبعد سكرهم وعربدتهم مع ما وفره لهم من المومسات اوصد عليهم باب الفيلا في حي الزمالك بالقاهرة وغادر مصر تاركا اياهم في سبات عميق الى ان انتهت الحرب او قل الى ان تمت هزيمة الامة العربية واستيلاء اسرائيل على مناطق واسعة من الاراضي العربية الحيوية والتي لا زالت تحتل معظمها حتى اليوم .

حرب عام ١٩٦٧ وتغيير معالم الشرق الاوسط

تحدثنا في الفصول السابقة عن الدور الذي لعبه الموساد الاسرائيلي في توجيه الضربة القاضية لسلاح الجو المصري وبداية حرب عام ١٩٦٧ وفي هذا الفصل اجد من الضروري استعراض الاوضاع الاسرائيلية الداخلية التي سبقت حرب الايام الستة كما يحلو للبعض تسميتها ، وما كان يجرى داخل الكيان الصهيوني من استعدادات ومناقشات ومخاوف واستعراض الاوضاع الاسرائيلية العسكرية والاقتصادية التي سبقت الحرب .

يقول المعلقون السياسيون والمحللون الاسرائيليون ان حرب الايام الستة كانت نتيجة حتمية لذروة الاحداث التي بدأت قبل عدة سنوات قبل عام ١٩٦٧ وبالتحديد من بداية عام ١٩٦٠ حيث ، كما ادعى الاسرائيليون ، ان حركة فتح التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية قد بدأت بمهاجمة اهداف عسكرية ومدنية في اسرائيل وعلى الرغم من انها لم تكن تعتبر الفلسطينيين قوة عدوانية . . فقد نشبت الحرب عام ١٩٦٧ فكانت جولة جديدة من الصراع بين العرب والصهاينة . . . الكثيرون من الفدائيين الفلسطينيين كانوا يتسللون الى داخل اسرائيل من الاراضي السورية مما ادى الى ازدياد الاحتكاكات على حدود الكيان الصهيوني الشمالية . . في السابع من نيسان /ابريل ١٩٦٧ اشتبك الطيران الحربي الاسرائيلي مع تشكيل من القوات الجوية السورية وكان ذلك ردا على التسلل الى اسرائيل من الاراضي السورية كما تدعى اسرائيل مما ادى الى اسقاط ست طائرات سورية ، وصدرت على إثر ذلك تحذيرات وتهديدات لاسرائيل قبل ما يسمى يوم الاستقلال . . وفي شهر ايار /مايو من ذات العام كان الانطباع السائد بأن اسرائيل كانت تقترب من مهاجمة سوريا التي ترتبط مع مصر باتفاق دفاع مشترك . . . في منتصف شهر مايو/ايار قرر المصريون التدخل لصالح سوريا وبدأوا في نشر قواتهم على طول برية سيناء .

الوصف المختصر لهذا التطور عبر عنه رئيس وزراء الكيان الصهيوني آنذاك " ليفي اشكول " في ١٦ ايار/مايو ١٩٦٧ اذ جاء في تقرير له قوله " في ضوء المعلومات والطلبات التي تصل الى مصر من سوريا فيما يخص النوايا الاسرائيلية باتخاذ اجراءات صارمة ضد سوريا وفي ضوء الاعلانات الاسرائيلية والتحذيرات التي تلت ذلك وفي ظل الوضع الصعب الذي وجدت مصر نفسها فيه بعد السابع من نيسان عام ١٩٦٧ ، قررت مصر ان لا تقعد مكتوفة الايدي حيال الاوضاع القائمة . . وفي حكم ليفي اشكول ان مصر كانت تنوي ردع اسرائيل عن اصدار تهديدات ضد سوريا . . وكان التوتر وتأزم المواقف قد امتد الى الجبهتين السورية والاردنية .

الاحداث التي ادت الى الحرب اضافة الى النتائج كانت قد جرى بحثها وتحليلها على نطاق واسع ولكن لكي يدرك المرء لماذا نشبت تلك الحرب فليس من الضروري معرفة خلفياتها الدبلوماسية والعسكرية . . فكل ما يحتاجه المرء هي المعرفة الحقيقيةعن الاسرائيليين انفسهم . . في عام ١٩٦٦ كان الاسرائيليون يتعرضوا الى هزات عاطفية وسياسية ومعنوية عنيفة اذ كان هناك اكثر من ٢ . ٣ مليون يهودي وثلاثمائة الف عربي في البلاد ومع بداية عام ١٩٦٦ بدأ الاسرائيليون يفقدون الثقة بانفسهم وسيطرت عليهم روح الكآبة فكان الشك في كل مكان مما ادى الى حالة يأس قوية بين الاسرائيليين وتردد السؤال على السنة معظمهم : ماذا يفعل الناس ؟ وقد بدا ذلك واضحا من كاتب الاغاني " حاييم هيفر " بقوله : " ليس كل شيء يسير بشكل صحيح وليست هناك نقطة من الحظ السعيد ، كل شيء يدعو الى الكآبة وكل واحد حزين . . الاشياء لا تعمل جيدا ولا احد يعرف لماذا . . ! ! " تلك الفترة عاصرها تدهور اقتصادي مخيف في اسرائيل وهبوط حاد جدا في الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . . اضافة الى الهجرة المعاكسة حيث ترك عشرات الالاف اسرائيل بشكل نهائي . . الثقافة الاشكنازية الاوروبية في اسرائيل كانت مهددة بتدفق اليهود الشرقيين . . المهاجرون من البلاد العربية مما ادى الى توتر اجتماعي مصحوبا بالغضب . . . هذه التطورات عموما ادت الى بروز ازمات عميقة ومؤلمة تتعلق بالهوية اليهودية ويبدو ان وجهة نظر الصهيونية كانت تسير في اتجاهها البعيد عن تلك التطورات . . حيث قال احد زعماء حزب " المباي " الصهيوني " اننا شعب عاطفي " كثيرون استنتجوا بأن المشروع الصهيوني قد فشل كما قالته احدى الصحف العبرية آنذاك .

خلال الاشهر التي سبقت الحرب كان هناك شعور يسود الاسرائيليين . . شعور واسع بأن معظم القيم الاساسية للدولة والتضحيات والوحدة الوطنية قد فقدت معانيها ولم يكن هناك ما يعوضها . . وكان هذا الشعور من اساسيات المعتقدات اليهودية وكان الناس يجادلون كثيرا ولم يكن ذلك الجدل سياسيا بين اليمين واليسار كما هي العادة ولكنه كان غالبا امتحانا سياسيا للحلم الاسرائيلي ذاته . . . كثيرون شعروا ان المجتمع الاسرائيلية كان يتفتت تدريجيا . . الازمة التي سبقت حرب الايام الستة جعلت الاسرائيليين مستسلمين تماما لمصيرهم المنتظر وفي هذا قال وزير الزراعة الاسرائيلي " حاييم جفاتي " في مذكراته انه يشعر بأن اسرائيل كانت على وشك الاختبار الصعب كما لم تكن منذ حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ " كل واحد يفهم ان هذه معركة للموت " وفي مكتب رئيس الوزراء سمع " حاييم جفاتي " ان الاتحاد السوفياتي فيما يبدو قرر ان يذهب الى نهاية الطريق وانه لم

يعد مترددا في تدمير اسرائيل " ولكن لم يكن هناك اي اساس لتقرير كهذا في الحقيقة . . . اسرائيل لم تترك الاشاعات تمر دون ملاحظة . . . الجنود العائدون الى منازلهم في عطلة نهاية الاسبوع تحدثوا عن تدهور المعنويات في الجيش . . وقالوا بأن هناك شائعات بأن اسرائيل غير مستعدة للحرب ولا توجد ثقة بأنهم قادرون على خوض حرب مع عدوهم . . وقد كتب الوزير " حاييم جفاتي " بأن الخوف ليس له قاعدة في الحقيقة ولكن يبدو ان الحرب اصبحت حتمية . وبما ان جفاتي شارك في اجتماع مجلس وزراء اسرائيل حيث قاطع رئيس اركان الجيش الاسرائيلي المجتمعين " اسحق رابين " قائلا : ان الطائرات المصرية الاربعة السوفياتية الصنع قد اخترقت المجال الجوي الاسرائيلي وتمكنت طائرتان منها فيما يبدو تصوير مفاعل ديمونة النووي " الاستعدادات للحرب ذكرت الكثيرون من الاسرائيليين بالمحرقة النازية " فكيف يكون ذلك ؟ " طرحت هذا السؤال امرأة يهودية في رسالة منها الى زميل دراسة لها سابق يعيش في مدينة لوس انجيلوس الامريكية . . واعادت الى الاذهان انه لم تمض خمس وعشرون سنة على الحرب العالمية الثانية وان المسألة تحدث مرة ثانية ؟ وفي رسالة الى الرئيس الامريكي " ليندن جونسون " كتب افرايم إيفرون " الدبلوماسي الاسرائيلي في واشنطن الذي جاء الى البيت الابيض يطلب دعم الولايات المتحدة لكيانه والدموع تسيل على وجنتيه (طبعا كانت دموع التماسيح) عند نشوب الحرب قضى الوزير " حاييم جفاتي " الساعات الاولى في ملجأ مع جيرانه وفي اليوم التالي كان كل شيء قد انتهى . . فهو يقول في هذا " كان اعظم يوم في حياتنا وربما كان اعظم يوم في تاريخ الشعب اليهودي . . معظم الاسرائيليين اعتقدوا ان جيش الدفاع الاسرائيلي قد انقذهم من الدمار . . كثيرون وصفوا النصر على العرب بأنه " المعجزة الالهية " وكأنهم قفزوا من الجحيم وانهم ولدوا من جديد في قمة الخلاص . . . كتبت صحيفة يديعوت احرنوت في افتتاحيتها " لقد كانت يدّ الله مع شعبه اسرائيل . . ان مشاعر يوم القيامة قد انتفت وكان التاريخ يبدأ مرة اخرى " قبل بضعة اشهر من الحرب كان موسى دايان وزير الدفاع الاسرائيلي في زيارة لفيتنام وعند عودته من الزيارة قال " الامريكيون يكسبون كل شيء في فيتنام – ما عدا الحرب " فليس بعيدا بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ كان يمكن ان يقال العكس عن الاسرائيليين . . انجازاتهم الوحيدة كانت بطبيعة الحال كسب الحرب لا شيء تم اكتسابه باحتلال المناطق التي سقطت بايدي الاسرائيليين في الحرب والتي انزلقت بعيدا بسبب الخوف الذي نجم عن سكرات النصر . عواطف الاسرائيليين قادتهم الى العمل ضد مصالحهم ، نوع من السلوك ضد المصلحة الوطنية يرجع الفضل فيه غالبا للعرب مما دفع السفير البريطاني بأن يكتب باعجاب كبير الى رؤساءه في لندن " الشيء

الحسن انه كيف يستطيع الاسرائيليون ان يتصرفوا بطريقة افضل كثيرا من العرب " لم يكن هناك في الحقيقة اي تبرير للخوف الذي سيطر على الاسرائيليين قبل الحرب ولا من اجل الشعور بالنشوة التي سادت بعد الحرب والتي تجعل قصة اسرائيل في عام ١٩٦٧ صعبة الفهم .

لقد بدأت مرحلة الركود الاقتصادي الاولى في اسرائيل مع بداية عام ١٩٦٤ وفي عام ١٩٦٦ وصل الاقتصاد الاسرائيلي الى اقصى درجاته ركودا حيث عكس الوضع الاقتصادي في انتقاليته من مرحلة المتطلبات الملحة الى مرحلة الشلل خصوصا في مجال البطالة ولم يكن هذا التحول قد جاء مفاجئا حيث كانت جذوره تنمو عميقة قبل العام ١٩٦٤ ولكن الحملة الانتخابية كانت قد اخفته نوعا قبل الانتخابات . . كان الاف الاسرائيليين يحصلون على ترقيات في وظائفهم ومرتباتهم الشهرية والتي كان معظمها يتآكل في موجة ارتفاع الاسعار المحمومة التي واجهتها البلاد بعد ذلك مباشرة . . لقد كان معدل انفاق العائلة حوالي ٧٣٥ ليرة اسرائيلية شهريا وفي عام ١٩٦٦ ارتفع معدل الانفاق الشهري للعائلة اليهودية الى ٨٢٠ ليرة اسرائيلية .

لهذه الاسباب كان لا بد من الدخول في حرب مع العرب تكون نتائجها توسعية بقدر المستطاع من اجل انفراج الازمات الاقتصادية الحادة التي تواجهها اسرائيل . . فكانت حرب الايام الستة وكانت الهزيمة العربية الثانية في الصراع القائم بين العرب واليهود في فلسطين . . وعلق الكثير من المحللين لاسياسيين الغربيين بأن تلك الحرب قد غيرت وجه الشرق الاوسط . . ونحن مع هذا الرأي بغض النظر عن التسميات التي اطلقها العرب على تلك الحرب (النكسة – الجولة الثانية في الحرب العربية الاسرائيلية – الكبوة – . . . . الى آخر هذه المسميات) ولكن علينا ان نعترف بأنها كانت هزيمة عربية نكراء بكل المقاييس، لا زلنا حتى كتابة هذه السطور نعاني من آثارها وفواجعها . . وفعلا لو لم تكن تلك الحرب لما سقط العراق العربي في ايادي الامريكيين والصهاينة ! ! ولولم تكن تلك الحرب اللعينة لما انجر الفلسطينيون لتوقيع اتفاقات اوسلوا التعيسة . . ولو لم تكن تك الحرب لكان العالم العربي في اوضاع افضل من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . . . ولما كانت حوصرت غزة وجوع شعبها الفلسطيني . . . ولما كانت سوريا تتعرض الى مؤامرة كبرى . . ولكن كانت تلك الحرب قد غرست بذور الوعي عند ابناء الامة العربية . . علينا ان لا نقلد النعام في سلوكنا السياسي ازاء تلك الهزيمة الكبرى ، اذ ان من واجبنا ان نبين وندون في سجلات التاريخ ما اصابنا من ويلات وكوارث لتطلع عليها الاجيال القادمة من امتنا . . فهل يجوز ان نستمر في الكذب والخداع على اجيالنا في تسجيل هزائمنا العسكرية والنفسية على انها انتصارات كما

حدث في حرب عام ١٩٦٧ ؟ علينا ان نعترف بهزائمنا وان نعترف بتقصيرنا في فهم خبث ومكر عدونا باعتباره عدوا فريدا في نوعه تقوم حياته على الفساد في الارض والدسائس والمؤامرات .

في نهاية الحرب اصدرت الامم المتحدة القرار ٢٤٢ ودعت الى مفاوضات سلام دائم بين الطرفين والى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ الا ان اسرائيل لم تستجب لهذا القرار ورفضت الانسحاب من الاراضي العربية حيث كانت اهدافها من الحرب حل ازماتها الاقتصادية بالتوسع في البلاد العربية .

بعد الهزيمة العربية عام ١٩٦٧ بدأت الجماعات المتدينة في اسرائيل بالتحريض على ضم الضفة الغربية ومرتفاعات الجولان واستيطانها . . غير ان عددا من الوزراء الاسرائيليين من بينهم بنحاس ولكمان اران إضافة الى حزب العمل وياكوف شمشون شابيرا من الحزب الوطني الديني ابدوا مخاوفهم إزاء المشكلات الديموغرافية التي من شأنها ان تنشأ بسبب ضم هؤلاء العرب واشار شابيرا ايضا الى ان ضم الضفة الغربية يعطي مصداقية للمزاعم القائلة بأن اسرائيل ليست الا مشروعا استعماريا . . وكان مناحيم بيغن وايغال الون يؤيدان عدم الضم . . واقترح موشيه ديان منح حكم ذاتي لعرب الضفة لكن مناحيم بيغن عارض هذه الخطة رغم انه مال اليها في وقت لاحق . . . كان بيغن يرى ان من الممكن استقدام اعداد كبيرة من اليهود الى اسرائيل للاستيطان في المناطق مع منح العرب حق الاختيار بين الرحيل او ان يكونوا مواطنين في دولة اسرائيل .

اما الموساد الاسرائيلي فقد اقترح اقامة دولة فلسطينية تحت الحماية الاسرائيلية وذلك ورد في تقرير مؤرخ في ١٤ حزيران ١٩٦٧ لكن هذا الاقتراح لم يلق قبولا وتقول بعض المصادر ان موشيه ديان استقبل في صيف ١٩٦٧ وفدا من الاعيان الفلسطينيين واقترح عليهم حكما ذاتيا في الضفة الغربية ولكن الوفد رفض هذا الاقتراح . . وبحلول شهر تموز عام ١٩٦٧ طرح ايغال الون خطته المعروفة باسم " خطة ألون " التي دعت الى احتفاظ اسرائيل باجزاء كبيرة من الضفة الغربية في اي تسوية سلمية وذلك لاسباب استراتيجية لاسرائيل . . فجرى بناء عدد متزايد من المستوطنات مع اتضاح ان الدول العربية لن تقدم على مفاوضة مع اسرائيل . . ثم جاءت قمة الخرطوم في آب وأيلول عام ١٩٦٧ فكانت نقطة انعطاف حاسمة اذ بدا انها تغلق الباب امام اسرائيل لاحتمال اي تفاوض او الاعتراف بها بأي شكل من الاشكال . . لكن لعل قرارات قمة الخرطوم ما كانت عقبة كأداء في الوصول الى السلام ففي عام ١٩٧٠ قيل ان الملك حسين عرض السلام مقابل انسحاب اسرائيلي من الضفة الغربية وعودة الاماكن المقدسة غير ان اسرائيل رفضت هذا الاقتراح رفضا قاطعا .

منذ ان جاء حزب الليكود المعارض للحكم في اسرائيل عام ١٩٧٧ الا واصبح توسيع المستوطنات سياسة رسمية اسرائيلية وظل الليكود في الحكم الى ان ابرم اتفاقيات اوسلو وبجلول عام ٢٠٠٣ بلغ عدد الاسرائيليين المستوطنين في الضفة الغربية وغزة ٢٢٠.٠٠٠ مستوطن إضافة الى ٢٠٠.٠٠٠ استوطنوا في منطقة القدس ومحيطها الذي احتلته اسرائيل عام ١٩٦٧ كما ان ١٥٠٠٠ مستوطن يهودي سكنوا في مرتفعات الجولان السورية التي استولت عليها اسرائيل من سورية .

حرب الاستنزاف

بعد حرب الأيام الستة شن الرئيس المصري جمال عبد الناصر حرب استنزاف في منطقة قناة السويس . . . وفي اسرائيل توفي رئيس الوزراء ليفي اشكول وحلت محله المتشددة غولدا مائير . . . جرت حرب في مواقع ثابتة بين الجانبين راحت تزداد دموية وتحت ضغط الولايات المتحدة جرى توقيع اتفاق ثاني لوقف اطلاق النار في آب ١٩٧٠ . . اعلن فيه الجانبان رسميا قبولهما قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ . . وتوفي جمال عبد الناصر في نهاية سبتمبر من العام ١٩٧٠ وحل محلة الرئيس محمد انور السادات الذي واصل التقلب بين عرض خطط السلام والتهديد بالحرب واعلن بأن يكون عام ١٩٧٢ عام الحسم . . وكانت اسرائيل على قناعة بتفوقها العسكري ولم تفكر بأن مصر سوف تقوم بمهاجمتها الا بعد ان تعيد بناء جيشها . . . من هنا بدأ السبيل الافضل وهو الانتظار ريثما تقبل الدول العربية الشروط الاسرائيلية .

حرب اكتوبر (حرب يوم الغفران بالتسمية الاسرائيلية)

في تشرين الاول عام ١٩٧٣ شنت مصر وسورية حربا جديدة على اسرائيل . . . اجتاز المصريون قناة السويس بعيد ظهر يوم السادس من تشرين الاول (يوم الغفران) وهو اقدس ايام السنة لدى اليهود . . . وكانت الحكومة الاسرائيلية قد تجاهلت انذارات استخباراتية متكررة لأنها كانت مقتنعة بأن اسلحة اسرائيل تمثل رادعا كافيا في وجه اي مهاجم . . لقد اعلن السادات مرتين عن نيته لتوجيه ضربة لاسرائيل من قبل اعتزامة شن الحرب ، لكن شيئا لم يحدث .

فوجيء الاسرائيليون من اكثر من ناحية واحدة . . تدفق اعداد كبيرة من القوات لمصرية عبر قناة السويس دون مقاومة وبدأت في اقامة رأس جسر لها . . وكان الجيش الاسرائيلي قد اهمل مهام التدريب والصيانه الرئيسية اعتمادا على ضعف الجيوش العربية والمصرية بالذات وتبين لاسرائيل عنما قامت بحشد قواتها ان نقصا في المعدات وان جاهزية سلاح الدبابات منخفضة . . . اما سلسلة المخافر المبنية لتكون مراصد على امتداد قناة السويس (خط بارليف) استخدمت بدلا من ذلك لتكون تحصينات تمنع تقدم المصريين الى اطول وقت ممكن . . كانت اسرائيل تراهن بل تعتمد على تفوق سلاحها الجوي لجعل الموازين في ساحات القتال تميل الى صالحها لكن سلاح الجو الاسرائيلي غدا عديم الجدوى بسبب فعالية صواريخ سام الروسية .

في هذه الاثناء تركت اسرائيل اقل من ٢٠٠ دبابة لحراسة مرتفعات الجولان في مواجهة قوات سورية وحولت دباباتها من الجولان الى المعركة في جنوب البلاد وسيناء . . اما عبور المصريين قناة السويس ادى ايضا الى استعادة قطاعا من شبة جزيرة سيناء . . وتمكنت سوريا من الاستيلاء على جزء من الجولان الا ان اسرائيل تمكنت من استرجاعه فيما بعد . . وفي جبهة القناة تمكن الجيش الاسرائيلي من محاصرة الجيش الثالث المصري في قناة السويس (الدفرسوار) خسرت فيها اسرائيل كما تدعي ٢٧٠٠ جندي اسرائيلي وهو العدد الاكبر في اي حرب خاضتها مع العرب . . . كما ادت نتائج الحرب الى استقالة غولدا مائير من رئاسة الوزراء مفسحة الطريق ا مام اسحق رابين الذي كان سفير اسرائيل الى الولايات المتحدة الامريكية وكان قبل ذلك رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلي .

في اعقاب حرب عام ١٩٦٧ " . . اعلنت الدول العربية و بقيادة المملكة العربية السعودية حظرا على امدادات النفط الى الولايات المتحدة وهولندا خاصة بسبب دعمهما لإسرائيل في عدوانها عام ١٩٦٧ والى تخفيض انتاج النفط بنحو ٣ مليون برميل يوميا ، الامر الذي ادى الى ارتفاع اسعار النفط من ٣ دولارات للبرميل الى ١١ دولار بسبب الاندفاع الى تخزين النفط اضافة الى النقص الفعلي . . . وكان النفط المباع الى البلدان الاوروبية يأخذ طريقه في النهاية الى الولايات المتحدة وهولندا ، لكن خطوط الامدادات صارت طويلة وصارت الاسعار تزداد من يوم لآخر . ولعل هذا خلق حافزا كما يقول المراقبون السياسيون للتحركات الدبلوماسية الاوروبية التي سعت لاسترضاء العرب ولعل ذلك كان سببا في دعوة ياسر عرفات الى مخاطبة الجمعية العامة للأمم المتحدة ومنح منظمة التحرير الفلسطينية مقعدا دائما بصفة مراقب في الامم المتحدة الى اتخاذ قرار بأن " الصهيونية شكل من اشكال

العنصرية في عام ١٩٧٥ " والحقيقة ان ارتفاع اسعار النفط كانت لاسباب اخرى بعيدة كل البعد عن الحظر والحرب لا زالت اسرارها غامضة حتى الان غير ان هناك اعتقادا بأن الاحتكارات النفطية الامريكية قامت بارسال وفود الى الدول النفطية بدأت بزيارة نيجيريا باعتبار نيجيريا تصدر الخام الخفيف والذي يسمى بالانكليزية Light crude Oil وهو نوع النفط الذي يحدد في ضوء سعره اسعار الانواع الاخرى من النفط الخام . . تماما مثل الذهب الذي تتحدد اسعار العملات العالمية في ضوء اسعاره . . . وكانت نيجيريا مدانة للبنوك العالمية بحوالي ٥٠ مليون دولار في ذلك الوقت وغير قادرة على تسديد فوائد ذلك الدين . . اقترح الوفد على الرئيس النيجيري اعفاء بلاده من الدين البالغ ٥٠ مليونا واعطائه ٥٠ مليونا اضافية بشرط ان يرفع سعر النفط الخفيف الى رقم خيالي بالمقارنة مع الاسعار التي كانت سائدة . . فوافقت نيجيريا على ذلك الاقتراح . . وبالمثل واصل الوفد زياراته للدول النفطية العربية ووقعوا اتفاقات سرية معها لرفع اسعار النفط . . وافقت معظم الدول العربية على العرض الاحتكارات لنفطية العالمية كما وقعوا اتفاقيات حول المبالغ الضخمة التي ستترتب عن الارتفاعات والتي ستؤول للدول النفطية نتيجة الارتفاع الحاد بالاسعار . . على ان تودع تلك الاموال في البنوك العالمية مقابل شهادات ايداع لمد ٣٠ عاما ويسمح للدول النفطية بموجب تلك الاتفاقيات سحب الفوائد فقط وهي كافية للانفاق على مشاريع الدول النفطية بل تزيد عن احتياجاتها .

وكانت الخطة الصهيونية تقضي بأن تودع الاموال في البنوك العالمية التي تملكها المنظمة الصهيونية لمدة ثلاثين عاما دون السحب منها . . وان تقوم البنوك العالمية بتأسيس بنوك محلية تسمى Holding Banks تستثمر الاموال النفطية فيها مع ترتيب منح قروض لدول العالم الثالث بتسهيلات كبيرة مع الايحاء لتلك الدول بأن تنفق تلك الاموال في مشاريع لا فائدة منها والصرف على رؤساء تلك الدول واحتفالاتهم واعيادهم الشخصية ومد طرق محلية لا يستفاد منها . . وعند الاقتراب من الثلاثين عاما المتفق عليها يعمل الاعلام الصهيوني على الضرب على وتر " ديون العالم الثالث " وعدم قدرة تلك الدول على تسديد الفوائد فكيف لها ان تسدد المبالغ الرئيسية المدانة بها . . وهنا برزت مشكلة مايسمى ديون العالم الثالث . . وكان مخططا ان تبدأ تلك البنوك المحلية (الهولدنغ بانكس) باعلان افلاسها واعلان الافلاس في امريكا يحل البنك من التزاماته وليس هناك قانون جزاء للافلاس ولا عقوبات على الجهة المعلن افلاسها في الولايات المتحدة الامريكية . وفي هذه الحالة تقول البنوك العالمية للعرب . .

لقد استثمرنا اموالكم في بنوك محلية وقد افلست هذه البنوك ولا نستطيع عمل اي شيء لكم . . وباي باي حبيابينا ايها العرب

تنبه الى هذه المؤامرة المغفور له جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية بعد ان كان من ضمن الموقعين على تلك الاتفاقيات الخبيثة . . . وقد نبهه صديق له انكليزي يدعى "جونثان ماي" وكان من اكبر خبراء المال في العالم . . تحادث مع الملك فيصل وابلغه ان بلاده وقعت في مصيدة صهيونية كبرى . . فاستدعاه الملك فيصل الى الرياض للتباحث معه في ايجاد مخرج من المأزق . . وتم الاتفاق فيما بينهما على تأسيس بنك فدرالي عربي يصدر عملة خليجية موحدة يباع النفط بتلك العملة . . فأوكل الملك فيصل الى جونثان ماي هذه المهمة وطلب منه الاسراع في تأسيس البنك والعملة الخليجية . . . وعند عودة جونثان ماي الى بريطانيا لاحقته الحركة الصهيونية لتصفيته جسديا الا انه فر من هناك الى الولايات المتحدة الامريكية فوجد في انتظارة في مطار نيويورك من يقتاده الى زنزانته في سجن منسوتا دون توجيه تهمة له . . وبقى في السجن مع حرمانه من الاتصال مع العالم خارج السجن ولا يعرف مصيره حتى اليوم . . . وفي الناحية الثانية تم تصفية صاحب فكرة العملة الخليجية الموحدة وبيع النفط بها . . تمت تصفيته على ايادي احد افراد عائلته واشاعوا انه قتل لأنه قال سوف اصلي في القدس . . وهذه مسألة بعيدة كل البعد عن الحقيقة التي ظلت غامضة حول مقتله كما ان بعض الامراء في منطقة الخليج قد شارك في التآمر على تصفية الملك فيصل رحمه الله .

السلام مع مصر

أثمرت الدلوماسية المكوكية التي اعتمدها وزير الخارجية الامريكي (عرّاب الصهيونية) هنري كيسنجر بعد ذلك انسحابات اسرائيلية جزئية من سيناء بموجب شروط اقل من تلك التي كان الحصول عليها ممكنا قبل الحرب . . . وكان زعيم المعارضة في اسرائيل " مناحيم بيغن " مصرا على معارضته اي شكل من اشكال الانسحاب . . لكن مصر بزعامة انور السادات واسرائيل بزعامة مناحيم بيغن وقعتا عام ١٩٧٨ على اتفاقيات كامب ديفيد التي كانت إطارا الى معاهدة السلام عام ١٩٧٩ . . ثم انسحبت اسرائيل من شبة جزيرة سيناء عام ١٩٨٢ وفق شروط املتها اسرائيل على مصر واهمها تزويد اسرائيل بالغاز الطبيعي باسعار متدنية وان تكون سيناء منطقة منزوعة السلاح . .

المؤثرات التي طرأت على النزاع الإسرائيلي الفلسطيني

في اعقاب حرب الخليج نشط الضغط الامريكي المتواصل وتفكك الاتحاد السوفياتي والميول في الرأي العام العالمي ادت هذه العوامل الى الدعوة الى المفاوضات الرامية الى تسوية للقضية الفلسطينية المزمنة وفي الاعوام ١٩٩٣ و ١٩٩٥ وقعت منظمة التحرير الفسطينية مع اسرائيل اعلان اوسلو للمباديء واتفاقية اوسلو المرحلية . . مما ادي الى السماح بإقامة سلطة فلسطينية يفترض ان تكون كيانا مؤقتا يملك صلاحية التفاوض مع اسرائيل وحكم المناطق التي قد تنسحب منها اسرائيل في كل من الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة .

هذه الاتفاقيات التي وقعت بين ياسر عرفات واسرائيل والتي عرفت باتفاقات اوسلو ادت الى سماح اسرائيل بدخول ياسر عرفات واعضاء من حركته الفتحاوية الى فلسطين واقام عرفات في غزة كما ادت الي ايجاد شرخ في الوضع الفلسطيني حيث ان حركة فتح وهي التي تسيطر على منظمة التحرير انفردت في التوقيع على اتفاقية اوسلو مما جعل الفصائل الفلسطينية الاخرى التي تشكل منظمة التحرير الفلسطينية لا تقبل بتلك لاتفاقية الاسرائيلية الفتحاوية . . . وكانت اسرائيل تهدف من توقيع تلك الاتفاقية الى وقف اعمال العنف في الاراضي المحتلة خصوصا الانتفاضة الفلسطينية التي لم تكن قادرة على وقفها وقد رأت بأن حركة فتح تستطيع وقف الانتفاضة الفلسطينية وان تمنع اعمال العنف ضد اسرائيل . استطاعت حركة فتح فعلا ان توقف الانتفاضة الفلسطينية غير انها لم تتمكن من وقف اعمال العنف ضد الاحتلال . . برغم ان قوات الاحتلال قامت بانسحابات جزئية من داخل المدن الفلسطينية وبقيت تحاصر تلك المدن من خارجها . . . اما المساحة التي بقيت تحت ادارة حركة فتح فقد كانت حوالي ٨% من الارض الفلسطينية . . استمرت اعمال العنف ضد الاحتلال الاسرائيلي برغم ما فعله عرفات وحركته للسيطرة على الموقف ووقف تلك الاعمال بموجب الاتفاقية الموقعة بينه وبين اسرائيل . . . وكان عرفات قد لجأ الى اسلوب الخطابة الشعبية في الفلسطينيين على غرار خطابات الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر ظنا منه ان ذلك الاسلوب يجعل الجماهير الفلسطينية تلتف حوله فقد بدأ في تقليد شخصية عبد الناصر وحتى اسلوبه في الخطابة العشوائية الخالية من المنطق ومن قواعد اللغة العربية . . . وقد فاته ان خطابات الرئيس عبد الناصر الملهبة جاءت في وقت كانت الشعوب العربية تتطلع فيه الى مخلص يخلصها من الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية عام ١٩٤٨ في فلسطين . . فعبد الناصر الذي جاء نتيجة انقلاب عسكري في مصر والغى الملكية واعلن مصر جمهورية جعله رمزا سياسيا ليس للشعب العربي في مصر فحسب بل لكافة الشعوب

العربية وبقي يتربع على هذا العرش دون منازع الى عام ١٩٦٧ حيث حلت الهزيمة الكبرى بالامة العربية ولم يعد عبد الناصر ذلك الرمز المقدس لدي الكثيرين في مصر وفي البلدان العربية الاخرى . . . لهذا لم يعد اسلوب الخطابة الشعبية ملفتا للانظار كما كان في الفترة التي سبقت عام ١٩٦٧ ولم يتمكن عرفات من تقمص شخصية عبد الناصر على الاطلاق برغم محاولاته الجادة . . .لهذا استمرت اعمال المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي واصبح الشعب الفلسطيني يقاتل على جبهتين الجبهة الاسرائيلية ويقاوم السياسة القمعية والتعسفية التي استعملتها السلطة الفلسطينية ضد الشعب الفلسطيني في الداخل . . وقد بلغت اجراءات السلطة الى درجة ان السجون الفلسطينية امتلأت بالشباب . . . وفي منطقة غزة اشتد الخلاف بين السلطة الفلسطينية وبين فصائل المقاومة وفي مقدمها حركة حماس الاسلامية ادت بالتالي الى ياسر عرفات ترك غزة والاقامة في مبنى مقاطعة رام الله . .وبعدها فرضت اسرائيل على عرفات الاقامة الجبرية في مبنى المقاطعة في رام الله وكانت طريقة لم يسبق ان استعملت من قبل مما جعل الكثير من الفلسطنيين يعتقدون ان الرئيس عرفات رهن الاعتقال الاسرائيلي . . وبقي عرفات عبئا على اسرائيل الى ان تخلصت منه بدس السم له في الطعام وانتهت اسطورة عرفات . . . واستبدل بشخصية كان واحدا من مهندسي اتفاقية اوسلوا اللعينة وهو محمود عباس . . . رئيس السلطة الفلسطينية المنتهية ولايته منذ زمن بعيد ولكنه لا زال متمسكا بالكرسي وتقوم اسرائيل بحمايته وحماية سلطته من الشعب الفلسطيني في الداخل .

بتاريخ ٥ تشرين الثاني عام ١٩٩٥ اغتيل رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحاق رابين على يد متعصب يهودي اسمه إيغال عامير وذلك اثناء مسيرة تدعو الى السلام . . ولما وجهت المحكمة سؤالا لعامير لماذا قام باغتيال رئيس الورزاء الاسرائيلي اجاب بكل صراحة ان "رابين " كان يدعو للسلام مع العرب وانه ينوي اعادة القدس الشرقية للفلسطينيين واعادة مرتفاعات الجولان السورية الى السوريين وهذا يعني انه يعجل في حدوث حرب "الارمغادون" الوارد ذكرها في التوراة وتهزم فيها اسرائيل " واضاف قمت بقتل رابين من اجل تأخير وقوع تلك الحرب اللعينة وتأجيل هزيمة اسرائيل . . .حل محل اسحق رابين شمعون بيريز الذي اشرف على توقيع اتفاقية اوسلو غير ان تزايد التفجيرات الاستشهادية التي قامت بها حركة حماس داخل الخط الاخضر ادى بالتالي الى خسارة حكومة العمل برئاسة شمعون بيريز في الانخابات في ايار ١٩٩٦ وتولى بنيامين نتنياهو من حزب الليكود رئاسة الوزارة الاسرئيلية الذي كان من اشد معارضي اوسلو . . وفور توليه السلطة في اسرائيل قام نتنياهو بمحاولة اتمام مشروع

سماه مشروعا سياحيا تحت الارض في القدس الامر الذي اثار جدلا واسعا وكان المشروع الاسرائيلي عبارة عن فتح بوابة تصل بين نفقين ، وكان الهدف من ذلك ان هذه البوابة تعرض اساسات المسجد الاقصى للخطر وهذا ما سبب عنفا استمر عدة ايام وكانت حصيلته اصابات كثيرة بين الفلسطينيين . . . وبرغم معارضة نتنياهو لعملية اوسلو وقعت اسرائيل مع السلطة الفلسطينية في كانون الثاني ١٩٩٧ اتفاقية انتقالية بشأن مدينة الخليل . . انسحب بموجبها الجيش الاسرائيلي من بعض اجزاء مدينة الخليل وبقي خارج المدينة يحيط بها من كل جانب كما بقي في جزء من المدينة يضم حوالي ٥٠٠ مستوطن يهودي يعيشون وسط المدينة الفلسطينية تحت الحماية الاسرائيلية . . . ثم نتجت عن مفاوضات " واي ريفر " في تشرين الاول ١٩٩٨ اتفاقيات نصت على مزيد من الانسحابات الاسرائيلية الى جانب تجديد الالتزام الفلسطيني بمنع ما تسميه اسرائيل وحركة فتح الارهاب الفلسطيني ولكن احكام هذه الاتفاقيات لم تطبق من قبل اسرائيل حيث ان حركة فتح لم تتمكن من منع المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي كما ان قوات الاحتلال لم تنسحب من المناطق التي نصت عنها تلك الاتفاقيات . . اي انها كانت اتفاقات حبر على ورق . . في أيار ١٩٩٩ خسر نتنياهو الانتخابات فغادر منصبه وتولى رئاسة الوزراء رئيس حزب العمل "إيهود باراك " . . . وواصل باراك برامج الاستيطان لكنه تعهد بمواصلة المفاوضات السلمية بنشاط . . حاول باراك في البداية تجديد المفاوضات مع سورية ، لكن الرئيس السوري حافظ الاسد رفض عرض قدم اليه من خلال الرئيس الامريكي كلينتون ، وكان من شأن هذا العرض ان تتنازل اسرائيل عن جزء من مرتفعات الجولان بدون اي منفذ على بحيرة طبريا . تحول بعد ذلك اهتمام باراك بالفلسطينيين واعلن انه سوف ينفذ احكام اتفاقات واي ريفر بسحب القوات الاسرائيلية العسكرية المنصوص عنها في الاتفاقية وبدأت المفاوضات حول ما يسمى التسوية النهائية . . . عرضت اسرائيل اعادة قرية ابو ديس وهي احدى ضواحي مدينة القدس لتكون عاصمة فلسطينية، غير ان الحكومة الاسرائيلية عادت وسحبت هذا العرض نظرا لاندلاع الانتفاضة الثانية (انتفاضة الاقصى) عام ٢٠٠٠ انتهت مفاوضات الحل النهائي في كامب ديفيد بالولايات المتحدة الامريكية الى حالة استعصاء في تموز ٢٠٠٠ حيث اصر الفلسطينيون على حق اللاجئين في العودة الى اسرائيل . . واعتبرت اسرائيل ان هذا من شأنه ايجاد اغلبية عربية فيها . . فاصروا على ضم اجزاء رئيسية من المناطق الفلسطينية وعلى الابقاء على القسم الأكبر من المستوطنات . . ولم يعرضوا الا صيغة محدودة للدولة الفلسطينية . . . واعتبر الفلسطينيون ان العروض التي تم تقديمها في كامب ديفيد لا تتضمن الاكانتونات او مناطق عزل (غيتو)

تتشكل منها الدولة الفلسطينية . . ولكن دينس روس المبعوث الامريكي للسلام قدم في كتابه " السلام المفقود " الصادر عام ٢٠٠٤ خريطة يفترض انها تعكس الاقتراح التوفيقي الذي طرحه الامريكيون في كامب ديفيد .

انطلقت شرارة العنف في ٢٨ ايلول ٢٠٠٠ على اثر زيارة اريبل شارون الى جبل الهيكل في القدس ودخولة الى الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى متحديا ارادة الشعب الفلسطيني . . وهذا الموقع هو اسمه " الحرم الشريف في اللغة العربية ويضم المسجد الاقصى المقدس عند المسلمين وكان دخول شارون الى هذا الموقع الفلسطيني المقدس اسهم في اذكاء لهيب الاضطرابات . . وعلى اثرها دعت الولايات المتحدة الى مؤتمر قمة في شرم الشيخ في شهر تشرين الاول من اجل انهاء حالة العنف التي سادت البلاد . . . بات الوقت ضيقا امام المفاوضات مع مواجهة رئيس الوزراء الاسرائيلي إيهود باراك انتخابات وشيكة في اسرائيل ومع اتمام الرئيس الامريكي فترة ولايته الرئاسية وفشل المفاوضات التي جرت في واشنطن في كانون الاول ٢٠٠٠ في الوصول الى اي اتفاق . . طرح الرئيس كلنتون مقترحات لردم الهوة بين الطرفين وطلب موافقة الطرفين عليها بحلول ٢٧ كانون الاول عام ٢٠٠٠ . . وقام كثيرون بالتعتيم على النتائج لكن المفاوض الامريكي الرئيسي " دينيس روس " كان واضحا في كتابه (السلام المفقود) والذي صدر عام ٢٠٠٤ وجاء في صفحة ٧٥٣ – ٧٥٥ الخلاصة التي قدمها روس " ان اقتراح كلينتون منح الفلسطينيين نحو ٩٧% من اراضي الضفة الغربية اضافة الى السيادة على مجالهم الجوي . . اما اللاجئون الفلسطينيون لا يستطيعون العودة الى اسرائيل دون موافقة اسرائيلية . . . على ان ترابط قوة دولية في وادي الاردن لمدة ست سنوات وتحل محل الجيش الاسرائيلي وتكون المناطق المجاورة للقدس والحرم الشريف ضمن الدولة الفلسطينية . . اجتمعت الحكومة الاسرايلية في ٢٧ كانون الاول ووافقت على اقتراحات كلينتون مع ابداء تحفظات حيالها وصفها " روس " بأنها تحفظات ضمن الحدود المقبولة . . وهنا اود ان اشير الى ان الاسرائليين منذ اقدم عصور التاريخ قد برعوا في اتباع سياسة الذرائع (سياسة البرغماتية) فعندما يجدوا انفسهم محرجين في اي موضوع يوافقون عليه دون تردد ولكن يقاوموه عمليا ولا يطبقوه على ارض الواقع . . . انما تأتي موافقاتهم بسبب عدم اثارة الاخرين عليهم خاصة الرأي العام .

الفلسطينيون لم يقدموا اجابة في الموعد المحدد ولم يأت الرد الفلسطيني ابدا . . وفي هذا يقول " دينيس روس " انه قال لابي العلاء (احمد قريع) في ٢٩ كانون الاول : سجل كلماتي . . . ستنفض الولايات المتحدة يدها من الامر ، وسيكون ذلك في وقت لا يعود فيه باراك وامنون او شلومو موجودين بل في وقت يصبح فيه شارون رئيسا للوزراء

. . سوف ينتخب شارون بكل تأكيد اذا لم يتم التوصل الى اتفاق وستنخفض الـ ٩٧% الى ٤٠% وستخسرون فرصة اقامة عاصمتكم في القدس الشرقية . . ولن يترك الجيش الاسرائيلي وادي الاردن وسيكون حق اللاجئين غير المقيد في العودة الى دولتكم قد ذهب ادراج الرياح" أجابه ابو العلاء " اخشى ان يتطلب الامر خمسين سنة اخرى لتسوية هذا الامر " وفي حفل عشاء اقيم في تشرين الثاني عام ٢٠٠٥ في ذكرى رحيل اسحق رابين قال الرئيس كلنتون " ان الرئيس ياسر عرفات ارتكب خطيئة تاريخية جسيمة عندما رفض اقتراحاته وتسبب في انهيار عملية السلام " الا انه في ١٣ تشرين الثاني قال وزير الاعلام الفلسطيني آنذاك (الدكتور نبيل شعث) " ان اسرائيل لا تريد ابدا ان تصل على الحل النهائي خلال المرحلة الثانية من مفاوضات كامب ديفيد وهذا ما اسكت الشائعات القائلة بأن اسرائيل عرضت على الفلسطينيين ٩٧% من الضفة الغربية و١٠% من وادي الاردن . . واما كل ما قيل ان اسرائيل قدمت للفلسطينيين تنازلات كبيرة فهذا غير صحيح " واكد شعث ان اسرائيل رفضت اعادة القدس الى الفلسطينيين بل هي فوق ذلك مصّرة على ضم الكتل الاستيطانية الى مدينة القدس . . . واوضح بأن هذه النقطة هي ما اوصل مفاوضات كامب ديفيد الثانية الى حالة استعصاء . . . وان ما اقترحه رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق إيهود باراك لم يكن سوى إعطاء عرفات مقرا رئاسيا في القدس القديمة .

وفي مفاوضات ما يسمى بمفاوضات اللحظة الاخيرة التي جرت في طابا المصرية بين ٢٢ – ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠١ برعاية اوروبية ومصرية ، فشل الجانبان في التوصل الى تسوية ورغم اتفاق الجانبين على اعلان مشترك يقول انهما اقتربا من الاتفاق اقترابا لا سابق له فأن عدم الاتفاق الملموس بشأن موضوع اللاجئين وخرائط الاستيطان النهائية ظل قائما . . قطع باراك المفاوضات يوم ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠١ وعلقها حتى ما بعد الانتخابات . . وكان باراك يأمل التوصل الى صفقة يستطيع تقديمها الى الجمهور الاسرائيلي ولكن اصابه الغضب وخيبة الامل لعدم التوصل اليها . . . لقد انتهت المفاوضات لأن باراك الذي قيل انه دفع العملية السلمية الى الامام خسر الانتخابات في بداية شهر شباط وحل محله رئيس الحكومة اليميني أرييل شارون .

لم يجر فعليا خلال المفاوضات تقديم اي خرائط رسمية من الجانبين او من قبل الجانبين وبعد فشل المفاوضات اكد الفلسطينيون بأن اسرائيل لم تعرض عليهم الا " معازل " في الضفة الغربية ولم تنشر الحكومة الاسرائيلية اي خرائط . . . اما دينيس روس الذي ترأس الفريق الامريكي المفاوض فقد لخص المقترحات التي قدمتها الولايات المتحدة وقامت ايضا كل من مجموعة غوش شالوم ومؤسسة السلام في الشرق الاوسط بنشر خريطة لهذا العرض الذي

قدمته حكومة باراك في طابا . . وقد كانت مسألة اللاجئين احد الاسئلة الرئيسية البارزة . . وكان الرئيس كلنتون يظن ان المسألة لا تتعدى فوارق في الصياغة بين الطرحين الاسرائيلي والفلسطيني . . . ولقد دعت اقتراحاته الرامية الى ردم الهوة الى السماح للفلسطينيين بالعودة من الخارج الى الدولة الفلسطينية ولا يكون بوسعهم ان يعودوا الى اسرائيل الابموافقة الحكومة الاسرائيلية . . . لكن الاقتراح الفلسطيني في طابا دعا الى عودة نهائية لجميع اللاجئين الى إسرائيل . . لكن هذا الاقتراح ما كان مقبولا لدى الاسرائيليين لأن من شأنه ان يخلق اغلبية عربية فيها وان يضع نهاية لممارسة اليهود حق تقرير المصير كما يقول الاسرائيليون .

تواصلت المقاومة الفلسطينية في عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ رغم محاولات لجنة ميتشل وغيرها استعادة الهدوء وقد كانت الهجمات التي استهدفت مركز التجارة العالمية في الولايات المتحدة يوم ١١ ايلول ٢٠٠١ وبيلة مباشرة على النزاع الاسرائيلي الفلسطيني . . فمن جهة اولى حاولت البلدان العربية والاسلامية الاستفادة من الحاجة الى تعاونها في الحرب على الارهاب بغية انتزاع تنازلات لصالح الفلسطينيين ومن جهة ثانية ، بدأ كثير من الامريكيين في النظر الى الاعمال الارهابية في ضوء جديد عندما بدأ الربط بين منظمات مثل حماس وحزب الله اللبناني وبين جماعة القاعدة بزعامة اسامه بن لادن . . واما ما كان له اثر مؤذ متميز على الفلسطينيين هو التظاهرات التي خرجت تأييدا لابن لادن والأدلة التي ربطت بين سفينة اعترضتها اسرائيل (اسمها كارين) كانت تحمل اسلحة مهربة وبين الدعم الايراني المقدم الى حركة حماس . . تم اعتراض هذه السفينة يوم ٣ كانون الثاني ٢٠٠٢ وهو يوم وصول المبعوث الامريكي انتوني زيني من اجل محاولة التوصل الى تسوية وعلى ضوء هذه الصورة بدا ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي يمنحان اسرائيل مجالا اوسع للتحرك ضد الفلسطينيين . . فقامت اسرائيل بتنفيذ اقتحامات متزايدة في المناطق الفلسطينية وحاصرت الرئيس ياسر عرفات في المجمع الرئاسي في رام الله . . غير ان الفلسطينيين قاموا بتصعيد هجماتهم ضد الجنود الاسرائيليين اضافة الى تصعيد العمليات الاستشهادية داخل الخط الاخضر في اسرائيل .

اقتراحات السعودية السلمية وقرار الدولة الفلسطينية

طرح ولي العهد السعودي الامير عبد الله بن عبد العزيز اقتراحا بأنهاء حالة الحرب الطويلة بين العرب واسرائيل مقابل انسحاب الاسرائيليين من المناطق الفلسطينية ومقابل انسحابا من الجولان مع ترتيبات ملائمة فيما يخص القدس واللاجئين . . . وقد جرى تبني هذا الاقتراح بعد تعديله ليكون اكثر وضوحا فيما يخص مسألة اللاجئين في اجتماع الجامعة العربية وفي النهاية جرى ادخاله ضمن خطة الطريق التي طرحتها اللجنة الرباعية . . . وفي ١٢ آذار ٢٠٠٢ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة القرار ١٣٩٧ الذي دعا الاطراف الى وقف ما اسماه العنف من جديد وتطرق الى ذكر خطة الامير عبدالله للسلام . . وكذلك دعا وللمرة الاولى منذ عام ١٩٤٧ الى اقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل .

الجدار العنصري

استمرت العمليات الاستشهادية وردود الفعل الانتقامية الاسرائيلية تواصلت . . . اعلن ياسر عرفات وقف العنف عدة مرات لكن هذا لم يكن ذا تأثير ظاهر على اشتداد العمليات الاستشهادية والكمائن . . . اما الاسرائيليون فقد واصلوا من جانبهم سياستهم في اغتيال المطلوبين في المناطق الفلسطينية وخلال الاسبوع الاخير من شهر آذار اي حين كان الجنرال ريني على وشك الذهاب الى الشرق الاوسط من جديد ، كان الفلسطينيون ينفذون عملية استشهادية ناجحة كل يوم تقريبا ، إضافة الى الكثير من الهجمات الاقل نجاحا . . . ادى تفجير في فندق بارك في ناتانيا الى مقتل ٢٧ شخصا كانوا يحتفلون باحد الاعياد الدينية اليهودية . . وردت اسرائيل بغارة ضخمة اسمتها (عملية الجدار الواقي) قصدت من خلالها استئصال البنية التحتية للمقاومة ، بما في ذلك اعادة احتلال رام الله ونابلس وجنين وطولكرم وبلدات اخرى . . . وزعمت اسرائيل ان ٥٠ شخصا فقط قتلوا في مخيم جنين وان اكثرهم اعضاء في كائب شهداء الاقصى التابعة لحركة فتح . . . لكن الفلسطينيين اتهموا اسرائيل بارتكاب مجزرة في مخيم جنين قتلوا فيها اكثر من ٥٠٠ شخص . . وقد كررت هذا الاتهامات اكثر المصادر الاخبارية في اوروبا رغم تراجعها عنها فيما بعد . . وقد قالت منظمات حقوق الانسان التي دخلت مخيم جنين بعد الغزوالإسرائيلي ان فيه قدرا كبيرا من الدمار وان من المرجح ان يكون الجيش الاسرائيلي قد ارتكب فيه

جرائم حرب من خلال منع وصول المساعدات الطبية ، لكنها قالت ان عدد القتلى لم يتجاوز الخمسين وان اكثر من نصفهم ارهابيين . . وبهذا اكدت الرواية الاسرائيلية الكاذبة عن الاحداث .

خفت الهجمات الاستشهادية لكنها لم تتوقف . . . وخلال مجرى القتال ادعت اسرائيل انها وضعت يدها على وثائق كثيرة تدل على ان ياسر عرفات كان قد وافق شخصيا على تنظيم خلايا ارهابية . . . وكذلك على ان خزينة السلطة الفلسطينية وافقت على دفع اموال من اجل شراء احزمة ناسفة يستخدمها الاستشهاديون . . (نلاحظ بأن اسرائيل تحاول في كل مناسبة وبعد كل عملية مقاومة ان تقحم عرفات وسلطته فيها بينما هم بعيدون كل البعد عن تلك العمليات بل على عكس ذلك كانوا يحاولون وقفها او محاربتها) واعتقل الاسرائيليون او قتلوا كثيرا من الاشخاص الذي شكت اسرائيل في تورطهم في النشاطات الاستشهادية وقام الجيش الاسرائيلي ايضا باتلاف سجلات وابنية وطرق وغير ذلك من البنية التحتية المدنية البريئة في المصارف والمنظمات غير الحكومية وغيرها من المنظمات التي من الواضح ان لا علاقة لها بتلك العمليات .

وفي وقت لاحق من مجريات القتال تمكن الجيش الاسرائيلي من تحديد مكان وجود مروان البرغوتي الذي يقود " التنظيم " في فتح واعتقلته . . وزعمت اسرائيل ان لديها ادلة على صلة البرغوتي بكثير من الاعمال الارهابية وفي النهاية قدمته الى المحكمة فتلقى خمسة احكام بالسجن المؤبد بسبب التواطؤ على القتل . . . ذهب منتقدو السياسة الاسرائيلية الى انه من غير الممكن انهاء العنف بالوسائل العسكرية في غياب التقدم باتجاه الحل السلمي . . . لكن عدد الهجمات الاستشهادية الناجحة وتواترها راحا يتراجعان في اعقاب عملية الجدار الواقي ، وذلك مع استخدام قوات الامن الاسرائيلية المتزايد للمعلومات الاستخباراتية التي جمعتها خلال هذه العملية من اجل رصد الهجمات واحباطها . . لكن عدد محاولات شن تلك الهجمات لم يشهد تناقصا كبيرا .

وقبيل نهاية عملية الجدار الواقي وصل الى المنطقة وزير الخارجية الامريكي كولن باول لمحاولة وقف العنف فقد كان في حاجة الى الهدوء في اسرائيل وفلسطين من اجل إتاحة المجال للولايات المتحدة لبناء تحالف ضد العراق . . . لكن مهمة باول لم تحقق شيئا اذ لم يتمكن من جعل الاسرائيليين ينسحبون انسحابا كاملا من المناطق التي احتلوها ولم يتمكن من جعل الفلسطينيين يوافقون على وقف اطلاق النار . وقد ادى الغضب الشعبي والمظاهرات في البلدان العربية لقيام اسرائيل بارتكاب المجازر الى دفع الامم المتحدة الى التحرك . . وجاء قرار الامم المتحدة رقم ١٤٠٢ ينص على انسحاب اسرائيل الفوري . . ومع مغادرة باول كان الجيش الاسرائيلي قد بدأ

في الانسحاب من بعض البلدات لكن ياسر عرفات كان لا يزال حبيس المقر الرئاسي في رام الله وكان الاسرائيليون يحاصرون كنيسة المهد في بيت لحم حيث التجأ اليها فلسطينيون مسلحون هربوا من الجيش الاسرائيلي . . تبنى مجلس الامن قرار ١٤٠٥ الداعي الى تشكيل فريق تحقيق محايد وإرساله للتحقيق في المجازر التي ارتكبتها اسرائيل واعترضت اسرائيل على تركيبة الفريق بعد ان كانت وافقت على التحقيق في البداية لكنها عادت عن موافقتها ومنعت اجراء تحقيق زاعمة ان تركيبة الفريق واجراءات التحقيق غير منصفين بالنسبة لها وقالت ان الامم المتحدة تراجعت عن الاتفاقات الاولية بشأن هذا التحقيق . . .كانت معارضة التحقيق في اسرائيل مدفوعة بذكريات مؤتمر " دربان " الذي كما تقول ، لم يمض عليه وقت طويل اضافة الى قرار الامم المتحدة الذي ينص على ان الصهيونية احد اشكال العنصرية الذي جرى استحضاره كثيرا في الجدل العام في اسرائيل .

قام رئيس الوزراء الاسرائيلي " أرييل شارون " بزيارة الولايات المتحدة في ايام ٢٠٠٢ بضغط من الادارة الامريكية من اجل طرح برنامج سلمي يمكن ان يكون مقبولا لدى الفلسطينيين والدول العربية . . ناقش الاثنان خطط عقد قمة إقليمية في وقت لاحق من عام ٢٠٠٢ وعرض الجانب الاسرائيلي وثائق زعم انها تثبت تورط ياسر عرفات والسلطة الفسطينية في اعمال ارهابية . . . وقد وردت اثناء اجتماع بوش وشارون انباء عن تفجير استشهادي قامت به حركة حماس الامر الذي جعل شارون يقطع زيارته والعودة الى اسرائيل .

تم التوصل الى حل الحصار لمبنى المقاطعة (مقر الرئاسة الفلسطينية) وكنيسة المهد في ايار ٢٠٠٢ وجرى ابعاد المسلحين في كنيسة المهد الى قبرص واوروبا . . واما بعض المطلوبين الذين كانوا في مجمع المقاطعة في رام الله فقد جرى حبسهم في اريحا . . لكن من الواضح ان قسما من المطلوبين ظل في المجمع . . وقد زعمت اسرايل ان زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان يتولى تنسيق الهجمات الاستشهادية من زنزانة سجنه في أريحا . وتحت ضغوط من اجل الإصلاح الديمقراطي ، وقع ياسر عرفات في نهاية أيار القانون الاساسي او دستور الدولة الانتقالية الفلسطينية . . . وينص هذا الدستور على ان القانون الفلسطيني قائم على مباديء الشريعة الاسلامية وبعد موجة جديدة من الهجمات الاستشهادية الفلسطينية في حزيران اعادت القوات الاسرائيلية احتلال معظم انحاء الضفة الغربية . . . وسرعان ما زعمت الحكومة الاسرائيلية أن إعادة الاحتلال هذه لن تستمر من غير نهاية ، لكنها عادت فاشارت الى غير ذلك في وقت لاحق . . والقى الرئس بوش كلمة طال انتظارها تناولت سياسة

الشرق الاوسط ودعت الى قيام دولة فلسطينية ، لكنها اصرت على ضرورة الاصلاح الديمقراطي في السلطة الفلسطينية .

وفي شهري آب وأيلول ٢٠٠٢ احبطت عدة محاولات لوقف اطلاق النار من جانب الفلسطينيين بفعل رفض الجماعات المشاركة فيها وبفعل الاعمال التي قامت بها اسرائيل مثل اغتيال الشهيد صلاح شحادة الذي كان قائد الجناح العسكري في حماس وذلك خلال غارة صاروخية على غزة سقط ضحيتها ١٣ مدنيا . . حل محمد ضيف محل صلاح شحادة . . . مرت ستة اسابيع من شهر آب وأيلول هدأت فيها الهجمات الكبيرة مما سهل وضع خطة اسرائيلية فلسطينية من اجل اعادة السلطة الفلسطينية الكاملة الى قطاع غزة وبيت لحم لكن هذا فشل بعد عدد من الهجمات العنيفة في غزة وفي اوائل شهر ايلول احبطت قوات الامن الاسرائيلية كثيرا من الهجمات الاستشهادية وضبطت شاحنة تحمل اكثر من ٦٠٠ كيلوغرام من المتفجرات وعبوات الغاز كان الفلسطينيون يعتزمون استخدامها في هجوم استشهادي كما زعمت اسرائيل .

انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في ايلول للموافقة على الوزارة الجديدة التي جرى اختيارها انسجاما مع المساعي الاصلاحية . . . لكن اعضاء الحكومة في المجلس رفضوا المصادقة على الحكومة الجديدة حتى يقبل ياسر عرفات بوجود رئيس الوزراء يقاسمه السلطة . . بدلا من ذلك وافق عرفات على إجراء الانتخابات في كانون الثاني ٢٠٠٣ رغم الاحتلال الاسرائيلي . . . كانت اذ ذاك شعبية عرفات قد تراجعت بين الفلسطينيين ولم تجر تلك الانتخابات ابدا . . وانتهت فترة الهدوء النسبي بتفجير استشهادي في ام الفحم وفي حافلة في تل ابيب . . . ردت الحكومة الاسرائيلية بالهجوم على غزة ودخلت مدينة غزة ذاتها كما حاصرت ياسر عرفات ومعه نحو ٢٠٠ شخص في مبنى المقاطعة في رام الله . طالبت اسرائيل الفلسطينيين بتسليم الاشخاص المطلوبين الذين لجأوا الى مبنى المقاطعة وكان بينهم رئيس الامن الوقائي الفلسطيني توفيق الطيراوي . . . ولما رفض هذا الطلب قامت اسرائيل بتدمير جميع مبنى المقاطعة باستثناء المبنى الرئيسي لكنها وعدت بعدم ايذاء عرفات . . وبعد سريان شائعة بأن اسرائيل تعتزم نسف مبنى المقاطعة انطلقت مظاهرات ضخمة في الضفة الغربية وغزة سقط فيها ٤ قتلى . . ضغطت الولايات المتحدة على اسرائيل لكي تتوقف عن تدمير المبنى في مجمع المقاطعة وتنسحب . استمر الحصار الاسرائيلي رغم قرار الامم المتحدة . . ورفع الحصار في النهاية لكن عرفات ظل محتجزا ومعزولا في رام الله . جرى فرض حصار جديد في الخريف . . وفي نيسان ٢٠٠٢ اطلقت الحكومة الامريكية سلسلة

مشاورات مع مجموعة الدبلوماسيين وصارت تعرف باسم " اللجنة الرباعية " وضعت هذه اللجنة خطة طريق فيما يخص الاستيطان تتضمن انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية . وفي تشرين الاول ٢٠٠٢ انسحب حزب العمل من الحكومة الاسرائيلية ودعا رئيس ا لوزراء آرييل شارون الى انتخابات فورية تجرى في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٣ . . . وفي ا لانتخابات حظي حزب شارون (الليكود) بتفويض ساحق لمواصلة السياسات المتشددة ازاء الفلسطينيين . رفض حزب العمل الاسرائيلي تشكيل حكومة ائتلاف وواصلت اسرائيل احتلال معظم اجزاء الضفة الغربية .

وخلال هذه الفترة واصلت الولايات المتحدة حشد القوات من اجل غزو العراق . . . كان الفلسطينيون مؤيدين لصدام حسين وكان نظامه قد قدم الاموال لعائلات الشهداء إضافة الى إيواء المقاتلين الفلسطينيين . دخلت القوات الامريكة بغداد يوم ٩ نيسان واعلن الرئيس بوش انتهاء الحرب في الاول من ايار عام ٢٠٠٣ . تلك الحرب على العراق سببت جيشانا واضطرابا في الشرق الاوسط وكان الفلسطينيون اكثر من تأثر بها . . دهش العرب لسرعة سقوط العراق وسارعت الحكومات العربية بما فيها السلطة الفلسطينية الى إبداء اشارات تصالحية والى الحديث عن الديمقراطية مع انتقاد خجول للاحتلال الامريكي للعراق الذي ولد قدرا كبيرا من السخط . . . انتخب محمود عباس رئيسا للوزراء في فلسطين في ٢٩ نيسان لكن العنف لم يهدأ . . نفذ الاسرائيليون غارات دموية في غزة وغيرها يوم انتخاب عباس . . وبعد ساعات معدودة نفذت حركة حماس هجوما استشهاديا في ملهى ليلي في تل ابيب . . وفي اليوم التالي بدأ الجيش الاسرائيلي بغارات مكثفة في المناطق وخلافا لخطة الطريق ، تولى ياسر عرفات مسؤولية تنظيم قوة امنية موحدة جديدة . . . كانت الولايات المتحدة طبقا لما وعدت به الفلسطينيين قد اطلقت خطة طريق محدثة يوم ٣٠ نيسان اي عقب انتخاب ابو مازن مباشرة . . . وفي قمة احتفالية عقدت في العقبة يوم ٤ حزيران تعهد كل من رئيس الوزراء الاسرائيلي شارون ورئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس بالوفاء بشروط خطة الطريق ثم تصافحا في حضور الرئيس الامريكي جورج بوش ودعا ابو مازن الى وقف العنف

تعهد زعماء حركتي حماس والجهاد الإسلامي الإسلاميتين الوطنيتين بمواصلة المقاومة. وبعد تلك القمة مباشرة قتل أربعة جنود إسرائيليين في غزة في عملية مشتركة لم تقتصر المشاركة فيها على الإسلاميين وحدهم إذ شاركت فيها حركة فتح المنشقة عن حركة محمود عباس. بدأت إسرائيل تفكيك زهاء ١٠٠ نقطة عسكرية غير قانونية،

لكن هذا التفكيك اقتصر على النقاط غير المأهولة. وفي ١٠ حزيران حاولت إسرائيل اغتيال زعيم حماس أحمد ياسين مما أثار الغضب بين الفلسطينيين والانتقاد الموجه إلى الولايات المتحدة. وفي ١١ حزيران، قتل تفجير انتحاري ١٦ إسرائيلياً في حافلة في شارع رئيسي من شوارع القدس. وفي ٢٠ آب، قتل تفجير انتحاري آخر ٢١ شخصاً في حافلة في القدس. وفي اليوم التالي اغتالت إسرائيل أحد قادة حماس ويدعى إسماعيل أبو شنب، ولعل ذلك كان انتقاماً لتلك التفجيرات. أعلنت إسرائيل أيضاً إهدار دم جميع قادة حماس ونفذت عدة محاولات لاغتيالهم فشل بعضها، وكان من بين المستهدفين "الزعيم الروحي" المسن المقعد لحركة حماس. ومع استمرار تهاوي الهدنة سرت شائعات قالت إن متطرفين فلسطينيين حاولوا اغتيال رئيس وزراء السلطة الفلسطينية محمود عباس. وفي الأيام التي أعقبت ذلك دخلت إسرائيل الضفة الغربية من أجل عملية "تطهير أمني" تدوم عدة أيام. بدأ عباس ورئيس جهاز الأمن في غزة محمد دحلان التحرك ضد المقاومين الفلسطينيين وفقاً لمقتضيات خطة الطريق؛ في حين حاول ياسر عرفات أن يستبدل بمحمد دحلان جبريل الرجوب وأن يضع الأجهزة الأمنية ووزارة الداخلية في أيدي أنصاره. أعلن عباس في ٤ أيلول أنه لن يتحرك ضد المقاومين، لكن هذا لم يفلح في جعله يتمكن من الاستمرار في منصبه فاستقال في ٦ أيلول وخلفه أحمد قريع (أبو العلاء) الذي كان من أنصار عرفات. تعهد قريع بانتهاج خط متشدد إزاء إسرائيل. وفي ٨ أيلول قرر زعماء الاتحاد الأوروبي فرض حظر على الجناح السياسي لحركة حماس وعلى منع التبرعات النقدية المقدمة إليها. وفي مساء ١٠ أيلول ٢٠٠٣ سقط ١٥ قتيلاً في تفجيرين انتحاريين متزامنين في القدس وبالقرب من قاعدة زريفين العسكرية قرب "ريشون لتسيون" انتهت فترة الحرب الهادئة بتفجير انتحاري آخر في مطعم في حيفا يوم ٤ تشرين الأول تمت نسبته إلى حركة الجهاد الإسلامي. أدانت السلطة الفلسطينية ورئيس وزرائها المعين أحمد قريع ذلك التفجير، لكنهما لم يتمكنا من الالتزام باتخاذ خطوات ضد الفصائل الفلسطينية المقاتلة. وعلى سبيل الانتقام قامت إسرائيل اجتياح غزة وجنين؛ وفي ٥ تشرين الأول ضربت قاعدة في سورية زعمت أنها قاعدة لتدريب الجماعات الفلسطينية. كان هذا أول هجوم إسرائيلي في الأراضي السورية منذ حرب يوم الغفران (حرب رمضان) عام ١٩٧٣. بعد ذلك بدأت فترة طويلة من الهدوء النسبي في الهجمات الفلسطينية، لكن إسرائيل واصلت مهاجمة الأهداف الفلسطينية موقعة خسائر كبيرة في أرواح المدنيين. استمر حدوث الهجمات الاستشهادية من وقت لآخر من قبل فصائل حماس أو الجهاد الإسلامي أو من قبل كتائب الأقصى التي هي جزء من حركة فتح من الواضح أن السلطة الفلسطينية فقدت سيطرتها عليه. جرى

تنفيذ تفجيرات انتحارية في ٢٥ كانون الأول ٢٠٠٣ وفي ١٤ و٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤ وفي ٢٢ شباط أيضاً من قبل كتائب الأقصى التابعة لحركة فتح ومن قبل حماس والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

اتفاق جنيف. أعلن زعماء المعارضة الإسرائيلية وقادة فلسطينيون عن اتفاق مبادئ بشأن شروط الحل النهائي. يطرح هذا الاتفاق الذي صار يعرف باسم اتفاق جنيف تقديم تنازلات تاريخية من الجانبين: تتخلى إسرائيل عن السيادة على الشطر العربي من القدس في حين يتخلى الفلسطينيون بوضوح عن حق اللاجئين في العودة إلى إسرائيل. ورغم انعدام الصفة الرسمية لذلك الاتفاق في وقته فقد حظي بدعاية واسعة وتضمنت تأييداً من جانب وزير الخارجية الأمريكي كولن باول وتحبيذاً حاراً من جانب ياسر عرفات. شجبت الحكومة الإسرائيلية هذا الاتفاق والمشاركين فيه وحاولت منع الترويج له في وسائل الإعلام العامة. وعلى نحوٍ مماثل، شجبه المقاومون الفلسطينيون وحلفاؤهم.

الجدار الأمني (يدعى أيضاً "السياج الأمني" أو "جدار الفصل العنصري"). كان من بين القضايا الكبرى التي أثيرت خلال الحملة الانتخابية الإسرائيلية عام ٢٠٠٣ إقامة حاجز أمني (سياج أو جدار) دعا إلى بنائه حزب الحمائم في إسرائيل، حزب العمل. وكان من المزمع أن يقام الجدار على امتداد الخط الأخضر ليساهم في منع الهجمات الانتحارية داخل إسرائيل. وكان حاجز مماثل في غزة قد استطاع تقليل حالات التسلل حتى الصفر. لكن اليمين، بما فيه حزب الليكود بزعامة آرييل شارون، عارض إقامة هذا الجدار لأن من شأنه أن يخلق حدود أمر واقع، كما رأوا، فيقسم القدس ويضع معظم المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية خارج حماية الترتيبات الأمنية. فاز شارون وحزبه في الانتخابات بأغلبية كبيرة موقعين فوضى شاملة في حزب العمل وحزب ميريتس اليساري.

وخلال عام ٢٠٠٣ تبنى رئيس الوزراء آرييل شارون فكرة الجدار العازل وعدلها فغير مسار الجدار ليشمل كبرى المستوطنات الإسرائيلية وجعل فيه قسماً ناتئاً من جهة الشرق من شأنه فصل الفلسطينيين إلى جيبين. ومع المضي في إنشاء الجدار صار من الواضح أنه يحجز كثيراً من الفلسطينيين فيفصلهم عن حقولهم وأماكن عملهم التي يقع بعضها على الجانب الإسرائيلي من الخط الأخضر الذي رسمته هدنة ١٩٤٨ ويقع بعضها الآخر على الجانب الفلسطيني. وفي المناطق المأهولة حيث يظهر الجدار أكثر من المناطق الأخرى، تمت إقامته على شكل جدار إسمنتي ضخم رغم أن معظم أجزائه الأخرى مبنية على شكل سياج. بدأت الجماعات الفلسطينية وجماعات السلام الإسرائيلية حملة احتجاجٍ شديدة. وفي ٨ كانون الأول ٢٠٠٣ عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة

طارئة فأصدرت القرار رقم (ES-10/14) الذي طلب من محكمة العدل الدولية في لاهاي رأياً استشارياً فيما يخص شرعية إقامة الجدار. بدأت المحكمة مداولاتها في ٢٤ شباط لكن إسرائيل قاطعت جلساتها رغم أنها قدمت مذكرة موجزة مفادها أن على المحكمة عدم إصدار حكم في هذه القضية. وقد قدم نحو ٣٠ بلداً آخر، من بينها الولايات المتحدة وعدة دول أوروبية، مذكرات تقول إن على المحكمة عدم إصدار حكم بأن المسألة سياسية لا قانونية؛ ولذلك امتنعت هذه الدول كلها عن حضور الجلسات. على أن أكثر هذه الدول انتقدت الجدار باعتباره غير شرعي أو باعتباره عقبة في وجه مفاوضات السلام. قامت جماعات إسرائيلية وصهيونية بتنظيم مظاهرات في لاهاي، ونظم الفلسطينيون مظاهرات مضادة. جلب الإسرائيليون حافلة تعرضت للتفجير وقالوا إن الجدار يمنع الهجمات الانتحارية. أما الفلسطينيون فاستخدموا الجلسات منبراً من أجل نزع الشرعية عن الاحتلال. وفي ٩ تموز خرجت محكمة العدل الدولية برأي استشاري فيما يخص السياج الأمني الإسرائيلي. قررت المحكمة أن هذا السياج ينتهك حقوق الإنسان وأن على إسرائيل تفكيكه. أعلنت إسرائيل عدم التزامها بقرار المحكمة لكنها أدخلت تغييرات على مسار الجدار نزولاً عند قرار المحكمة الإسرائيلية العليا.

فضيحة الفساد الإسرائيلية

منذ انتخاب آريل شارون في عام ٢٠٠٣ حامت حوله الشكوك كما حامت حول عدد من أعضاء حزب الليكود بسبب مزاعم بالرشوة والعلاقة مع عصابات إجرامية. وفي كانون الثاني ٢٠٠٣ أدين دافيد آبيل بتهمة الرشوة، وقد كان أحد أقرب مساعدي آريل شارون. وقالت لائحة الاتهام إنه قدم الرشوة إلى شارون وابنه وإلى نائب رئيس الوزراء إيهود أولمرت. وكان السؤال الواضح هو: هل سيدان آريل شارون أم لا؟

جدل بشأن تبادل السجناء

بعد شهور طويلة من المفاوضات من خلال وساطة ألمانية، اتفق كل من إسرائيل وحزب الله اللبناني على تبادل للسجناء وفق شروط من جانب واحد، وذلك في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤. أطلقت إسرائيل سراح أكثر من ٤٠٠ سجين فلسطيني ولبناني أحياء، وأعادت عدداً كبيراً من الجثامين مقابل جثامين ثلاثة جنود إسرائيليين اختطفهم

حزب الله وقتلهم وجثمان مدني واحد هو ضابط الاحتياط الحنان تانباوم الذي كان "رجل أعمال" مريب كذب بشأن كيفية اختطافه وقدم لحزب الله دعاية مجانية عبر تلفزيون المنار.

اغتيال الشيخ أحمد ياسين

كانت إسرائيل تستهدف زعيم حركة حماس الشيخ أحمد ياسين منذ شهور كثيرة بغية اغتياله. وفي أعقاب هجوم انتحاري في ميناء أشدود صعّد جيش الدفاع الإسرائيلي عملياته ضد الإسلاميين في غزة وأعلن من جديد أن قادة حماس مستهدفون بالاغتيال. وفي ٢٢ آذار أكدت معلومات استخباراتية إسرائيلية أن أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس الإسلامية وزعيمها) ذهب إلى الصلاة من غير زوجته وأطفاله فأعطي الضوء الأخضر لاغتياله. لقد أدى اغتيال هذا الرجل العجوز المقعد إلى احتجاجات في معظم أنحاء العالم وإلى تعهد حركة حماس بالثأر له. لعل القيمة الاستراتيجية لاغتياله كانت قليلة؛ ولعله اغتيل من أجل تعزيز شعبية آريل شارون المتراجعة.

خطة فك الارتباط وخطاب الضمانات من جورج بوش

كان ثمة اقتراح من حزب العمل الإسرائيلي بقيادة عاميرام ميتزنا خلال الحملة الانتخابية لعام ٢٠٠٣ مفاده أن على إسرائيل أن تنسحب من جانب واحد من قطاع غزة وربما من بعض أجزاء الضفة الغربية وأن تواصل حياتها خلف الجدار الفاصل إذا فشلت المفاوضات مع الفلسطينيين. رفض شارون وحزبه هذا الاقتراح باعتباره انهزامياً. لكن شارون نفسه أعلن قبيل نهاية عام ٢٠٠٣ أنه يخطط للانسحاب من جانب واحد يجري خلال ستة أشهر (تم تأجيل هذا التاريخ فيما بعد). جوبهت خطة الانسحاب من كامل قطاع غزة بمعارضة شديدة من زملاء شارون في حزب الليكود ومن المستوطنين أيضاً. وقد أشارت التقارير في أواخر شهر شباط إلى أن إسرائيل مازالت تواصل مصادرة الأراضي وبناء الحواجز الأمنية من أجل مستوطني غزة رغم ما قيل عن أن شارون قرر إخلاء المستوطنات. وفي نيسان ٢٠٠٤ سافر شارون إلى الولايات المتحدة واجتمع في ١٤ نيسان مع الرئيس الأمريكي جورج بوش من أجل الحصول على مساندة وضمانات أمريكية من أجل خطة فك الارتباط من جانب واحد التي طرحها شارون. قدم بوش له خطاباً ينص على أن الولايات المتحدة تقبل هذه الخطة وأن خطة الطريق تظل هي خطة السلام الوحيدة التي تؤيدها الولايات المتحدة. وحتى يكسب شارون شعبية لصالح هذه الخطة في

إسرائيل، صرح بوش أن الولايات المتحدة ترى وجوب إقامة اللاجئين الفلسطينيين في الدولة الفلسطينية الجديدة لا في إسرائيل؛ أي أنه لا حاجة لإلزام إسرائيل، برأيه، بالانسحاب حتى خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩، إضافةً إلى أن الولايات المتحدة تقبل بالسياج الأمني الإسرائيلي. كرر شارون التزام إسرائيل بخطة الطريق وتعهد بأن يكون السياج الأمني حاجزاً مؤقتاً لا حدوداً نهائية. ما كان لخطاب بوش كبير وزن فيما يخص المفاوضات في المستقبل فقد كرر مواقف اتخذها الرئيس الأسبق كلينتون بشأن اللاجئين والحدود. ورغم ذلك أثار الخطاب غضباً في العالم الإسلامي. خسرت خطة الانسحاب من جانب واحد الاستفتاء الذي أجري داخل حزب الليكود يوم ٢ أيار ٢٠٠٤ فاقترح شارون نسخة معدلة منها. وفي أيار نفذت إسرائيل عملية عسكرية واسعة في غزة (عملية قوس قزح) قتلت فيها أكثر من ٤٠ شخصاً وشردت الآلاف وأثارت غضباً دولياً. وفي أواخر تشرين الأول أقر البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) قانون فك الارتباط في القراءة الأولى مما أدى إلى خروج الحزب القومي الديني اليميني من الحكومة التي تراجعت أغلبيتها النيابية إلى ٥٥ مقعداً بسبب خروجه.

اغتيال د.عبد العزيز الرنتيسي

في ١٧ نيسان ٢٠٠٤ قتل جيش الدفاع الإسرائيلي زعيم حماس المنتخب حديثاً عبد العزيز الرنتيسي. ومن الواضح أن د. محمود الزهار قد انتخب ليحل محله، لكن من غير إعلان رسمي عن ذلك خشية الانتقام الإسرائيلي. ويقال إن الزهار هو الأخير الباقي على قيد الحياة من بين سبعة أشخاص أسسوا حركة حماس. أما الستة الباقون فقد اغتالتهم إسرائيل جميعاً.

حكومة أحمد قريع

في ١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٣، وبعد فترة طويلة من المفاوضات، شكل أحمد قريع حكومة دائمة وبدأت التحركات من أجل التوصل إلى وقف إطلاق النار وتجديد المفاوضات مع الإسرائيليين. لكن حصيلة هذه التحركات كانت قليلة جداً. ففي ١٩ تشرين الثاني اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم ١٥١٥ الذي اعتمد خطة الطريق التي وضعتها اللجنة الرباعية من أجل السلام ودعا الأطراف إلى الوفاء بما يترتب عليها بموجب هذه الخطة. لكن التوغلات الإسرائيلية تواصلت وبدا الفلسطينيون من جانبهم غير مستعدين لضبط فصائل المقاومة، أو غير

قادرين على ذلك. أعلن عن لقاءات مرتقبة بين رئيسي الوزراء أحمد قريع وآريل شارون، وكثرت الشائعات والتكهنات بشأنها، لكنها تبخرت. ولحين من الوقت كان قريع يعلن أنه لن يجتمع مع شارون حتى توقف إسرائيل بناء السياج الأمني. . . . لكن، عندما أعلن شارون خطة فك الارتباط من جانب واحد وبدا أنه صادق في ذلك، صار قريع قلقاً من أن يكون انسحاب الإسرائيليين دون مفاوضات نصراً لحماس والجهاد الإسلامي، الخصمين السياسيين لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تدير السلطة الوطنية الفلسطينية واللذين يأملان في وراثة الزعامة الفلسطينية. أعلن قريع عند ذلك استعداده للاجتماع مع شارون وأن هذا الاجتماع سيحدث بكل تأكيد في أواخر شباط. لكن المفاوضات الرامية إلى وضع جدول أعمال هذا الاجتماع تأجل لأسبابٍ كثيرة من بينها وقوع تفجيرات استشهادية وقيام إسرائيل بمزيد من الاغتيالات.

فوضى في غزة

في هذه الأثناء صار من الواضح أن قريع غير قادر على الحكم فعلاً رغم بعض النجاح في ميدان تحسين الشفافية المالية نزولاً عند مطالب الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. وفي أوائل ٢٠٠٤ وردت أخبار كثيرة عن الفوضى والتشرذم وانعدام القانون في المناطق الفلسطينية. وعند نهاية شهر شباط أعلن رئيس الأمن الفلسطيني السابق محمد دحلان أن السلطة الفلسطينية ما عادت قادرة على لجم كتائب شهداء الأقصى المنشقة عن فتح والتي كانت مسؤولة عن كثير من التفجيرات الانتحارية. وأما محاولات توحيد الأجهزة الأمنية، التي عرقلها عرفات، فقد انتهت بالشقاق والاتهامات المتبادلة. وفي ٢٦ شباط وعد الرئيس عرفات بإجراء الانتخابات التي طال تأجيلها؛ لكن كثيراً من الفلسطينيين لم يصدقوا هذا الوعد. وفي نابلس سادت حالة من انعدام القانون واستقال محافظ المدينة.

اندلع العنف في غزة يوم ١٨ تموز ٢٠٠٤ بين فصائل من حركة فتح. اختطفت إحدى المجموعات قائد الشرطة غازي الجبالي وعدداً من المواطنين الفرنسيين. ثم أطلقت سراحهم شريطة مثول الجبالي أمام القضاء. أعاد ياسر عرفات تنظيم الأمن وعين ابن شقيقه موسى عرفات مسؤولاً عن قوات الأمن الفلسطينية. ردت القوى المعارضة باجتياح مقر موسى عرفات. وبعد ذلك أعلن رئيس الوزراء أحمد قريع استقالته فلم يقبلها عرفات. لكن قريعٍ أصر على الاستقالة. أعلن عرفات عن سحب تعيين موسى عرفات؛ لكنه أعلن أيضاً أن موسى سيظل مسؤولاً

عن الأمن في غزة. استدعت المطالبات اللاحقة بالإصلاح مزيداً من التصريحات من جانب عرفات. وعندما لم يجر تنفيذ شيء من تلك التصريحات أعلن أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني تأجيل اجتماع مجلسهم احتجاجاً. الوضع الأمني في عام ٢٠٠٤. لم تقع هجمات كبيرة ناجحة خلال ربيع وصيف ٢٠٠٤ رغم كثرة المحاولات. وقد عزا الفلسطينيون والإسرائيليون ذلك الهدوء النسبي إلى السياج الأمني الذي أنجز جزئياً وإلى تحسن أداء الاستخبارات الإسرائيلية. واصلت إسرائيل اعتقال وقتل الفلسطينيين المنتمين إللمقاومة وواصلت احتلال المدن الفلسطينية في الضفة الغربية. وفي ٣١ آب ٢٠٠٤ ارتكبت حماس هجوماً استشهادياً مزدوجاً في بئر السبع انتقاماً لقتل قادتها. جاء المهاجمون من منطقة تقع جنوب مدينة الخليل في الضفة الغربية حيث لم يجر بناء السياج الأمني بعد. أدى الهجوم إلى تسريع بناء الجدار ونفذت إسرائيل انتقاماً دموياً من خلال قصف مخيم تدريب لحماس في غزة. وفي تشرين الأول ٢٠٠٤ نفذت إسرائيل عملية "أيام الندم" من أجل إيقاف تساقط الصواريخ الفلسطينية على البلدات الإسرائيلية. قتل وشرّد في هذه العملية كثير من المدنيين.

محادثات السلام السورية الإسرائيلية

انطلقت محادثات السلام بين سورية وإسرائيل بعد مؤتمر مدريد للسلام. ويقال إن الجانبين توصلا في أيار ١٩٩٥ إلى إنجاز اتفاقية سلام تفصيلية تتضمن انسحاباً إسرائيلياً من مرتفعات الجولان التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ثم قامت بضمها في وقتٍ لاحق. وفي المقابل، يعترف السوريون بإسرائيل ويسمحون بتجارة طبيعية معها وبإقامة محطات إنذار مبكر إسرائيلية على الأراضي السورية. كان الوعد الإسرائيلي بالانسحاب من الجولان كله قد قدم بشكل غير مباشر من رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين إلى وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر بصفة "وديعة" يجري تقديمها إلى السوريين إذا وافقوا على بقية الشروط الإسرائيلية. وقد أطلق على هذه الوديعة أيضاً اسم "الجيب" بسبب ما قيل من أن رابين قال لكريستوفر "ضع هذه في جيبك" حتى تتحقق بقية الشروط. وخلال المفاوضات، خالف كريستوفر هذا التفاهم مع رابين وأخبر الأسد عن "الوديعة". وخلال فترة استمرار المفاوضات كان رابين يكثر من ترديد شعار "سيكون عمق الانسحاب مساوياً لعمق السلام" مشيراً إلى أن إسرائيل ستكون مستعدة للانسحاب حتى خطوط الهدنة مقابل السلام الحقيقي. لكن المفاوضات مع حكومة رابين لم تستمر فقد اغتيل رابين يوم ٥ تشرين الثاني ١٩٩٥.

تم تجديد المفاوضات في كانون الثاني ٢٠٠٠ من قبل رئيس الوزراء إيهود باراك. لكنها انتهت بالفشل أخيراً في ٢٧ آذار ٢٠٠٠. أصرت سورية على مواصلة المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها، بما في ذلك "وديعة رابين". والواقع أن رابين وعد في "وديعته" بالانسحاب حتى خطوط ٤ حزيران، لكن باراك ما كان راغباً في تقديم ذلك. على أن باراك وافق، تحت ضغط الولايات المتحدة، على الوفاء بتعهد الانسحاب حتى خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧، مع تغييراتٍ طفيفة. قدم الرئيس الأمريكي كلينتون للرئيس الأسد اقتراحاً إسرائيلياً بالانسحاب حتى خطوط ٤ حزيران استناداً إلى حدود يتفق عليها الطرفان وفقاً للخريطة المبينة هنا. كان هذا الاقتراح منسجماً مع اتفاقاتٍ سابقة تم التوصل إليها مع السوريين. لكن الأسد رفض الاقتراح. توفي حافظ الأسد في ١٠ حزيران ٢٠٠٠ وحل محله ابنه بشار. وأما المسار السلمي السوري الإسرائيلي فتراجع عن واجهة الأحداث.

بعد أن عارضت سورية العراق عام ١٩٩١ (غزو الكويت) وتعاونت مع الولايات المتحدة عادت إلى التعاون مع صدام حسين في الحرب العراقية عام ٢٠٠٣. وبعد الحرب استضافت سورية المنفيين العراقيين، ومن الواضح أنها قدمت المأوى للجماعات المتمردة. تزايد عدم رضا الولايات المتحدة عن دور سورية، الحقيقي أو المزعوم، في التمرد العراقي وبدأ مسؤولو الإدارة الأمريكية يضغطون على سورية لمنع المتمردين العراقيين من عبور حدودها إلى العراق وللكف عن دعم المقاومة، بما فيها حزب الله اللبناني وحماس، التي لها مقرات في دمشق. وفي ١٢ كانون الأول ٢٠٠٣ وقع الرئيس بوش على قانون محاسبة سورية واستعادة سيادة لبنان لعام ٢٠٠٣. دعا القانون إلى اتخاذ إجراءات في حق سورية إذا لم تكف عن دعم ما اسماه " الإرهاب" وإذا لم تنسحب من لبنان. واصلت الإدارة الأمريكية الضغط على سورية؛ وبعد تدخل سورية في انتخابات الرئاسة اللبنانية، صدر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٥٥٩ الداعي إلى انسحاب سورية من لبنان. نفذت سورية القرار ظاهرياً فسحبت جميع قواتها من لبنان بحلول شهر نيسان ٢٠٠٥ عقب اغتيال السياسي اللبناني واسع الشعبية رفيق الحريري.

تجدد إشارات السلام من جانب سورية. عقب إقرار قانون محاسبة سورية في الولايات المتحدة أعلنت سورية أنها مستعدة لتجديد المفاوضات مع إسرائيل من أجل التوصل إلى اتفاقية سلام، وذلك من غير شروطٍ مسبقة. لكنها قالت إن من الواجب استئناف المفاوضات من حيث توقفت. كررت سورية هذه الدعوة مرات كثيرة خلال تشرين الثاني ٢٠٠٤. كانت العبارة المطروحة في بعض الأحيان هي التفاوض "دون شروط" وفي أحيان أخرى دعا السوريون إلى مفاوضات "دون شروط قائمة على وديعة رابين" (أي وعد إسحاق رابين بالانسحاب حتى

خطوط وقف إطلاق النار عام ١٩٤٩) . كانت استجابة إسرائيل لهذه البوادر باردة لأن الولايات المتحدة لم تضغط عليها من أجل استئناف المفاوضات ولأن حكومة الرئيس الأسد واصلت دعم حزب الله وجماعات "المقاومة" الفلسطينية. ومع أن الرئيس الإسرائيلي كنساف دعا إلى التقاط مبادرة السلام السورية فقد أصر رئيس الوزراء آرييل شارون ووزير خارجيته على أن على سورية، قبل بدء المحادثات، أن توقف الدعم الذي تقدمه للمقاومة. اغتالت إسرائيل القيادي في حماس عز الدين الشيخ خليل في سورية يوم ٢٦ أيلول ٢٠٠٤. والظاهر أنها حاولت أيضاً في كانون الأول اغتيال قائد آخر في حماس في دمشق .

وفاة ياسر عرفات

عرفات مع كبير حاخامي اسرائيل

توفي رئيس السلطة الفلسطينية، زعيم منظمة التحرير الفلسطينية المزمن ، ياسر عرفات في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤ تاركاً خلفه مستقبلاً غير واضح. ثمة بعض المؤشرات إلى أن وفاة عرفات فتحت إمكانيات جديدة من أجل السلام، وكذلك من أجل الإصلاح والديمقراطية في السلطة الفلسطينية.

بدأ التحضير للانتخابات الفلسطينية بطريقة منظمة؛ وكان محمود عباس أبرز المرشحين. وأعلن قائد كتائب شهداء الأقصى مروان البرغوثي، من السجين لدى إسرائيل بسبب صلته بكثير من الهجمات الاستشهادية ، عن ترشيح نفسه بصفته مرشحاً مستقلاً. لكنه سحب ترشيحه أواسط شهر كانون الأول تحت ضغط من حركة

فتح. تكررت وعود عباس خلال حملته الانتخابية بمواصلة القتال من أجل الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس ومن أجل حق عودة اللاجئين الفلسطينيين. لكنه قال لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية إن الانتفاضة العنيفة كانت خاطئة وإن على الفلسطينيين السعي إلى تحقيق أهدافهم بالوسائل الدبلوماسية. وجرى تقليل التحريض ضد إسرائيل في الإعلام الفلسطيني بتوجيهاتٍ صدرت عن عباس. لم تقع خلال هذه الفترة هجمات عنيفة ناجحة ضد المدنيين داخل إسرائيل؛ لكن جرى إطلاق قذائف الهاون على المستوطنات الإسرائيلية في غزة إضافةً إلى قيام فلسطينيين بنسف نقطة حدودية عسكرية إسرائيلية عند الحدود بين غزة ومصر. واصلت إسرائيل اعتقال قادة المقاومة الفلسطينيين واغتيالهم وواصلت احتلال مدن الضفة الغربية وشن الغارات على بعض الأهداف في غزة رداً على ما يقوم به الفلسطينيون، كما واصلت هدم البيوت وتخريب كروم الزيتون ومضايقة الفلسطينيين عند حواجز التفتيش. قتل كثير من الأطفال الفلسطينيين في هذه الغارات. وقد وجهت انتقادات إلى الجيش الإسرائيلي في إسرائيل والخارج بسبب لامبالاته بأرواح المدنيين وباحتمال ارتكابه جرائم حرب.

العلاقات مع مصر. بعد وفاة عرفات تحسنت العلاقات الإسرائيلية المصرية وخاطب الرئيس المصري حسني مبارك رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون بكلماتٍ دافئة. وفي أوائل كانون الأول أطلقت مصر سراح الإسرائيلي عزام عزام الذي مضت عليه ثمانية أعوام في السجن بسبب اتهامه بالتجسس، وهو اتهام ينكره عزام. وفي الوقت عينه أطلقت إسرائيل سراح ستة طلاب مصريين اتهموا بالتآمر لقتل جنود إسرائيليين. وفي وقتٍ لاحق أطلقت إسرائيل سراح عدد من السجناء الفلسطينيين في "بادرة تجاه مصر" رغم ما قيل عن عدم وجود صلة بين الإجراءات المصرية والإسرائيلية. وفي أواسط كانون الأول وقعت كل من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة معاهدة المناطق الصناعية المؤهلة التي تمنح مصر مزايا تجارية في الولايات المتحدة الأمريكية لقاء المشاريع المشتركة بين مصر وإسرائيل. قام وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط ورئيس المخابرات المصرية عمر سليمان بزيارة القدس. ورغم تحسن العلاقات لم تعد مصر سفيرها إلى إسرائيل بعد أن استدعته في أعقاب انفجار أحداث العنف عام ٢٠٠٠.

عباس يخلف عرفات

تم انتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة الفلسطينية في ٩ كانون الثاني ٢٠٠٥ إذ حصل على ٦١% من الأصوات. ونال أهم منافسيه، مصطفى البرغوثي، ٢٠%. ومع مشاركة أكثر من ٦٠% ممن يحق لهم الانتخاب، رغم الصعوبات الناجمة عن الاحتلال الإسرائيلي ومقاطعة الانتخابات من قبل الجماعات الإسلامية. وجه الرئيس الأمريكي جورج بوش الدعوة إلى عباس بزيارة واشنطن بعد سنواتٍ طويلة من امتناع البيت الأبيض عن استقبال أي زعيم فلسطيني. وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون أنه يعتزم الاتصال بعباس والتخطيط لعقد اجتماع بينهما.

حكومة الوحدة الوطنية في إسرائيل

بسبب عدم رضا اليمين الإسرائيلي عن خطة فك الارتباط التي طرحها رئيس الوزراء آريل شارون قرر الحزب الوطني الديني ترك الحكومة وحاول أعضاء منشقون من حزب الليكود الحاكم بزعامة شارون منع تشكيل حكومة وحدة وطنية مع حزب العمل. جرى إخراج حزب الوسط شينوي من الحكومة وتم تشكيل تحالف مع حزب العمل الإسرائيلي وحزب التوراة الموحد. فازت الحكومة الجديدة بثقة الكنيست بفارقٍ بسيط (٥٨ مقابل ٥٦) مع امتناع عدد من نواب حزب الليكود عن التصويت.

مؤتمر شرم الشيخ

دعا الرئيس الفلسطيني محمود عباس بعد انتخابه جميع الفصائل الفلسطينية لإنهاء العنف والتفاوض على اتفاقية هدنة وتم نشر قوات الشرطة الفلسطينية في قطاع غزة مع أوامر واضحة بمنع الهجمات الإرهابية. اتفقت الأطراف على عقد مؤتمر قمة تستضيفه مصر في شرم الشيخ يوم ٨ شباط ٢٠٠٥. وفي ذلك المؤتمر الذي حضره الملك الأردني الملك عبد الله والرئيس المصري مبارك إضافة إلى الزعيمين الإسرائيلي والفلسطيني، أعلن الجانبان إنهاء العنف. وقالت التقارير الصحفية إن إسرائيل ستطلق سراح أكثر من ٩٠٠ سجين فلسطيني وتنسحب تدريجياً من المدن الفلسطينية. وأعلنت مصر والأردن عن إعادة سفيريهما إلى إسرائيل. اعتبرت الانتفاضة منتهية من الوجهة الرسمية. لكن، وعلى غرار ما كان يحدث بعد القمم التي من هذا النوع، سرعان ما تحطمت آمال السلام بفعل تفجير استشهادي في تل أبيب يوم ٢٥ شباط كان من الواضح أن حركة الجهاد الإسلامي التي تسيطر

عليها دمشق هي من ارتكبه. أعلنت إسرائيل تجميد التسليم المخطط للمدن الفلسطينية إلى قوات الأمن الفلسطينية. أدان محمود عباس التفجير وقامت السلطة الوطنية الفلسطينية بالاعتقالات بين الناشطين الفلسطينيين بهدف منعهم من مقاومة اسرائيل.

قرار فك الارتباط

بُعيد مؤتمر شرم الشيخ- وافق الكنيست الإسرائيلي على خطة فك الارتباط ثم وافقت عليها الحكومة الإسرائيلية يوم ٢٠ شباط. دعت هذه الخطة إلى إخلاء من جانب واحد لإحدى وعشرين مستوطنة في غزة وأربع مستوطنات في الضفة الغربية مع حلول صيف ٢٠٠٥. وكان من المفترض أن يجري تنسيق فك الارتباط مع السلطة الفلسطينية. وقد وعد محمود عباس الذي كان رئيساً للوزراء في ذلك الوقت بالمساعدة على ضمان الهدوء أثناء إخلاء المستوطنات.

مؤتمر لندن

عقد في لندن يوم ١ آذار ٢٠٠٥ مؤتمر استضافته بريطانيا. كان هدف المؤتمر تنظيم الدعم المالي للحكومة الفلسطينية والمساعدة في تنظيم قوات الأمن الفلسطينية. لم تحضر إسرائيل هذا المؤتمر ولم يتم التعرض المباشر للقضايا الثنائية. لكن الرئيس الفلسطيني عباس قال إن إنهاء الاحتلال وتحقيق السلام هدفان يتصدران أولويات الفلسطينيين.

مؤتمر القاهرة والتهدئة

اجتمعت الجماعات المقاتلة الفلسطينية في القاهرة أواسط شهر آذار ووافقت على التهدئة التي كانت أقل من هدنة. بدأت تحركات حماس والجهاد الإسلامي من أجل الانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية. وأعلنت حماس اعتزامها المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني المقرر إجراؤها في أيار. انسحبت إسرائيل من أريحا؛ ثم انسحبت من طولكرم بعد أسبوع. أوقفت إسرائيل انسحابها من مدينة فلسطينية ثالثة في ذلك الشهر لأنها زعمت أن السلطة الفلسطينية لم تكن تقوم بنزع أسلحة من الفلسطينيين وفقاً لما تنص عليه خطة

الطريق . واصلت إسرائيل خلال هذه الفترة اعتقال مقاتلين يقومون بالتخطيط لشن هجمات أو بتهريب الأسلحة؛ لكن قوات السلطة الفلسطينية قامت أيضاً برصد وإجهاض نشاطات فلسطينية اخرى . وفي نهاية آذار قام مقاتلون من كتائب شهداء الأقصى بإطلاق النار على مقر عباس في رام الله بسبب سخطهم إزاء التغيرات في السلطة الفلسطينية . ورغم إعلان السلطات انتهاج سياسة متشددة مع المنشقين أعاد عباس حساباته وقرر محاولة تلطيف الاختلافات . وقد استقال رئيس المخابرات الفلسطينية في الضفة الغربية توفيق الطيراوي بسبب ضعف الجهود المبذولة من أجل تحقيق سيادة القانون، كما كتب يقول .

القمة العربية واقتراح السلام

تجاهلت القمة العربية المنعقدة في الجزائر معظم القضايا الملحة في العالم العربي ورفضت مبادرة سلام جديدة قدمها ملك الأردن عبد الله . وبدلاً من ذلك كررت القمة دعمها لمبادرة السلام السعودية التي اعتمدتها قمة بيروت عام ٢٠٠٢ ورفضتها إسرائيل . وقد أشارت إسرائيل إلى أن هذه المقترحات غدت قديمة الآن بفعل التغيرات التي طرأت على واقع الشرق الأوسط .

النقاط العسكرية غير الشرعية

في آذار ٢٠٠٥ وافقت الحكومة الإسرائيلية على تقرير عن النقاط العسكرية جرى إعداده من قبل تاليا ساسون بناءً على طلب من الحكومة . يتحرى التقرير أوضاع عدد كبير من النقاط العسكرية غير الشرعية التي تمت إقامتها في الضفة الغربية من غير موافقة رسمية أو تفويض حكومي بعد آذار ٢٠٠١ . ثمة ٢٠ – ٣٠ نقطة عسكرية كان من المفترض إخلاؤها بموجب خريطة الطريق . وقد فشلت قرارات ومحاولات حكومية متكررة لإخلاء هذه النقاط . شكلت الحكومة لجنة لدراسة التقرير، لكنها لم تتخذ أي إجراء .

الجدل بشأن المستوطنات

كان الفلسطينيون مستائين من تواصل بناء السياج الأمني الذي يعزل أحياء فلسطينية في القدس، وكذلك من الخطط الإسرائيلية المعلنة لبناء عدة آلاف من الوحدات السكنية الجديدة في المنطقة (E1) قرب مستوطنة معالي أدوميم شرقي القدس. إن مستوطنة معالي أدوميم تقع ضمن أراضي إسرائيل بموجب اتفاقية جنيف، لكن خريطة الطريق تمنع البناء في المستوطنات. وفي رسالة بعثها إلى آريل شارون رداً على إعلان شارون رسمياً عن خطة فك الارتباط، قال الرئيس بوش إن على حدود الاستيطان النهائية أن تأخذ في حسبانها التغيرات الناجمة عن ارتفاع كثافة السكان الإسرائيليين في المناطق المحتلة. لعل الإعلان الإسرائيلي كان مصمماً من أجل اختبار هذا التصريح ومن أجل تعزيز شعبية شارون الواسعة في أوساط مؤيدي اليمين الإسرائيلي. في البداية، شجب كل من وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس والسفير دان كورتزر التصريح الإسرائيلي. وقد أثار رد فعلهما سخط منتقدي شارون اليمينيين وسخط رئيس الوزراء السابق إيهود باراك الذي زعم أن هذا دليل على عدم قيمة الوعود الأمريكية. غير كورتزر ورايس أقوالهما وأنكرا وجود خلاف في الرأي مع الإسرائيليين فيما يخص خطط الاستيطان.

الحركة من غير اتجاه

خلال شهري نيسان وأيار زار الرئيس الأمريكي كل من آريل شارون ومحمود عباس. كانت هذه الزيارة كبيرة الأهمية من الناحية الرمزية لأنها دليل على أن الولايات المتحدة أنهت عزلة السلطة الفلسطينية التي بدأت عندما فشل عرفات في اتخاذ أي إجراء ضد المقاومة. وعد الرئيس بوش الفلسطينيين بمساعدات مباشرة بقيمة ٥٠ مليون دولار إضافة إلى مبالغ أكبر مخصصة لتقديم المساعدة من خلال المنظمات غير الحكومية. وصرح بوش أن خطوط هدنة ١٩٤٩ هي أساس أي اتفاق. أثارت هذه النقطة الأخيرة جدلاً في إسرائيل لسبب ما، ومن ثم اتضح أنها متفقة مع صياغة الرسالة التي سلمها بوش إلى شارون في نيسان ٢٠٠٤. وبرغم ذلك الصخب كله، لم ينتج عن اجتماع بوش مع شارون أو مع عباس أي تغير واضح في عدم استعداد إسرائيل لتقديم تنازلات للفلسطينيين أو في عدم استعداد الفلسطينيين لاتخاذ خطوات حاسمة لإنهاء االعنف من خلال اعتبار فصائل المقاومة خارجة على القانون وتجريدهم من أسلحتهم ومكافحة هجماتهم مكافحة فعالة واعتقال المطلوبين وجمع

الأسلحة غير الشرعية. أطلق الإسرائيليون سراح نحو ٤٠٠ سجين فلسطيني كبادرة حسن نية تجاه عباس. وكان من بين هؤلاء، للمرة الأولى، سجناء "تلطخت أيديهم بالدم" ممن شاركوا في هجمات سقط فيها قتلى أو جرحى. لكن الفلسطينيين قللوا من شأن هذه البادرة واعتبروها عديمة المعنى لأن معظم هؤلاء السجناء شارفوا على إنهاء أحكامهم ولأن عدداً ضخماً من السجناء ما يزال في سجون إسرائيل. وأشار الفلسطينيون إلى أن إسرائيل لم تطلق سراح أي سجين معتقل منذ ما قبل عام ١٩٩٤؛ وبالتالي فإن السجناء المطلق سراحهم لا يحققون الشروط المتفق عليها في شرم الشيخ. . استمرت الهجمات الفلسطينية، وخاصةً باستخدام الصواريخ وقذائف الهاون التي تستهدف مستوطنات غزة وبلدات منطقة النقب. سافر الرئيس عباس إلى غزة وحصل على التزام غير متحمس من قبل الفصائل المتطرفة باحترام التهدئة طالما احترمتها إسرائيل؛ لكن هذا لم يحل دون تواصل الهجمات الفلسطينية والانتقامات الإسرائيلية واعتقال المطلوبين. ألقت إسرائيل القبض على استشهادي فلسطيني يبلغ ١٥ عاماً عند حاجز تفتيش في الضفة الغربية، ثم ألقت القبض في وقت لاحق على شابة كانت في طريقها إلى تنفيذ هجمة انتحارية ضد مستشفى إسرائيلي. وكانت كتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح هي من أرسلها. تقول الإحصائيات الفلسطينية إن إسرائيل قتلت ٤٠ فلسطينياً في تلك الفترة وجرحت ٤١١ واعتقلت نحو ١٠٠٠ مدني كان سبب اعتقال معظمهم هو تجاوز مدة تصريح الإقامة في إسرائيل. كان أكثر القتلى من الرجال المطلوبين أو ممن في سبيلهم إلى شن هجمات استشهادية. وفي أواخر حزيران وصلت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس فاجتمعت مع الجانبين وأعلنت أنهما وافقا على تدمير المنازل في مستوطنات غزة بعد انسحاب إسرائيل.

وفي ٢١ حزيران ٢٠٠٥ اجتمع شارون وعباس في قمة طال انتظارها. لكن هذه القمة لم تسفر عن أي نتيجة ظاهرة إلا تصريح آرييل شارون بأنه حصل على موافقة الفلسطينيين على تنسيق عملية الانسحاب من غزة. لن تقدم إسرائيل أي تنازلات فيما يخص الأمن إلا إذا تحرك الفلسطينيون ضد من تسميهم الإرهابيين، ولن يتخذ الفلسطينيون أي إجراء حاسم ضدهم. لم يصدر أي إعلان عن القمة. وأعلنت القيادة الفلسطينية عن عدم رضا عميق. قال الفلسطينيون إن عدداً كبيراً من المطلوبين أعلنوا استعدادهم للانضمام إلى الشرطة الفلسطينية في حين قال الإسرائيليون إنهم أقنعوا وكالة المساعدات الأمريكية (US AID) بتقديم ٥٠٠ مليون دولار إلى المستشفيات الفلسطينية على شكل معدات طبية. أما من ناحيتها، فقد أنهت الولايات المتحدة الحظر الذي فُرض منذ ١٨ شهراً على الزيارات الدبلوماسية إلى غزة عندما قتل موظفو إغاثة في هجومٍ، وعند ذلك استؤنفت

زيارات الدبلوماسيين الأمريكيين إلى غزة . ومع عودة العنف بعد القمة، شنت إسرائيل غارات جوية ضد منصات إطلاق الصواريخ في غزة فقتلت كثيراً من حركة الجهاد الإسلامي وأعلنت أنها سوف تستأنف سياسة استهداف قادة هذه الجماعة بالقتل .

وفي فلسطين تواصلت المظاهرات (بل حتى الهجمات المسلحة) ضد القيادة الفلسطينية . وواصلت شعبية حماس ارتفاعها (وهي الآن تعتزم خوض الانتخابات التشريعية)، ولعلها ازدادت بفعل اجتماعات، فعلية أو من صنع الشائعات، جرت بين مسؤولين في الاتحاد الأوروبي وبين ممثلين من حماس، وبفعل وجود دعوات متكررة في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بحماس . دعا رئيس الوزراء البريطاني والرئيس عباس حماس إلى وقف العنف والانضمام إلى العملية السلمية، لكن حماس رفضت في البداية مع قبولها بهدنة قصيرة المدى . أعلن الرئيس عباس عن تأجيل الانتخابات التشريعية عدة أشهر من أجل تعديل قانون الانتخابات . وفي أوائل شهر أيلول وجه عباس الدعوة إلى حماس والجهاد الإسلامي للانضمام إلى حكومة وحدة وطنية .

يعزى الاستعصاء الذي شهدته هذه الفترة إلى عوامل كثيرة . لم يكن أي جانب يملك القوة السياسية الكافية لتقديم تنازلات فيما يخص قضايا الحل النهائي . لا معنى لتلك المفاوضات مع إصرار شارون على عدم إمكانية تقسيم القدس ومع إصرار عباس على أن تكون القدس عاصمة للفلسطينيين وعلى عدم تقديم أي "تنازل" فيما يخص عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى إسرائيل . كان على عباس تحقيق الفوز لحركة فتح في الانتخابات التشريعية وما كان قادراً على فعل أي شيء يمكن أن يستعدي المتعاطفين مع المتطرفين . ومن ناحيةٍ أخرى كان شارون قد بذل كل ما لديه من أجل عملية فك الارتباط في غزة فما عاد قادراً على توفير أي دعم سياسي لتنازلات أخرى . فإن حدث عنف فلسطيني بعد تقديم أي تنازل، فقد يستخدم ذريعة إيقاف تنفيذ فك الارتباط . ومع تواصل الهجمات الفلسطينية على المستوطنات وتواصل تحريض اليمين الإسرائيلي ضد خطة فك الارتباط، تراجع تأييد الإسرائيليين للانسحاب من أكثر من ٦٥% إلى نحو ٥٠% . لكن رئيس الأركان الإسرائيلي الجديد دان حالوتس أشار إلى أن الأحداث العسكرية العارضة لن توقف فك الارتباط . يمكن وقف فك الارتباط من خلال قرار سياسي فقط . وقد هددت إسرائيل أيضاً بأنها ستتخذ، عند الضرورة، إجراءات حاسمة لضمان عدم تعرض المستوطنين والجنود للهجمات خلال عملية الإخلاء .

الاحتجاجات على فك الارتباط

نفذ المستوطنون المحتجون على فك الارتباط احتجاجات متزايدة الشدة تضمنت قطع طرق في إسرائيل وأعمال عنف ضد الفلسطينيين والشرطة وجنود الجيش الإسرائيلي، وكذلك دعوات إلى الجنود تحثهم على رفض المشاركة في إخلاء المستوطنين. وفي نهاية حزيران حاول مؤيدو المستوطنين (الذين اتخذوا مسكناً لهم في فندق ماوزيام المهجور في غزة) الاستيلاء على منازل فلسطينية وهاجموا شاباً فلسطينياً عمره ١٨ عاماً.

داهمت الشرطة الإسرائيلية الفندق وأخرجت المستوطنين بالقوة. وفي ١٣ تموز، أغلقت الحكومة الإسرائيلية قطاع غزة أمام مواطنين إسرائيليين من غير سكان المستوطنات كانوا يعتزمون القيام بمسيرة نظمها مجلس المستوطنات.

العلاقات مع مصر

بعد وفاة عرفات تحسنت العلاقات الإسرائيلية المصرية وخاطب الرئيس المصري حسني مبارك رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون بكلماتٍ دافئة. وفي أوائل كانون الأول أطلقت مصر سراح الإسرائيلي عزام عزام الذي مضت عليه ثمانية أعوام في السجن بسبب اتهامه بالتجسس، وهو اتهام ينكره عزام. وفي الوقت عينه أطلقت إسرائيل سراح ستة طلاب مصريين اتهموا بالتآمر لقتل جنود إسرائيليين. وفي وقتٍ لاحق أطلقت إسرائيل سراح عدد من السجناء الفلسطينيين في "بادرة تجاه مصر" رغم ما قيل عن عدم وجود صلة بين الإجراءات المصرية والإسرائيلية. وفي أواسط كانون الأول وقعت كل من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة معاهدة المناطق الصناعية المؤهلة التي تمنح مصر مزايا تجارية في الولايات المتحدة الأمريكية لقاء المشاريع المشتركة بين مصر وإسرائيل. قام وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط ورئيس المخابرات المصرية عمر سليمان بزيارة القدس. ورغم تحسن العلاقات لم تعد مصر سفيرها إلى إسرائيل بعد أن استدعته في أعقاب انفجار أحداث العنف عام ٢٠٠٠.

وبعد تبين عجز الغارات الجوية الإسرائيلية في إيقاف صواريخ حزب الله أو في التوصل إلى قرار مرضٍ من أجل وقف إطلاق النار، نفذت إسرائيل غزواً برياً محدوداً في لبنان ترافقت فيه التحركات المتقطعة غير الحاسمة مع تصريحات هجومية من جانب شخصيات إسرائيلية عامة. تواصلت الجهود من أجل التوصل إلى وقف إطلاق نار يكون مرضياً للطرفين. كانت مطالب إسرائيل الرئيسية هي تطبيق قراري مجلس الأمن ١٥٥٩ و١٦٨٠ (أي نزع سلاح

حزب الله) ونشر الجيش اللبناني حتى الحدود وانتزاع السيطرة في جنوب لبنان من يد حزب الله، إضافة إلى إعادة الجنديين المختطفين. وقد أرادت إسرائيل والولايات المتحدة أيضاً وجود قوة دولية قوية تشرف على نزع سلاح حزب الله. أما المطالب اللبنانية الرئيسية فتجسدت في خطة من سبع نقاط تضمنت نشر الجيش اللبناني في جنوب لبنان لكنها لم تتضمن نزع سلاح حزب الله. أصر اللبنانيون أيضاً على إعادة السجناء اللبنانيين الذين تحتجزهم إسرائيل وعلى انسحاب إسرائيلي فوري من الأراضي اللبنانية. وطلب لبنان أيضاً استعادة مزارع شبعا التي تحتلها إسرائيل. كانت الأمم المتحدة قد قررت في عام ٢٠٠٠ أن مزارع شبعا (الواقعة في مرتفعات الجولان) جزء من سورية. أما سورية فقد رفضت في ذلك الوقت ترسيم الحدود مع لبنان، لكنها قالت إنها تؤيد المطالب اللبنانية.

في ١١ آب، تصاعد الهجوم الإسرائيلي الذي لم تكن له خطة واضحة عندما بدا أن الجهود الرامية إلى تحقيق وقف إطلاق النار قد باتت في حالة استعصاء. وبدأت القوات الإسرائيلية تتقدم بالقوة باتجاه نهر الليطاني الذي يبعد ٣٠ كم إلى الشمال من الحدود الإسرائيلية اللبنانية. لكن مجلس الأمن الدولي اجتمع في ذلك الوقت وأصدر القرار رقم ١٧٠١ الداعي إلى وقف الأعمال القتالية وإلى نشر الجيش اللبناني في جنوب لبنان، مع صياغة غامضة فيما يخص عدد من المسائل. أوقف الجانبان القتال يوم ١٤ آب ٢٠٠٦. وأثار سوء الأداء في هذه الحرب عاصفة من الانتقادات في إسرائيل؛ كما أثار الهجوم الإسرائيلي غضباً واسعاً في العالم العربي وكان الجيش الاسرائيلي الذي هاجم لبنان قد مني بهزيمة نكراء واسقطت عنه اسطورة الجيش الذي لا يقهر . . فقد مرغ مقاتلو حزب الله اللبناني انوف ذلك الجيش بالتراب بعد ان حقق نصرا كبيرا عليه . . ودمر معظم قواته الغازية .

الإدانات

أدانت منظمات حقوق الإنسان الدولية، والأمم المتحدة، إسرائيل بسبب جريمة الحرب المتمثلة في استخدام القنابل العنقودية في جنوب لبنان. لكن الاتفاقيات الدولية لا تحرم استخدام هذه القنابل، وقد استخدمت في نزاعات سابقة. وقد زعمت تلك المنظمات أيضاً أن إسرائيل تستهدف المدنيين عمداً. لكن تقريراً لمنظمةٍ إسرائيلية غير حكومية صدر في كانون الأول وجد أن مقاتلي حزب الله كانوا يختبئون بين السكان المدنيين وأن نحو ٧٠٠ من القتلى اللبنانيين في هذه الحرب هم من مقاتلي حزب الله. وفي وقتٍ لاحق، أدانت بعض مجموعات حقوق

الإنسان (من بينها منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش) حزب الله أيضاً بسبب الإطلاق العشوائي للصواريخ. لكن مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة الذي أصدر ثمانية إدانات لإسرائيل خلال عام ٢٠٠٦ امتنع عن إدانة الانتهاكات التي نسبت الى حزب الله أو حركة حماس.

ظل الجنديان الإسرائيليان أسيرين لدى حزب الله. وفي كانون الأول تم الكشف عن أنهما جرحا أثناء أسرهما وأن حالتهما الصحية غير مؤكدة. ظلت الحدود هادئة رغم تواصل عملية إعادة تسليح حزب الله من قبل سورية بخطى حثيثة. وفي ٢١ تشرين الثاني جرى اغتيال السياسي اللبناني المعادي لسورية بيير الجميل. وفي الأول من كانون الأول، بعد موافقة حكومة فؤاد السنيورة على طلب إنشاء محكمة دولية لمحاكمة قتلة رفيق الحريري، انسحب وزراء حزب الله من الحكومة اللبنانية وقامت حشود كبيرة منظمة من أنصار حزب الله بمحاصرة مقر رئاسة الحكومة وإسقاط الحكومة اللبنانية. وقد قيل إن المتظاهرين كانوا يطالبون بتمثيل أنصار حزب الله في الحكومة بنسبة الثلث، أو بتعديل الدستور بحيث يوفر تمثيلاً عادلاً للشيعة، أو بحكومة وحدة وطنية. الثلث أو بتعديل الدستور بحيث يوفر تمثيلاً عادلاً للشيعة، أو بحكومة وحدة وطنية.

العنف في غزة

خلال الهجوم الإسرائيلي على لبنان وبعده تواصلت عمليات جيش الدفاع الإسرائيلي من غير هوادةٍ في غزة مع مواصلة الفلسطينيين إطلاق صواريخ القسام على غربي النقب ومع إصرار حماس على أنها ملتزمة بالهدنة. ظلت حكومة حماس تتلقى المال من إيران والدول العربية. وقد كانت هذه الأموال تدخل غزة تحت أعين المراقبين الأوروبيين غير اليقظة في معبر رفح. هذا في حين تقدر كمية الأسلحة التي جرى تهريبها إلى غزة عبر أنفاقٍ تم حفرها من الجانب المصري من الحدود بنحو ٣٠ طناً. ولم تفعل الحكومة المصرية الشيء الكثير لوقف هذه النشاطات.

وخلال شهري تشرين الأول والثاني أطلق الفلسطينيون كمية كبيرة جداً من صواريخ القسام على غربي النقب وعلى بلدة سديروت خاصةً فقتلوا ثلاثة إسرائيليين. وقد كشفت عملية قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي في رفح عن وجود شبكة واسعة من الأنفاق المستخدمة في التهريب. لكن عمليات الجيش الإسرائيلي في شمال غزة الهادفة إلى إيقاف إطلاق صواريخ القسام توقفت تحت ضغطٍ دولي متزايد مع قتل إسرائيل أكثر من ٥٠ فلسطينياً

من بينهم كثير من المدنيين. كانت الغاية من العمليات في شمال غزة وقف إطلاق صواريخ القسام، لكنها لم تحقق أي نتيجة. وفي إحدى الغارات، لجأ مقاتلون فلسطينيون الى مسجد ثم بمساعدة نساء تطوعن بلعب دور الدروع البشرية. قتل جيش الدفاع الإسرائيلي عدداً من تلك النساء. وفي ٨ تشرين الثاني، أي عقب الانسحاب الإسرائيلي، أثارت رشقة مكثفة من صواريخ القسام رداً إسرائيلياً عن طريق القصف. لكن القذائف أخطأت هدفها فأصابت حياً سكنياً وقتلت عشرين مدنياً فلسطينياً. وأما المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين من أجل إعادة الجندي المختطف جلعاد شاليط فقط ظلت من غير تقدم مع مطالبة الفلسطينيين بإطلاق سراح أكثر من ألف سجين فلسطيني.

الهدنة

في ٢٦ تشرين الثاني أعلن الفلسطينيون والإسرائيليون عن هدنة مفاجئة تسري في قطاع غزة فقط. ورغم استمرار صواريخ القسام التي يطلقها الفلسطينيون خلال الأيام التالية لإعلان الهدنة الا ان الهدنة لم تنهار. وفي اليوم الذي أعقب الهدنة، أي ٢٧ تشرين الثاني، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت عن مبادرة دبلوماسية إسرائيلية جديدة تعرض السلام على الفلسطينيين والدول المجاورة بما ينسجم مع مبادرة السلام العربية. كانت تلك هي المرة الأولى التي يشير فيها الإسرائيلي إلى المبادرة العربية إشارة غير ايجابية بطبيعة الحال. رحب الرئيس الفلسطيني محمود عباس بهذه الكلمة طبيعي ان يرحب عباس وسلطته بهذا الاعلان من جانب اسرائيل.. أما قادة حماس فقد رفضوها. ومن الولايات المتحدة، صدر تقرير "مجموعة دراسة العراق" الذي أوصى بمساهمة أمريكية فعالة في عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية فأعطى دفعةً للحديث عن المفاوضات السلمية.

تكرر خرق الهدنة في غزة بفعل رشقات من صواريخ القسام على البلدات الإسرائيلية. واعلنت حركة الجهاد الإسلامي أنها غير ملتزمة بالهدنة ما لم تشمل الضفة الغربية أيضاً. الا ان اسرائيل ادعت بأن حزب الله كان يدفع آلاف الدولارات مقابل إطلاق كل صاروخ من صواريخ القسام... ومن الطبيعي ان يكون هذا افتراء على حزب الله اللبناني أما الحكومة السورية التي كانت تريد استرجاع الجولان وكسر العزلة المفروضة عليها بسبب دورها في العنف في كل من لبنان والعراق وفلسطين فقد عرضت إجراء مفاوضات سلمية مع إسرائيل "من غير شروط

مسبقة" . لكن وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود أولمرت رفض هذا العرض زاعما إن سورية تواصل دعم المجموعات الإرهابية .

انتهاء الهدنة

في ١٣ تموز قام استشهادي من حركة الجهاد الإسلامي من طولكرم بتفجير في تانيا نتج عنه قتل خمسة أشخاص . احتل جيش الدفاع الإسرائيلي مدينة طولكرم واعتقل كثيراً من أعضاء الجهاد الإسلامي وقتل شرطياً فلسطينياً فتح النار على الجيش الإسرائيلي . انتقمت حماس في غزة بأن أمطرت مستوطنات غزة والبلدات الإسرائيلية بسيل من الصواريخ نجم عنه مقتل شخص واحد . ورداً على هذا شن جيش الدفاع هجمات صاروخية في غزة وطارد قادة عسكريين من حماس في منطقة الخليل مما أدى إلى قتل ٨ أو أكثر من أعضاء حماس، وقد قتل بعضهم وهم يهمون بإطلاق صواريخ جديدة . وفي ١٥ تموز اندلعت معركة عنيفة بين قوات السلطة الفلسطينية التي كانت تحاول استعادة النظام وبين عناصر حركة حماس في غزة . قتل مدنيان فلسطينيان في هذه المعركة .

واصلت إسرائيل اعتقال قادة المقاومة الفلسطينيين واغتيالهم وواصلت احتلال مدن الضفة الغربية وشن الغارات على بعض الأهداف في غزة رداً على ما يقوم به الفلسطينيون، كما واصلت هدم البيوت وتخريب كروم الزيتون ومضايقة الفلسطينيين عند حواجز التفتيش . قتل كثير من الأطفال الفلسطينيين في هذه الغارات . وقد وجهت انتقادات إلى الجيش الإسرائيلي في إسرائيل والخارج بسبب لامبالاته بأرواح المدنيين وباحتمال ارتكابه جرائم حرب .

قمة عباس ـ أولمرت

في ٢٣ كانون الأول اجتمع أخيراً رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت والرئيس الفلسطيني محمود عباس وأعلنا عن بعض التنازلات من أجل جعل الحياة أكثر سهولة على الفلسطينيين، بما في ذلك الإفراج عن أموال الضرائب التي جمدتها إسرائيل وإزالة عدد من حواجز التفتيش على الطرقات . لكن خطة الإفراج عن السجناء بمناسبة عيد الأضحى ألغيت . وافقت إسرائيل بعد القمة على نقل كمية كبيرة من الأسلحة من مصر إلى جماعة فتح الموالية للرئيس عباس . وألمحت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني في مؤتمر صحفي إلى مبادرة سلام جديدة .

اعتبرت هذه الخطوات محاولات لمساندة الرئيس عباس في صراعه مع حكومة حماس بقيادة إسماعيل هنية. . والاصح لزيادة التوتر بين السلطة وحركة حماس في غزة . . . ولكن حماس لم تستجب لمثل هذه التحريض المكشوف . .

حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية ومرحلة الفوضى

بعد صدور وثيقة الأسرى الفلسطينيين تواصلت المفاوضات من أجل تشكيل حكومة وحدة وطنية كانت اسرائيل وسلطة عباس تأملان ان تتمكن من الاعتراف بوجود إسرائيل ووقف العنف ونيل اعتراف الغرب بما يسمح للحكومات الغربية باستئناف تمويل السلطة الفلسطينية. حدد الرئيس عباس مهلة أسبوعين لتشكيل الحكومة، ثم جرى تأجيل الموعد، ثم جرى نسيانه؛ ثم انتهت المفاوضات بالفشل. وفي ١٦ كانون الأول أعلن محمود عباس حل الحكومة والدعوة إلى انتخابات جديدة إلا إذا وافقت حماس على قيام حكومة وحدة وطنية. لكنه لم يحدد موعداً لإجراء تلك الانتخابات. أدى هذا الطرح إلى تجدد العنف بين الفصائل الفلسطينية إذ راحت حماس تتهم فتح بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء إسماعيل هنية. فشلت محاولة لإقامة هدنة بين الجانبين، وتم إغلاق المدارس في غزة بسبب تزايد الفوضى. لكن الجانبين توصلا تحت رعاية سعودية في ٨ شباط ٢٠٠٧ إلى اتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية. لم ينص الاتفاق صراحةً على إعلان الاعتراف بإسرائيل أو على تلبية مطالب اللجنة الرباعية في نزع سلاح المقاومة كما كان يطلب عباس . ثم عقدت قمة ثلاثية بين محمود عباس وإيهود أولمرت ووزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس في ١٩ شباط، لكنها فشلت في زحزحة عباس عن موقفه أو في الحصول على تنازلات لصالح الفلسطينيين.

أعمال الإنشاء في جبل الهيكل/الأقصى تطلق شرارة الشغب

بدأت إسرائيل إعادة بناء نفق قرب المسجد الأقصى في القدس وفق مسار جديد . كان النفق قد انهار في عام ٢٠٠٤ . وكان المسار الجديد يمر على بعد ٨٠ متراً من الأقصى. ورغم موافقة الوقف الإسلامي على المشروع في البداية عاد الشيخ رائد صلاح، زعيم الحركة الإسلامية في إسرائيل، فزعم أن هذه الأعمال الإنشائية تلحق الضرر بالمسجد وهدد ببدء انتفاضة جديدة. أنكرت إسرائيل أن هذه الأعمال ضارة بالمسجد . وبعد احتجاجات

جرت في العالمين العربي والإسلامي علقت إسرائيل العمل في ذلك النفق لكنها واصلت عمليات التنقيب الأثري. نصبت إسرائيل كاميرات متصلة بالإنترنت من أجل إظهار ما تقوم به من عمليات ودعت الحكومة التركية إلى تفتيش الموقع. أعلنت تركيا وفريق من اليونسكو أن الأعمال التي قامت بها إسرائيل لم تسبب أي أذى، لكن فريق اليونسكو طلب من إسرائيل وقف الأعمال حتى يمكن وضعها تحت إشراف دولي. وفي تموز أعلنت السلطات الإسرائيلية إلغاء المشروع.

تفكك السلطة الفلسطينية

تواصلت حوادث معزولة نتج عنها إصابات بين المدنيين، إضافةً إلى اشتباكات بين مناصري كل من حماس وفتح، ثم تفاقم الوضع في غزة في عام ٢٠٠٦ وفي الجزء الأول من عام ٢٠٠٧. وترافق ذلك كله مع إطلاق يومي لصواريخ القسام على بلدة سديروت. وتضمنت حالة الفوضى قتل عدد من الفلسطينيين واختطاف فلسطينيين وأجانب. جرى اختطاف مراسل هيئة الإذاعة البريطانية ألان جونستون على يد جماعة طرحت مطالب متنوعة. وزعمت الحكومة الفلسطينية أنها غير قادرة على تحريره. لكن حماس حررته فعلاً في ٤ تموز في عملية وصفها الناطق باسم فتح ياسر عبد ربه بأنها "مسرحية مرتبة".

وفي حزيران ٢٠٠٧ اندلع قتال شديد بعد ما قيل من قيام ناشطين من فتح بإطلاق قنبلة ذات دفع صاروخي إلى داخل منزل رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، وهو أيضاً زعيم حركة حماس في غزة. انتقمت قوات حماس بمهاجمة ناشطي فتح الذين يفوقونها عدداً ومهاجمة الشرطة الفلسطينية التابعة لفتح وبقية القوات الحكومية في غزة. ورغم أن قوات حماس تقدر بأقل من ٣٠٠٠ مقاتل في حين يفترض أن قوات فتح تقارب ٤٠٠٠٠ عنصراً، تمكنت حماس من طرد فتح من جميع معاقلها. أظهر مقاتلو حماس تشددا يتوائم مع افعال الفتحاويين. اجتاحت حماس المستشفيات. وقامت بقتل عناصر من فتح. وفي ذلك القتال استولت حماس على كميات كبيرة من الأسلحة التي قدمتها الحكومة المصرية إلى قوات فتح. لم يكن محمد دحلان وغيره من كبار قادة فتح في قطاع غزة عندما بدأ ذلك القتال. وقد اشتكى مقاتلو فتح من أن أحداً لم يعطهم أمراً بالرد على النيران. تردد الرئيس الفلسطيني محمود عباس الذي يقع مقره في الضفة الغربية، لكنه لم يلبث أن أعطى أمراً بشن هجوم مضاد بعد أن ووجه باحتمال تمرد عناصر فتح في الضفة الغربية. لكن انهيار حركة فتح في غزة تواصل من غير توقف. وفي ١٤

حزبران أقال محمود عباس حكومة الوحدة الوطنية الموجودة في غزة وأعلن عن اعتزامه تشكيل حكومة جديدة من التكنوقراطيين المستقلين. فر مقاتلو فتح إلى مصر وإسرائيل عن طريق البر والبحر وعن طريق اسرائيل . وأما مقاتلو فتح المطلوبين من قبل السلطات الإسرائيلية فقد فضلوا تسليم أنفسهم لها على مواجهة حماس. تلقت الصحف الإسرائيلية طوفاناً من الفاكسات الواردة من غزة راجية إسرائيل أن تعيد احتلال قطاع غزة من أجل اسقاط حركة حماس . وفي الضفة الغربية راحت ميليشيات فتح وقوات الشرطة تعتقل مسؤولي حماس وناشطيها . عبر الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة عن موقف مساند لمحمود عباس. كما عبر وزراء الخارجية العرب عن دعمهم له لكنهم طالبوا في الوقت عينه بإعادة إنشاء حكومة الوحدة الوطنية. وصرح زعيم حركة حماس المقيم في دمشق خالد مشعل أن حماس لا تعتزم مواجهة الرئاسة الفلسطينية لكن ما قامت به كان ضرورياً من أجل استعادة النظام والتخلص من العناصر المسيئة. وأصرت حماس على أن زعماء من فتح مثل محمد دحلان خاصة، ليسوا إلا خونة متآمرين مع الأمريكيين والإسرائيليين. واعتبر أحد المتحدثين باسم حماس أن ما جرى من عنف كان تطبيقاً "للعدالة الإسلامية" . واطلقت اسرائيل والسلطة الفلسطينية الأكاذيب والادعاءات التي لا اساس لها من الصحة أن هذا العنف ما كان ليبدأ من غير موافقة من خالد مشعل؛ ومن المرجح أيضاً أنه أعطى الأوامر بذلك حيث ان مشعل واقع تحت سيطرة السوريين الذين يؤونه، وتحت سيطرة الإيرانيين الذين يقدمون تمويلاً كبيراً لحماس والذين هم من حلفاء سورية.

شهدت شعبية حماس في غزة وضعا مشدداً مع تدهور شروط المعيشة بسبب الحصار الإسرائيلي والدولي ولأن المقاومين راحوا يحاربون مظاهر الثقافة الغربية في غزة. . وفي تشرين الثاني تعرضت تظاهرة نظمتها فتح في ذكرى وفاة ياسر عرفات إلى قمع عنيف من قبل قوات الأمن التابعة لحماس التي قتلت سبعة أشخاص وجرحت خمسة وخمسين. ألقت حماس باللائمة في هذا العنف على حركة فتح. واصلت حماس استيراد كميات كبيرة من المتفجرات والأسلحة التي كانت تقوم بتهريبها إلى غزة عبر الأنفاق. اكتشفت قوات الأمن المصرية ٦٠ نفقاً في يوم واحد بعد احتجاج إسرائيل على تراخي مصر في مراقبة الحدود. وكانت حماس، وبقية الميليشيات، تطلق على منطقة النقب الغربي ما معدله صاروخ قسام واحد كل ثلاث ساعات في حين كانت إسرائيل تنفذ غارات انتقامية وقصفاً صاروخياً يستهدف طواقم إطلاق الصواريخ في غزة، إضافة إلى إغارات ليلية في الضفة الغربية من أجل إلقاء القبض على حمساويين مطلوبين.

مؤتمر أنابوليس

انطلاقاً من قرار القمة العربية تجديد مبادرة السلام العربية ومن الوضع الذي خلقته حماس من خلال استيلائها على السلطة في غزة، واستجابةً لدعوة تقرير "مجموعة دراسة العراق" إلى المضي في مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلسطينية، نظمت الولايات المتحدة قمة في مدينة أنابوليس في الفترة ٢٦ – ٢٨ تشرين الثاني. توقعت تنبؤات كثيرة بفشل هذه القمة. لكن الدول العربية، بما فيها سورية، حضرتها إضافة إلى الأمم المتحدة وممثلين عن مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوروبي وروسيا وجنوب أفريقيا، ودول أخرى. أطلقت إسرائيل سراح أكثر من ٤٠٠ سجين فلسطيني وزودت السلطات الفلسطينية بمواد الإغاثة. وسمحت إسرائيل أيضاً بنشر شرطة السلطة الفلسطينية في نابلس للحد من الجريمة التي تفشت فيها. اجتمع إيهود أولمرت ومحمود عباس عدة مرات من غير التوصل إلى اتفاق على إعلان مشترك من أجل تلاوته في قمة أنابوليس. تم التوصل إلى الإعلان المشترك في اللحظة الأخيرة بعد ضغوط شديدة مارسها الأمريكيون.

وفر هذا المؤتمر الاعتراف بمحمود عباس زعيماً للفلسطينيين، واتفقت إسرائيل مع الفلسطينيين على تجديد مفاوضات الوضع النهائي مع الإعراب عن الأمل في التوصل إلى اتفاق قبل نهاية عام ٢٠٠٨. وتعهد الطرفان بتطبيق خريطة الطريق بشكل متوازٍ مع قيام الولايات المتحدة بمراقبة التقدم في هذا الصدد. ولم يجر ذكر المشكلة التي تمثلها سيطرة حماس على قطاع غزة.

قام الرئيس الأمريكي جورج بوش بجولة في الشرق الأوسط في كانون الثاني ٢٠٠٨. لكن من الواضح أن جولته هذه فشلت في حشد الدعم لأهداف سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط التي كان من بينها مساندة سلام إسرائيلي فلسطيني يقوم على مفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية التي تهيمن عليها فتح. واصلت مصر والسعودية العمل من أجل رأب الصدع بين فتح وحماس؛ وهذا ما من شأنه إنهاء المفاوضات السلمية. لكن الإسرائيليين والفلسطينيين تعهدوا بإجراء مفاوضات جدية بشأن "القضايا الجوهرية" من قبيل قضيتي القدس واللاجئين. وصدرت عن الحكومة الإسرائيلية إعلانات متضاربة فيما يخص تجميد بناء المستوطنات في الضفة الغربية وفي أجزاء القدس التي ضمتها إسرائيل بعد حرب الأيام الستة.

ظل النظام الذي تقوده حماس في غزة العائق الأكثر وضوحاً في وجه السلام. وواصلت حركة الجهاد الإسلامي ولجان المقاومة الشعبية إطلاق صواريخ القسام وقذائف الهاون على بلدة سديروت وغيرها من الأهداف في

النقب الغربي؛ كما أطلقوا صاروخ غراد واحد على الأقل على مدينة أشدود . واستمرت إسرائيل في قصف طواقم إطلاق الصواريخ وزعماء مختلف المجموعات المسؤولة عن إطلاق الصواريخ من غزة فقتل بعض المدنيين وبعد ذلك انضمت حماس إلى عمليات إطلاق الصواريخ مع تصاعد توتر الأوضاع. قتل قناصون فلسطينيون معلماً متطوعاً اسمه كارلوس شافيز في كيبوتز عين هاشلوشا . وعمدت إسرائيل إلى تقييد السفر من غزة ودخول البضائع إليها وقررت قطع إمدادات الوقود عنها . أدت هذه الخطوات إلى التأكيد بأن إسرائيل تمارس سياسة العقاب الجماعي. وفي ٢٠ كانون الثاني قامت حماس بإيقاف محطة الكهرباء في غزة عن العمل في أعقاب قطع إمدادات الوقود في محاولة لجعل العالم يدين إسرائيل لأن هذه المحطة تنتج نحو ٢٠% من الكهرباء في غزة. لكن من غير الواضح ما إذا كان الوقود في محطة الكهرباء قد نفذ فعلاً. وبعد ثلاثة أيام قامت حماس بتفجير فتحات في الجدار الفاصل بين غزة ورفح بعد أشهر من التحضير جرى خلالها تخريب حديد التسليح فيه، وهذا ما سمح للآلاف من أهالي غزة بدخول مصر بحرية. ومن الواضح أن عدداً من عناصر حماس المسلحين أفلحوا في التسلل إلى سيناء مع جموع الناس التي تدفقت لشراء السلع من رفح. وبعد شيء من التردد قامت مصر بإغلاق الثغرات إغلاقاً جزئياً في ٢٨ كانون الثاني. وفي الأيام اللاحقة تبين أن الحدود لم تعد مغلقة وأن ناشطي حماس أعادوا فتح بعض أجزاء الجدار التي أغلقها المصريون. اعتقلت قوات الأمن المصرية أكثر من عشرة فلسطينيين تسللوا إلى سيناء .

اقترحت السلطة الفلسطينية بقيادة محمود عباس تولي الإشراف على المعابر الحدودية التي هجرها المراقبون الأوروبيون عندما تولت حماس السلطة. وأصرت حماس على حقها في وضع دورياتها على المعابر الحدودية معلنة عن عدم قبولها العودة إلى الوضع السابق الذي كان يسمح للإسرائيليين والأوروبيين بمنع دخول الأسلحة والأموال والمقاتلين. . . . صحيح أن حماس عارضت عودة المراقبين الأوروبيين في البداية لكنها عادت فخففت موقفها بعد عدة أيام.

أعاد المصريون إغلاق الحدود وتواصلت المفاوضات الرامية إلى التوصل إلى حل يسمح بفتح معبر رفح؛ لكن من غير نتيجة .

استشهاد عماد مغنية

في ١٣ شباط قتل في دمشق العقل المدبر في حزب الله عماد مغنية في تفجير سيارة مفخخة بجانب سيارته. كانت إسرائيل ودول أخرى تعتبر منذ زمن بعيد أن مغنية مسؤول عن تخطيط وتنفيذ عمليات حزب الله بدءاً بالهجمات التي استهدفت مقر قوات المارينز والسفارة الأمريكية في بيروت أوائل الثمانينات، وكذلك الهجوم على المركز اليهودي والسفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس وحوادث اختطاف الجنود الإسرائيليين المتكررة ومن بينها عملية الاختطاف التي أشعلت شرارة حرب ٢٠٠٦ في لبنان. اعتقلت سورية كثيراً من الفلسطينيين. واتهم حزب الله إسرائيل بتدبير عملية الاغتيال. أما إيران التي كانت تنكر منذ زمن طويل أي علاقة لها بعمليات مغنية فقد أعلنت الحداد عليه علناً واتهمت إسرائيل باغتياله. وتوقعت إسرائيل حدوث عمليات انتقامية.

قائد المقاومة اللبنانية الشهيد عماد مغنية

الغارة الإسرائيلية على غزة

في ٢٧ شباط ٢٠٠٨ قتلت غارة صاروخية إسرائيلية خمسة من حماس زعمت فيما بعد أنهم كانوا يخططون لتنفيذ عملية كبيرة ضد اسرائيل. وفي اليوم التالي ردت حماس بإطلاق ٣٠ صاروخاً وصل بعضها حتى عسقلان وقتل أحدها طالباً في كلية ساير في النقب الغربي. كان من بين هذه الصواريخ عدد من صواريخ غراد إيرانية الصنع، وهي نسخة من صواريخ الكاتيوشا. بدأت إسرائيل في ٢٩ شباط حملة واسعة النطاق استمرت عدة أيام وقتلت أكثر من ١٠٠ فلسطيني. زعمت إسرائيل أن عشرة مدنيين فقط قتلوا في غزة؛ أما حماس فقالت إن أكثر قتلى الغارة كانوا مدنيين. وقبيل زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس إلى المنطقة، دعت الولايات المتحدة إلى وقف العنف. انتهى الهجوم الإسرائيلي يوم ٣ آذار رغم أن الجيش الدفاع الإسرائيلي كان يعتزم المضي فيه. علق الرئيس الفلسطيني محمود عباس المفاوضات المباشرة مع إسرائيل، لكنها استؤنفت في ٥ آذار. أعلنت حماس أنها انتصرت. ورغم تواتر الإشاعات عن "هدنة" وعن مفاوضات من أجل الهدنة في شهر آذار، واصلت الصواريخ الفلسطينية استهداف النقب الغربي وواصلت إسرائيل قتل الفلسطينيين. أما إغارات إسرائيل في الضفة الغربية فكادت تتوقف تماماً رغم وقوع هجوم استهدف بيشيفات مركز هاراف في القدس يوم ٦ آذار أقدم فيه مسلح فلسطيني من حي جبل المكبر في القدس على قتل ثمانية من طلبة المدرسة الدينية. ادعت حماس مسؤوليتها عن هذا الهجوم لكنها عادت فأنكرتها في وقتٍ لاحق.

وبعد دعوات ملحة من جانب وزيرة الخارجية الأمريكية تم استئناف المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية. قال عباس إن الجانبين يناقشان القضايا الجوهرية، من قبيل مستقبل مدينة القدس مثلاً؛ لكن أي تفاصيل عن هذه المفاوضات لم تنشر. أعلنت إسرائيل عن عقود لبناء منازل للمستوطنين في حي هارشوما في القدس الشرقية وفي عدة مناطق أخرى في الضفة الغربية مما أغضب الفلسطينيين. تلا هذا الإعلان عدد من الإعلانات المتضاربة التي صدرت عن مسؤولين إسرائيليين بشأن سياسات توسيع الاستيطان. وفي شهر نيسان، أزالت إسرائيل عدداً من حواجز الطرق في الضفة الغربية وسمحت للقوات الفلسطينية بدخول مدينة جنين.

الهدنة

أفضت مفاوضات مكثفة غير مباشرة برعاية مصرية إلى هدنة بين إسرائيل وحماس بدأ تنفيذها في ١٩ حزيران. سرت هذه الهدنة على قطاع غزة فقط دون أن تشمل الضفة الغربية. وبموجب الهدنة تمتنع إسرائيل عن تنفيذ هجمات داخل غزة في حين تمتنع حماس والفصائل الأخرى عن إطلاق الصواريخ وشن الهجمات الإرهابية ضد إسرائيل. زعمت إسرائيل أن الهدنة تشمل تهريب الأسلحة، لكن حماس أنكرت ذلك. ورغم وقوع عدد من حوادث إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون من جانب الفلسطينيين فقد بدت الهدنة صامدة، في البداية على الأقل. اعتقلت حماس ناطقاً باسم كتائب شهداء الأقصى بعد أن زعمت تلك الجماعة مسؤوليتها عن إحدى الهجمات. وعمدت إسرائيل، دون ضجة، إلى تخفيف إغاراتها واعتقالاتها في الضفة الغربية بعد أن صارت هذه الهجمات الإسرائيلية تثير هجمات انتقامية في غزة. وتواصلت بعد سريان الهدنة المفاوضات الرامية إلى الإفراج عن الجندي الإسرائيلي المختطف جلعاد شاليط. ظلت الهدنة صامدة رغم حوادث عرضية لإطلاق صواريخ القسام وقذائف الهاون، لكن أمل إسرائيل في الإفراج عن جلعاد شاليط لم يتحقق.

وفي ٢٩ حزيران وافقت الحكومة الإسرائيلية على صفقة تفرج بموجبها عن اللبناني المحكوم سمير قنطار وعدد من السجناء اللبنانيين والفلسطينيين مقابل جثتي إلداد ريغيف وإيهود غولدفاسر اللذين كان اختطافهما الشرارة التي نتجت عنها حرب لبنان الثانية. وفي إسرائيل أعلن رئيس حزب العمل إيهود باراك أن حزبه سينسحب من الحكومة الائتلافية إذا لم يغير حزب كاديما رئيسه إيهود أولمرت، وذلك بعد مزاعم متكررة بالفساد. وفي ١٧ أيلول ٢٠٠٨ فازت وزيرة الخارجية تسيبي ليفني بزعامة حزب كاديما وعندما أعلنت ليفني في ٢٦ تشرين الأول أنها غير قادرة على تشكيل حكومة ائتلافية تقرر إجراء انتخابات جديدة في ١٠ شباط ٢٠٠٩.

وفي مساء ٤ تشرين الثاني نفذ جيش الدفاع الإسرائيلي توغلاً كبيراً في غزة من أجل تدمير نفق قيل إن الفلسطينيين يحفرونه من غزة إلى إسرائيل. قتل في هذا التوغل ستة مسلحين من حماس. وفي الأيام التالية ردت حماس والفصائل الأخرى بإطلاق نحو ٣٥ صاروخ غراد (من عيار أكبر) على سديروت وعسقلان فرد جيش الدفاع الإسرائيلي بتوغلٍ استهدف خان يونس.

وفي ٩ تشرين الثاني عقد اجتماع للجنة الرباعية في شرم الشيخ من أجل تأكيد دعم المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية ضمن إطار عملية أنابوليس وخطة الطريق. عبر الجانبان عن مساندتهما هذه العملية. ألغت حماس مشاركتها في اجتماع من أجل المصالحة الفلسطينية كان مقرراً عقده في القاهرة خلال الأسبوع نفسه.

واصلت حماس والفصائل التابعة لها إطلاق الصواريخ على إسرائيل وأعلنت أنها تعتزم عدم تجديد اتفاق التهدئة في ١٩ كانون الأول. كانت مفاوضات التهدئة قد جرت في ١٩ حزيران ٢٠٠٨. وفي النهاية أعلنت حماس أنها تقبل استمرار التهدئة ستة أشهر فقط. زعمت الأخبار أن قيادة حماس لغزة تريد تجديد التهدئة لكن زعيم حماس في المنفى خالد مشعل، رفض قبول ذلك. لجأت إسرائيل إلى المصريين وإلى الأمم المتحدة طالبة وضع حد لإطلاق الصواريخ. وفي ٢٤ كانون الأول قصفت حماس إسرائيل بنحو ٦٠ صاروخاً وقذيفة هاون. بدأت إسرائيل عملية "أوفريت بيتزوكا" يوم ٢٦ كانون الأول. وخلال ساعات من صباح يوم السبت وحده نفذ جيش الدفاع الإسرائيلي نحو ١٠٠ إغارة دمر فيها مخازن أسلحة ومصانع أسلحة وأنفاق تهريب ومنصات إطلاق صواريخ، إضافة إلى مراكز قيادة حماس في غزة. قتل نحو ٢٢٥ فلسطينياً ثم ازداد الرقم فبلغ ٣٠٠ قتيلاً خلال بضعة أيام. تزعم تقديرات الأمم المتحدة أن من بين القتلى زهاء ٥١ مدنياً. أما مصادر حماس فتقول إن ١٥٥ شخصاً ممن قتلوا في الهجوم الأصلي كانوا مدنيين. وقع كثير من الإصابات في صفوف متدربي "شرطة" حماس أثناء حفل لتخريجهم. زعمت إسرائيل أن حماس تعمدت استخدام الدروع البشرية؛ وأشارت برامج تلفزيون حماس إلى فخر حماس باستخدام المدنيين دروعاً. ردت حماس على الغارات الجوية المتواصلة بإطلاق صواريخ غراد التي وصلت هذه المرة حتى بئر السبع ويافني (٤٥ كم). قتلت هجمات حماس ٣ إسرائيليين حتى نهاية العام. أما حصيلة القتلى بين الفلسطينيين فناهزت ٤٠٠ قتيل. رفضت حماس الكف عن إطلاق الصواريخ وراحت إسرائيل تستعد لشن عملية برية في غزة. ثم أصدر مجلس الأمن الدولي بياناً في ٢٨ كانون الأول دعا فيه الجانبين إلى وقف العنف، لكن اعتراض الولايات المتحدة حال دون إصدار مجلس الأمن قراراً ملزماً بوقف إطلاق النار.

انتهت أعمال القتال الرئيسية يوم ١٨ كانون الثاني عندما أعلنت إسرائيل وقف إطلاق النار من جانب واحد ثم حذت حماس حذوها فأعلنت وقف إطلاق النار من جانبها. قتل زهاء ١٣٠٠ فلسطيني؛ وقتل ١٣ مواطن إسرائيلي. زعمت إسرائيل أن أكثر المصابين الفلسطينيين كانوا مقاتلين في حين زعم الفلسطينيون أن أكثرهم

مدنيون. وتحدثت جماعات حقوق الإنسان عن أعدادٍ كبيرة من القتلى الأطفال، لكن إسرائيل زعمت أن كثيراً من "الأطفال" الذين تحدثت عنهم هذه التقارير هم في الواقع مقاتلون راشدون من حركة حماس. لكن إسرائيل لم تنشر أي قائمة علنية بالإصابات. لم تكن نتائج هذه العملية حاسمة. ولم تحقق إسرائيل نصراً عسكرياً، لكن مشكلات حكم حماس في غزة والجندي المختطف جلعاد شاليط واستمرار تدفق الأسلحة المهربة إلى غزة عبر الأنفاق ظلت كلها من غير حل، مبدئياً على الأقل. استمر إطلاق الصواريخ واستمرت الردود الانتقامية حتى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية في ١٠ شباط ٢٠٠٩.

أعطى الناخبون الإسرائيليون الأغلبية البرلمانية لأحزاب اليمين. وشكل بنيامين نتنياهو حكومة ضمت حزب الليكود الذي يتزعمه وحزب العمل الإسرائيلي وحزب إسرائيل بيتنا اليميني، إضافة إلى أحزاب دينية. رفض حزب كاديما الانضمام إلى الحكومة. والظاهر أن رفضه جاء بسبب عدم قبول الليكود العودة إلى حل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني عن طريق إقامة دولتين. وفي ٤ حزيران ٢٠٠٩ ألقى الرئيس الأمريكي باراك أوباما كلمة تاريخية موجهة إلى المسلمين والعالم العربي دعا فيها الفلسطينيين إلى نبذ العنف ودعا العرب إلى الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود مكرراً دعم الولايات المتحدة حل الدولتين وداعياً إلى إنهاء بناء المستوطنات (خطاب الرئيس أوباما في القاهرة يوم ٤ حزيران ٢٠٠٩). استجاب رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو لكلمة أوباما يوم ١٤ حزيران فأعلن تأييد إسرائيل الحل القائم على الدولتين وتعهد بألا تقوم إسرائيل بإنشاء مستوطنات جديدة أو بمصادرة أراض جديدة لصالح المستوطنين؛ لكنه أعلن أيضاً استمرار بناء وحدات سكنية في المستوطنات من أجل ما أطلق عليه اسم "النمو الطبيعي".

بداية امتلاك اسرائيل للسلاح النووي

في شهر تموز / يوليو عام ١٩٦٦ ظهر بيان كبير في صحيفة هآرتس الاسرائيلية تضمن احتجاجا على السلاح النووي في الشرق الاوسط . كثيرون من الموقعين على البيان كانوا من اساتذة الجامعات الذين يعارضون تطلعات اسرائيل في عهد بن غوريون بما ذلك معارضة الحكم العسكري وادعت اسرائيل حينها انها لا تملك اسلحة نووية وانها لن تكون الاولى في امتلاك الطاقة النووية في المنطقة . وكان التطور النووي قد بدأ في مفاعل ديمونة مع بداية عام

١٩٥٠ ولكن كان يجري بشكل سري للغاية ، فقد اتخذت اسرائيل خطوات مختلفة ومتعددة لاخفاء الامر ، ولكن يبدو ان العارفين كانوا اكثر مما كان يعتقد في ذلك الوقت .

مع بداية عام ١٩٦٦ اعطى إشكول تفاصيل عن المشروع لهيئة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست الاسرائيلي . . الى جانب الى جانب ستة عشر عضوا في الكنيست وبعض القادة في جيش الدفاع الاسرائيلي كانوا ايضا من ضمن الحضور . . . التقارير التي قدمها موشيه دايان عن ديمونة في الاجتماع تركت مجالا ضيقا للشك حول ما كان يدور في المشروع .

بعض الصحافيين عرفوا عن ديمونه ولكنهم منعوا من نشر معلوماتهم ، فعملوا عن طريق النقل عن الصحافة الاجنبية خصوصا في العناوين الرئيسية للصحف . . بدا الازدياد واضحا بأن اسرائيل كانت تسلح نفسها بالاسلحة النووية . البرفسور " آرنست دافيد برغمان " رئيس هيءة الطاقة الذرية الاسرائيلية ، وهي هيئة رسمية ، توقف عن قول الحقيقة بصراحة مخفيا ذلك تحت عنوان التطور في الطاقة الذرية للاغراض السلمية . العالم " يوفال نويمان " الذي سمله المشروع النووي الاسرائيلي كتب يقول " عشية حرب الايام الستة، كان لدى اسرائيل بنية نووية واسعة وكانت تقديرات واشنطن تقول بأن اسرائيل تمتلك فنبلتين نوويتين .

المشروع النووي الاسرائيلي كان قد بدأ ردا على المحرقة النازية . . . القتل الجماعي المزعوم لليهود في اوروبا اثار النظرة الى ان دولة اسرائيل تحتاج الى قنبلة ذرية لمنع " اوسشفيتس " اخرى . . . الافتراض الاستراتيجي كان ان اسرائيل القوية تستطيع ردع الدول العربية من محاولة تدميرها . . وان امتلاك اسرائيل لأسلحة نووية فأن اعداءها سوف يقتنعون للأعتراف بها وعقد صلح معها . الخوف من الانتقام النووي يمنع العرب من الهجوم ضد اسرائيل كما افادت صحيفة يديعون احرنوت نقلا عن معهد ابحاث بريطاني ، غير ان الرأي في اسرائيل حول هذه المسألة كان منقسما .

بين العسكريين والسياسيين ، اثار مشروع ديمونة خلافات اقتصادية وسياسية . . فمن الطبيعي ان النضال والكرامة والكبرياء كانت جميعها مشمولة بهذه الخلافات . بعض المعلومات كان قد تم الكشف عنها . . فالمعلق العسكري " اسرائيل باعر " كتب كتابا عن الموضع ، عارض فيه ان يعتمد اساسا امن الدولة على ردع القدرات في التحليل النهائي . . كانت مشكلة الامن الاسرائيلي لا تنحصر في الحل العسكري بل في الحلول السياسية فقط . . فمن الافضل هو نزع السلاح النووي من الشرق الاوسط بكامله . . كما كتب المحلل " اليعازر ليفنيه " يقول : ايغال

ألون كان يخشى ان الاسلحة النووية سوف تستهلك ميزانيات الجيش وبالتالي تحد من القدرة على بناء قواته التقليدية . . كما انها يمكن ان تدفع الدول العربية للهجوم كما كانوا دائما يهددون . وهذا يعني ان العرب كانوا يهددون فقط دون النية بالهجوم لتحرير الارض من الصهاينة .

اعضاء الكنيست في لجنة الدفاع والشؤون الخارجية اشارت الى انه منذ ان القيت القنبلة الذرية على هيروشيما كانت هناك حروب تقليدية لا حصر لها خصوصا حروب العصابات . . . وهذا كان الخطر الرئيسي ولن يكون السلاح النووي موجها ضدها اي ضد حرب العصابات . . قادة جيش الدفاع الاسرائيلي قلقون من ان القدرات النووية سوف تحد من قدرات العمليات العسكرية الى درجة الشلل ، فلو قرأ رؤساء الاركان ما كتبه اسرائيل باعر" في كتابه حول الامن الاسرائيلي لعرفوا ان السلاح النووي لن يكون الا على حساب المعدات الحربية التقليدية واذا اقتنعوا ان النقاش حول الاسلحة النووية سوف يمنع الحرب ، فيمكنهم ان يستنتجوا بأن وقتهم قد ولى وكان الضباط يخشون من ان امتلاك السلاح النووي سوف يقيدهم ويجعلهم غير لازمين للخدمة العسكرية . . ربما كان هذا القلق هو السبب الذي جعلهم مولعين بالقتال ومشاكسين .

مذكرات " هيرتزوغ " وكذلك السجلات الامريكية وبعض الوثائق التي تم الحصول عليها من اشريف الدولة الاسرائيلية جميعها تشير الى مركزية الموضوع في العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية . . وكيل وزارة الخارجية الامريكي كتب الى الرئيس جونسون يقول " ليس لدينا دليل على ان اسرائيل تنتج القنبلة الذرية " وكان ذلك في شهر مايو/ايار عام ١٩٦٧ ولكن الافتراض كان انها تستطيع ذلك خلال وقت قصير عند الحاجة . كان من المحتمل ان اسرائيل كانت تخفي الحقيقة عن الولايات المتحدة واضاف وكيل الوزارة " الشكوك الامريكية تقوم على اساس ، من بين المشاكل الاخرى ، رفض اسرائيل لاخبارهم ما الذي كانت تفعله مبا هو بين ٨٠ و ١٠٠ طن من اليورانيوم المركز اشترته من الارجنتين قبل اربع سنوات من ذلك الوقت ، والتهرب من طلبات الولايات المتحدة بزيارات منتظمة الى مفاعل ديمونه وفي اوقات اخرى تعمد الاسرائيليون المماطلة في ردودهم خصوصا عندما طلبت الولايات المتحدة تفاصيل عن مفاعل ديمونه . . . السفير هارمان اقترح ان يذهب " أبا إيبان " الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ليتجنب اللقاء مع وزير الخارجية الامريكي " دين رسك " حيث ان الولايات المتحدة سوف تسأل ليفي اشكول عن اليورانيوم الارجنتيني ، وكان قال في مكتب رئيس الوزراء انه يرغب بالضحك من المسألة

المجتمع الاسرائيلي لم يؤخذ رأيه في الاختيار بين اولئك الذين يدعمون امتلاك القنبلة الذرية واؤلئك الذين يعارضونها . . ولكن طالما ان معظم الاسرائيليين شعروا بأن وجود الدولة اصبح مهددا ، كان هناك احتمال بعدم وجود فرصة بأن الغالبية سوف تعارض انتاج قنبلة ذرية .

نبذة عن المؤلف

اسم المؤلف : د. شفيق عبد الحليم الخليل
تريخ وبلد المولد : فلسطين- يافا - عام ١٩٣٨

التخصص العلمي:

أ. الصحافة والاعلام
ب. علوم الفيلولوجيا (فقه وتاريخ اللغات)
ج. انظمة الاستثمار المصرفيه
د. دراسات اخرى خاصة بالاركيولوجيا

التحصيل العلمي :

أ. الثانوية العامة الفلسطينية عام ١٩٤٨
ب. بكالوريس في الفيلولوجيا من جامعة بريستول في انجلترا
ج. درجة الدكتوراه في الصحافة من انجلترا ايضا.

اللغـــــات : العربية – الانكليزية – العبرانية – الالمانية
الدورات التدريبية : دورتان في سويسرا للتدريب على الاعمال المالية

العمل والخبرات السابقة :

7 years Promotion Manager for the Mid-East Region – Euro-foreign Banking Corporation – Switzerland- Centered in Beirut – Lebanon
Middle East Manger for the Swiss Financial Investment Company - Entereit A.G
(Intereit Actiengesellschaft) Beirut - Lebanon

العمل في الصحافة لمد تزيد على ٣٥ عاما في الخليج العربي والولايات المتحدة الامريكية وتشمل الاذاعة والتلفزيون وتأسيس صحيفة عربية في مدينة كليفلاند بولاية اوهايو الامريكية باسم "صحيفة البيان "

للمؤلف :

١- كتاب " بنو اسرائيل عبر التاريخ) صدر في القاهرة عن دار شمس للنشر والاعلام
٢- كتاب بعنوان " السنهدرين بيت " بمعنى مجلس الكهنوت الصهيوني الاعلى الثاني نشر في جريدة القبس الكويتية على حلقات اسبوعية بلغت حوالي السبعين حلقه عام ١٩٨٧-١٩٨٨.
٣- كتاب بعنوان (ميشيل دي نوستراداموس) عالج فيه المؤلف ما تردد من سوء فهم معاني كتاب نوستراداموس (القرون) او استغلال مضمون الكتاب الذي جاء على شكل رباعيات شعرية ... حيث قامت الحركة الصهيونية بتفسير القصد من تلك الرباعيات الشعرية التي كتبها نوستراداموس باللاتينية مع ترجمات وتعليقات مغلوطة بقصد الاساءة للامة العربية والاسلامية وتحريض شعوب العالم ضد العرب والمسلمين .... علما بأن نوستراداموس العالم الفلكي والطبيب الفرنسي اليهودي الاصل لم يتطرق الى ما جاء في تفسيراتهم لتنبئاته عن المستقبل وكان قد كتب الف رباعية شعرية في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ضمنها كتابه (القرون) ولم ينشره في حينة لخطورة تنبآته حول مصير حكام وملوك اوروبا في ذلك الوقت. ولكنهم وجدوا الكتاب بخط يده باللغة اللاتينية في بدرون البيت الذي يسكنه فاخذوه واستغلوه لخدمة الاهداف الصهيونية بعد وفاته .
٤- مئات المقالات الصحافية ومئات الاحاديث السياسية الاذاعية .
٥- المشاركة في ندوات تلفزيونية امريكية عديدة اثناء الازمة العراقية

المراجع :

١. الكتاب المقدس (العهد القيم) " التناخ "
٢. التلمود الأورشاليمي
٣. كتاب القوانين (هالاخوت) يتسحاق بن يعقوب
٤. مشني توراه - الحاخام موسى بن ميمون
٥. اليد القوية (يد حزاقاه) موسى بن ميمون
٦. الزوهار (ا لتألق) موشية بن يوم طوف دي ليون
٧. شلحان عاروخ - موسى بن ميمون
٨. السيدور – للحاخام عمرام غاؤون
٩. العديد من الادبيات العبرانية التي تبحث في العقيدة الدينية اليهودية وطقوسها والطهارة والنجاسة والتشريعات المختلفة .